

مذكرات زوجة عاشقة

رواية

د. هند المنياوي

مذكرات زوجة عاشقة
المؤلفة : د. هند المنياوي

تصميم الغلاف : أحمد بلال

الطبعة الأولى : يناير 2017

رقم الإيداع : 27900 / 2016

الترقيم الدولي : 0-188-769-977-978

جميع حقوق الطبع محفوظة

الناشر: أوراق للنشر والتوزيع

awraaq@live.com

القاهرة - 2 شارع شريف

- الدور الخامس - مكتب 57

م : 01010490247

ت : (02)23963002

إهداء :

إلى أغلي وأقرب القلوب لقلبي

فلذات كبدي

(إيمي وماهي)

أهدي هذا العمل ليكون لهما دافعاً للحياة وذكرى من بعد مماتي لأن في

الذكرى خلود وفي الخلود وجود

متمنيه من الله عز وجل أن تكون حياتهن أفضل من حياتنا. وجيلهن

أفضل من أجيالنا

هنه المنياوي

اليوم الأول

لكل منا هوايته المفضلة التي من خلالها يحاول أن يتغلب على أوقات فراغه التي دائماً ما تملأ حياة الفرد فينا .. تختلف تلك الهوايات وطرق ممارستها على حسب الشخص .. أما أنا فهوايتي المفضلة هي أن أسجل الأحداث التي أمر بها في حياتي كل يوم .. لا أعلم لماذا؟ لكنها هوايتي المفضلة .. ربما يكون ذلك بسبب جلوسي المتواصل لأوقات كثيرة بمفردي داخل المنزل .. فأنا، وبرغم أن لي أخاً وأختاً، كنت دائماً الجلوس وحيدة .. ربما يعود ذلك لأنني أكبرهم سناً، أو إن صدقت القول فأني أستمتع وأنا أحدث نفسي عبر صفحاتي .. تركت هذا الأمر لفترة قصيرة جداً في بداية زواجي .. لكن مفعول سحر الورقة والقلم كان أقوى من أي شيء آخر لأسجل يومياتي بعد سفر زوجي، وقراري أن أبقى في منزلي وحيدة أنتظره حتى يعود، بين تلك الجدران التي تشهد على أجمل لحظات عمري معه ..

وها أنا أعود إلى حجرتي لكي أمسك بقلمتي، وأقوم بهوايتي المعتادة قبل أن أترك عالم الحقيقة وأخلد إلى عالم الأحلام ...

بالمناسبة، إنه كشكول جديد، وهذه أولى صفحاته، وأنا دائماً أحب أن أكتب ما سبق في أول صفحة من كل كشكول جديد أقوم بتدوين أحداث يومي به .. إنها أيضاً عادة أو هواية من الهوايات المفضلة .. والآن أبدأ في سرد أحداث يومي الذي دائماً يكون له طقوسه الخاصة جداً .

إنه ليس بيوم عادي ذلك اليوم الأول في عامي الجديد ... كان منذ بدايته وكل شيء به يدل على أنه ليس عادياً .. لقد قضيت ساعات طويلة سبقت أولى دقائق حياتي في عامي الجديد من أجل الاحتفال بهذا اليوم وتلك المناسبة ... كانت ساعات مرهقة للغاية ومليئة بالتوتر والمتابعة ... تطلبت مني جهداً مضاعفاً في كل شيء أقوم به .. يجب ألا أنسى أي أحد من الأصدقاء والأقارب .. يجب أن يكون ذلك المكان الذي قمت باستئجاره للاحتفال عند حسن الظن به، وأن تكون الخدمة أثناء الاحتفال على أعلى درجة .. وتلك المأكولات والمشروبات يجب أن تكون من أجود الأصناف .. ثم يا تري، ماذا سوف أرثدي في تلك الليلة؟ أتذكر ذلك الآن وأنا أبتسم .. لكن في وقت سابق .. كنت قد أوشكت على الجنون .. كانت تلك الحجرة ممتلئة بالملابس في كل أركانها .. شعرت حينها أن مرآتي كادت أن تترك الحجرة وتخرج لكي تأخذ قسطاً من الراحة ... للحقيقة أهدرت وقتاً قيماً في هذا الأمر ولكنها عادتي كحال أي أنثى في مكاني .. فسر جمال المرأة يكمن في مظهرها وتلك المكملات من إكسسوارات وعلطور وما شابه ذلك .. المهم حتى لا أطيل في الحديث وتضيع صفحاتي وأنا أتحدث عن مظهري الذي طالما ذكرته كثيراً على

أوراق مذكراتي .. انتهيت من تحضير كل شيء لذلك الحدث .. ارتديت أجمل الثياب وكل ما يناسبها من إكسسوار وعطر .. ثم توجهت إلى مقر الاحتفال .. أثناء توجهي في الطريق كنت أخشى من أي شيء ممكن أن يفسد ما أنا عليه من جمال وأنوثة .. وأتجنب كل ما حولي حتى وصلت .. كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة مساءً .. باق من الزمن ساعتان على عامي الجديد .. هناك كثير من الأصدقاء والحضور .. المكان مجهز بشكل جيد .. في الحقيقة يستحق ذلك المبلغ الذي دفع فيه ولن أذكره فوق تلك الصفحات لكي أتجنب الحسد .. كان اليوم أشبه بالمهرجان .. الموسيقى ترج كل أركان المكان .. الجميع يتسامرون ويضحكون .. كنت أتقبل التهاني من الجميع وعيونهم تدقق وتحملق بكل شيء أرثديه .. كان هذا أمراً طبيعياً بالنسبة لي .. فأنا أميرة تلك الحفلة وملكة المكان بكل ما فيه .. كنت أسمع تعليقاتهم المجاملة كلما مررت بجوار أحدهم أو توقفت لمصافحة أي منهم والتي كانت تسعدني كثيراً .

- عيد ميلاد سعيد يا ميران!

- كل سنة وإنتي أجمل وأحلى ما في حياتنا يا ميرو!

- بسم الله ما شاء الله .. قمر أربعتاشر .. عيني باردة عليك يا حبيبتي! كانت تلك الكلمات كفيلة أن تصنع مني أميرة بالفعل، وملكة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، أضف إلى ذلك تلك النظرات التي كان الحضور يوجهونها لي وكأنها سهام قاتلة، تخترق مشاعري وتصيبها بالسعادة، وتجعل قلبي يخفق كلما نظرت إلى عين أحدهم ووجدته ينظر لي، لأهرب

مسرعة بعيني من أمامه حتى لا يصيبني الخجل أكثر مما يجب .. وللحقيقة كنت أهرب من تلك النظرات خلف ابتسامتي المعهودة عني حتى لا يزداد توترتي وقلقي من حدوث أي شيء يفسد عليّ فرحة الاحتفال .. وكلما نظرت إلى عقارب ساعتني أشعر وكأنها تأمرت عليّ وقررت أن تسير بسرعة أقل من سرعة السلاحف حتى لا يمر الوقت كما ينبغي .. بتلك العادات والتقاليد والطقوس المتبعة في هذه الاحتفال والمراسم .. كنت أحاول أن أضيع الوقت بين ضحكات وحوارات جانبية مع المقربين لي من الأصدقاء .. وكنت من حين إلى آخر أسترق النظرات إلى عقارب الساعة التي تعاندي كما ذكرت سابقاً .. إنها ورغم كل هذا الوقت والأحاديث الكثيرة والطويلة جداً مع مختلف الحضور لم تتجاوز الحادية عشرة والربع فقط .. للحقيقة لم أستطع التحمل أكثر من ذلك .. لكن ما علي أن أفعل؟ توجهت إلى الحمام لكي أخفي ذلك القلق والتوتر الذي بدأ يحتاج كل جوارحي، ويطفو على ملامح وجهي .. دون أي مبرر ولا سبب .. كانت حجتي في تلك اللحظة هي تعديل مظهري .. هناك وقفت أمام المرأة أتساءل .. لماذا كل هذا القلق؟ ماذا أصابني؟ ما الذي أحتاج إليه لكي أنتهي من كل هذا؟ أشعر وكأن شيئاً ما ينقصني .. هناك أحد الحضور لم يصل بعد، ما زلت أنتظره .. ترى هل سيأتي؟ أم كالعادة سوف يذكرني في وقت لاحق بعد انتهاء الحدث كما يفعل دائماً .. آه يا من أنتظره وأحتاج إليه ويقتلني شوقاً وحنيناً .. كيف لك أن تنسي مواعيدي هذا ويومي هذا؟! إلى تلك الدرجة قلت أهميتي عندك؟! إلى هذا الحد

قلبك النابض لا يشعر بي ولا يدرك ما بداخلي من اشتياق؟! لن ألوّمك الآن في غيابك .. بل سأنتظر عودتك حتى تدرك كم أحبك وأنا ألوّمك وعيناك تنظر إلى عيني وتشاهد ما تخفيه جوارحي من حنين إليك.

في تلك اللحظة طرقت إحدى صديقاتي الباب وما إن رأته حتى قالت:
- إيه يا ميران إنتي بتعملي إيه ده كله؟!

- مفيش .. بظبط الميكب بس.

- طيب يلا يا حبيبتي الساعة اتناشر إلا عشرة.

ابتسمت وتوجهت معها إلى الخارج وأنا أحدث نفسي قائلة: يا لتلك العقارب العنيدة .. عندما أريد منها أن تمر سريعاً تتوقف .. وعندما أريدها أن تتوقف تمر بي كالبرق .

كان الجميع في تلك اللحظات يستعد للاحتفال معي بمجرد وصولي إليهم، كانت الساعة أصبحت الثانية عشرة إلا دقيقة واحدة .. عندها أطفالوا الأنوار وأشعلوا الشموع .. الجميع كان يعد الثواني بسعادة وحماس شديد .. أما أنا فتملّكني حزن شديد لا يوصف .. أنتظره ؟ ترى هل سيتذكر؟ ما زال هناك أمل رغم تلك الثواني البسيطة الباقية.

- خمسة.

- أربعة.

- ثلاثة.

- اثنان.

- واحد.

- بحبك!

كانت تلك الكلمة التي اخترقت أذني وقلبي معاً في أول ثانية لي في عامي الجديد .. وما أن أضيئت الأنوار، والتفت حولي لكي أشاهده، صاحب تلك الكلمة التي هزت مشاعري وغمرتني سعادةً عمري كله .. كنت أستشعر أنفاسه وهو يقولها لي في أذني .. كانت دافئة .. صادقة .. ملتهبة وممتزجة بحنين لا يوصف .. لكن أين هو .. أين ذهب .. بين الجميع لا أراه .. ثم من هو صاحب تلك الكلمة الصادقة والأنفاس الدافئة .. أصبح الآن كالأمير الذي انتظر عمره كله أميرته .. وعندما أتت سندريلا وتيقن أنه وجدها أغلق عينيه لكي يأخذ قسطاً من الراحة ثم فتحها فلم يجدها .. يا إلهي .. الجميع أصبح يلاحظ أنني لست على ما يرام .

- في إيه يا ميران؟!

- بتدوري علي حاجة؟!

- إيه يا ميرو مالك! فيه حاجة؟!

سرت أبحث عنه بين الجميع لكن ما لحظته .. إنه من المستحيل أن يكون واحداً بين هؤلاء .. فكل المدعويين من الرجال أتوا بنسائهم .. ثم إنني بالرغم من كل محاولاتي للتعرف عليه لا أشعر بوجوده بينهم .. وما كان علي إلا أن أعود إلى هدوئي وتماسكي حتى لا أفسد الحفل ويفتضح أمري .. وظللت على ذلك الأمر إلى أن انتهيت من حفلة عيد الميلاد .. وها أنا أعود إلى تلك الحجرة وتلك الصفحات الوحيدة التي تمتلك القدرة على حفظ أسراري لكي أبوح لها بكل ما يدور داخلي من مشاعر متخبطة

.. ولن يبقي لي إلا سؤال واحد فقط .. هو .. من صاحب تلك الكلمة
الصادقة والأنفاس الدفيئة في حفل عيد الميلاد؟
ترى هل سأعرفه؟ من واقع فضولي أنني لن يهدأ لي بال إلا عندما
أعرفه.. ولن أترك هذا الأمر حتى يهدأ بالي.

اليوم الثاني

كعادتي، استيقظت في تمام الساعة الثامنة صباحاً على صوت جرس المنبه الموجود بجواري .. كانت ليلة الأمس أشبه بالقصص الخيالية التي نشاهدها في المسلسلات والأفلام .. آه .. ما أجمل تلك اللحظات التي تشعر بها أنك تمتلك كل شيء بين يديك .. لم أستطع أن أنسى تلك اللحظات وكأني أميرة حولي خدمني، ملكة تجلس على كرسي عرشها .. بكل صدق كانت ليلة الأمس من أجمل ليالي العمر التي قضيتها في حياتي .. وكل هؤلاء الأصدقاء والزملاء، وتلك الهدايا الكثيرة والثمينة التي أهدوني إياها ما هي إلا تعبير عن حبهم الصادق لي .. الجميع كان يبث بداخلي السعادة التي غطت على كل الأوجاع والهموم التي أعانيها عندما أكون بمفردي .. ما أجمل الحياة بين الأصدقاء .. لكن وجب علي أن أنهض الآن وأترك كل هذه الأحداث الجميلة الممتعة حتى أتوجه إلى عملي قبل أن أفصل .. ألقيت بالغطاء من على جسدي وقمت متوجهة للحمام لكي أخذ حماماً ساخناً لكي أستعيد نشاطي وأتأهب للعمل .. وكان قراري هو التوقف التام عن التفكير في أي شيء .. لن أنطرق إلى الأمس مهما حدث

.. وبالفعل .. أخذت حمامي الساخن وخرجت لكي أرتدي ملابسني وأستعد للذهاب إلى العمل .. وما إن جلست أمام المرأة إلا ووجدت طيفاً يجلس أمامي ويسألني عن تلك الليلة .. هل كانت جيدة وسعيدة أم كانت عادية وكل ما جري فيها ما هي إلا عادات متعارف عليها في مثل تلك المناسبات؟

هنا تملكنتني الحيرة .. يا لهذا الطيف الذي جاءني الآن! ما هو جوابي إذا؟ لقد أعاد لي مجريات الأمس بكل ما فيه .. ودون أن أدري بأي شيء حولي ولا أهتم بأي شيء وجدنتني أتحدث عنه .. صاحب الصوت الصادق والأنفاس الدافئة .. ورحت بروحي أرسم صورة له من وحي الخيال .. إنه أشبه بفرسان روما الأقوياء .. يمتلك وسامة الأتراك .. ورومانسية الشعراء وثقافة الأدباء .. له سحر ذو طابع خاص مثل نجوم السينما العالمية .. كل هذا أيها الطيف جانب وإحساسي به جانب آخر .. لا أخفيك سراً أنه جاء في الوقت المناسب جداً .. لقد كنت على وشك الانفجار من الوحدة .. جاء ليملأ حياتي بهجة وسروراً بعدما كانت تعسة مظلمة بلا أي جديد .. ما أجمل أن تسمع كلمة ترغب فيها! إن كلمة أحبك ليست كلمة ذات طابع عادي عند من يدركها أو يشعر بها .. إنها كلمة ذات قدسية خاصة تستشعر من خلالها أنها رباط مقدس إلى يوم البعث .. وهناك علامات ودلالات توحى بذلك .. فإن استشعرت يا قلبي أن حروف تلك الكلمة واضحة جداً وخافتة بشكل ملاحظ وقوي في آن واحد تيقن أنها صادقة من قلب يحتاج أن تبادله نفس الشعور الذي

يعيشه أثناء نبضه ونطقه بتلك الكلمة .. يا له من شعور لا يوصف مهما حاولت وصفه! ويا له من إحساس مستفز عندما يأتي من يخرجك عن هذا الشعور!

كان هذا الشيء هو رنين هاتفي المحمول لكي يختفي طيفي من داخل مرآتي ويعود بي مجدداً إلى داخل غرفتي .. إنها إحدى صديقاتي في العمل ..
- إيه يا ميران إنتي مش جاية الشغل النهارده؟

- لا يا حبيبتي أنا في الطريق.

- أنا قولت أشوفك ممكن تكوني تعبانة من إمبارح ومش هتقدري تنزلي.

- لا أنا خلصت لبسي أهو ونازلة حالياً.

- خلاص .. أشوفك هناك.

وانتهت المكالمة ونظرت إلى ساعتي لأكتشف أن وقتاً كبيراً قد سرق مني وأنا جالسة أمام المرأة في حوار مع طيف عن ذلك المجهول.

ارتديت ملابس مسرعة وتوجهت إلى خارج الشقة في طريقي للعمل .. كان كل هدفي في تلك الأوقات ألا أضيع وقتاً كبيراً في تأخيري عن العمل .. كنت أسابق الريح من أجل الوصول مبكراً ولو لنصف دقيقة ..

لكنني كنت أكذب على نفسي ومن يسابق الريح في شوارع مصنوعة من سيارات متراكمة ومرصوفة بإتقان شديد بعضها خلف بعض؟! المهم أنني أنجزت المهمة بالفعل ووصلت إلى العمل متأخرة نصف يوم فقط .. وهذا شيء جيد في تلك الظروف الصعبة التي تعانيتها الطرق المؤدية إلى أي مكان وليس إلى مقر عملي فقط ..

ولأنه أول يوم لي في عامي الجديد بداخل جدران الشركة رأف مديري بحالي ولم يعنفني بالشكل المعهود وكان ذلك هو هدية عيد الميلاد كما ذكر لي .. وجلست بداخل مكتبي أمام جهاز الكمبيوتر لكي أنجز عملي الذي يكاد يتراكم علي .. كنت في تلك اللحظات في قمة تركيزي وإتقاني للعمل الذي أنجزته بالفعل في ميعاد انتهاء اليوم.

عدت إلى المنزل بعد صراع آخر مع زحام الشوارع .. لكي أقوم بتلك الأعمال اليومية المنزلية المعتادة .. من تنظيف وطهي طعام إلى آخره .. حتى تناولت العشاء وأنا أشاهد التلفاز .. ثم جاء موعد النوم .. وكعادي وقبل خلودي إلى النوم أمسكت بقلمتي وأوراقتي لكي أقوم بفعل ما أفعله الآن وهو تسجيل يومياتي .. لا أدري لماذا تستهويني تلك الفكرة .. لكنها أصبحت شيئاً أساسياً في حياتي اليومية .. ومن المثير للدهشة أنني لم أفكر في أن أقوم بتغيير تلك العادات الروتينية التي أصبحت نهج حياتي منذ أن ذهب زوجي إلى تلك الدولة الخليجية التي يعمل بها منذ أكثر من ثلاث سنوات .. قبل سفره كانت الحياة تتميز بالسعادة الزوجية في بدايتها لكنها بدأت تقل شيئاً فشيئاً نظراً للظروف الاقتصادية التي تمر بها البلد والسعي وراء الاستقرار المادي للأسرة، خصوصاً عندما تطرقنا بالحديث ذات ليلة عن فكرة الإنجاب وكيف يجب أن نربي أولادنا وتلك الحياة الراقية التي نحلم أن يعيشوا بها .. للأمانة كنت شريكة معه في فكرة السفر للخارج والعمل في أي مكان آخر غير بلادنا، وللحقيقة فإنها طبيعية الأنثى التي تحلم بالثراء دائماً وتسعي إليه .. نعم أنا كنت أحد أهم الأسباب في بعده

عني .. يا إلهي .. ما الذي جعلني أتطرق إلى ذلك التفكير الآن؟ فأنا حزينة جداً .. إنه لم يتذكرني ليلة أمس .. وكيف له أن ينسي يوماً كهذا .. لن أغفر له تلك الخطيئة .. وسوف أعنفه كثيراً عندما يتصل بي .. ولن أذهب لأستقبله في المطار عند عودته في زيارته السنوية .. ثم كيف له أن يتجاهل مشاعري لهذه الدرجة .. إنني أنثى مهما كانت درجة حبي له، ومهما كان صبري فأنا لدي مشاعر جامحة كأي أنثى تحتاج من يحتويها .. ربما كان صاحب الصوت الصادق والأنفاس الدافئة يشعر بما أحتاج إليه .. إذن هو شخص مقرب مني لدرجة كبيرة جعلته يشعر بما يدور في داخلي وأحتاج إليه من حب ورغبة في أن أعيش حياة مختلفة وغير روتينية .. لذلك وصفته بكل هذه الصفات الحميدة التي ذكرتها لطيفي في الصباح .. ربما يكون ذلك .. لكن في نهاية الأمر يجب ألا أنسى أنني امرأة متزوجة ولي حقوق وعلي واجبات.

يبدو أنني سوف أنتقل بالحديث إلى ما يزعجني .. ومن المفترض أنني لا أحمّل نفسي أكثر من طاقتها .. نعم أحب أن أعيش لحظات حب ولكن لا أعلم من هو صاحب الحق في ذلك، أهو ذلك الرجل صاحب الصوت الهامس والأنفاس الدافئة أم زوجي الذي يضحني بكل غالٍ ونفيس من أجلي .. لا أعلم ما سر تلك الحيرة التي تملكني الآن لذلك سوف أكتفي اليوم بكل تلك المهارات وأخلد إلى النوم حتى يأخذ عقلي قسطاً كافياً من الراحة لكي يستطيع أن يواصل العمل غداً .. فإنه يوم شاق للغاية .
تصبح على خير .

اليوم الثالث

كان اليوم في بدايته عادياً للغاية .. لا يوجد به أي شيء مثير أو هام لدرجة تجبرني على تسجيله .. فمنذ الصباح عندما استيقظت من نومي توجهت إلى الحمام واستعدت نشاطي كالعادة وارتديت ثيابي ووضعت بعض مستحضرات التجميل وتوجهت إلى عملي بشكل طبيعي إلى أن انتهيت ورجعت إلى منزلي، فعلت ما أفعله كل يوم كالعادة، أيضاً بعد العودة من العمل والمجهود الشاق والطاقة المهدرة في رحلة الذهاب والإياب الخاصة بالعمل تناولت طعامي وتملك التعب كل أجزاء جسدي وأجبرني على النوم مبكراً... لكن القدر يبدو أنه يرفض مرور اليوم بهذا الشكل التقليدي الممل. إنه أمر غريب للغاية عندما دق هاتف منزلي في تمام الثالثة صباحاً لكي يوقظني من النوم كي أسمع صوته .. ترى من الذي أخبره أنني أشتاق إلى سماع صوته مجدداً وأنا الذي أحاول أن أنسى ذلك الأمر برمته.

- ألوه.

- أيوه.. مين؟

- معقولة مش عارفة صوتي.

- سوري .. نايمة.

- بحبك.

يا له من أمر عجيب فعلاً والأعجب أنه قام بإنهاء المكالمات مباشرة بعد تلك الكلمات القليلة التي كانت كفيلة بأن تقلب حياتي رأساً على عقب من جديد..

إنه هو .. صاحب ذلك الصوت الذي همس في أذني يوم عيد ميلادي .. إنه صوت مميز لدي جوارحي للغاية لا أستطيع أن أنسى ذلك مهما حدث .. يا له من أمر شاق للغاية .. كيف وصل إلى رقم هاتف منزلي؟ .. من أين أتى به؟ .. ولماذا اتصل بي في هذا التوقيت تحديداً؟ .. حتى يطير من بين جفوني أجمل لحظات أي إنسان في تلك الدنيا .. إنها ساعات الهدنة البدنية والنفسية والعقلية من تلك الأعمال اليومية التي تجعلنا ننسى أننا بشر، لنا ما لنا من حقوق .

لكن وإن تغاضيت عن كل هذا ونظرت فقط إلى تلك المكالمات دون النظر إلى ما يحيط بها من تساؤلات لوجدتها من أسعد المكالمات التي استقبلتها في حياتي .. نعم .. أحبك .. تلك الكلمة التي تعيدني إلى سنوات مراهقتي .. عندما كنت فتاة في الخامسة عشرة من عمري .. كانت التجربة الأولى لي في هذا العالم المشع بالرومانسية والممتلئ بالكلمات الرقيقة مع ذلك الصبي الذي كان ينتظرنى دائماً أمام باب المدرسة الثانوية .. يا لها من أيام .. كنت كما أنا في عاداتي وتقاليدي وكأنني لم أتغير ولا يمر بي الزمن منذ ذلك الحين .. كنت أضيع وقتاً ثميناً أمام مرآتي وأنا أصفف شعري وأضع المكياج والروج على

شفتي .. ما أجمل تلك الأيام التي كنت أشعر فيها بمعالم أنوثتي تجذب الجميع نحوي، يا لها من أيام لا تنسي حقاً تلك التي نسميها أيام المراهقة والتي أراها أيام نضوجي كلياً من جميع النواحي والاتجاهات .. كنت أصاب بخجل شديد عندما كانت والدتي تفتح باب غرفتي وتدخل لتجديني أقوم بذلك العمل .. لن أنسى أول يوم شاهدتني أقوم بذلك وتلك الكلمات التي قالتها لي .

- إنتي بتعملي إيه يا ميران ؟!

- ها .. لا يا ماما .. مفيش .

- إنتي بتخطي مكياج ! والله وكبرتي وبقيتي عروسه أهو .

بالرغم من خجلي الشديد وخوفي من دخول أُمي .. لكنني وجدت على ملامح وجهها سعادة بالغة عندما استشعرت أنني أصبحت فتاة ناضجة ولي ميولي وتوجهاتي .. وما أجمل حكمة الأم واستيعابها للأمور الهامة في مراحل حياتي كفتاة تبلغ يوماً بعد الآخر .. تحيط بها المخاطر وتنخرط في عالم منفتح بكافة التوجهات والثقافات .. كانت دائماً تعلمني الصواب .. بمتهي البساطة والوضوح هي من علمتني معنى الحرية التي يجب أن أعيش فيها دون الإخلال بقواعد التربية والعادات الشرقية ، وفي حدود اللياقة والأدب المطلوب توافره في أنثى داخل هذا المجتمع ..

وأعترف أن ذلك أثر في ميولي وتوجهاتي واختلفت تماماً عند دخولي الجامعة .. وتحديدًا بعد مرور أول شهور الدراسة الجامعية .. لا أنكر أنني في بداية الأمر كنت أحاول أن أظل على قناعاتي بأشياء طفولية بعض الشيء وأشياء

جنونية أخرى بعض الشيء .. كان أول شهر في الجامعة بمثابة حالة من عدم الاتزان ولا أعرف كيف لي أن أرتدي ملابس مثيرة وتسريحات شعر مختلفة كل يوم عن اليوم الذي سبقه .. والذهاب المتكرر في رحلات يومية مختلفة بين شوارع القاهرة الساحرة .. أم أترك كل ذلك وألتزم فقط بمحاضراتي ودراساتي وعدم الانسياق خلف كل ذلك .. إلى أن شعرت أنني بكل هذا التخطب الذي اجتاحني وجلست معي وأعادت صياغة الأمور مرة أخرى بداخل عقلي كانت كلماتها لي بمثابة طوق نجاة .. لقد علمتني معنى المسؤولية وجعلتني أدرك حجمها الآن وكيف ستصبح أكبر مع مرور السنوات القليلة القادمة إلى أن أصبح زوجة ومسئولة عن حياة الآخرين .. عندها اختلف كل شيء .. وكان أول شيء هو ذلك الصبي الذي اختفي مع الأيام القليلة الأولى في بداية العام الدراسي .. لقد ذهب هو إلى إحدى الجامعات الخاصة .. أما أنا فذهبت إلى واحدة من أعرق وأقدم الجامعات على مستوى العالم .. جامعة القاهرة .. لكي تسهم بشكل كبير في تغيير حياتي وتفكيري في كل شيء من حولي، حتى تلك العادات الخاصة بمظهري والتي أخذت قدراً كبيراً من اهتمامي بعد دراستي بالطبع .. كل هذا لا يهم .. أهم شيء حدث في ذلك التوقيت هو زوجي .. كان يكبرني بثلاث سنوات فقط .. كان رئيساً لاتحاد الطلاب في ذلك الحين بالفرقة الرابعة .. كنت أشاهده دائماً من بعيد لا يهتم بأي شيء في حياته داخل الجامعة إلا دراسته .. ولن أنسى ذلك اليوم الذي جعلنا أقرب شخصين في تلك الجامعة حينئذٍ .. لقد أنقذ حياتي يومها .. كانت مشاجرة بيني وبين إحدى صديقاتي حول أمر - يومها - لا

يستحق المشاجرة من الأساس .. لكن الكلمة التي خرجت من فمها لي كانت كالخنجر الذي اخترق عنقي .. لقد اهتمني بالتعالي والتكبر والغرور وأنا لم أكن كذلك يوماً ما قط .. وخرجت على إثرها من الجامعة والدموع تملأ عيني، وقدمي لا تقوي على حملي ولا أدري أي شيء وكادت تصدمني إحدى السيارات أمام الجامعة وأنا أنخطي الطريق .. لولا هو .. لا أعلم من أين أتى .. لكنه القدر .. في ذلك الحين رفض أن يتركني أرحل وأنا في تلك الحالة التي تشبه فقدان الوعي .. عاد بي مجدداً إلى داخل الجامعة .. لكن هذه المرة إلى داخل الكافيتريا .. هناك رأيته وكأنني أراه للمرة الأولى .. ما أجمل عينيه الصافيتين! كان صوته يدل على شخصيته .. إنه هادئ للغاية .. وقور بمعنى الكلمة .. يمتلك جاذبية خاصة تجعل الجميع يحترمه ويخضع لتعليماته .. لا أنكر أنني في ذلك اليوم نسيت كل شيء في حياتي وكأني ولدت منذ دقائق قليلة فقط .. أصابتنى يومها حالة من السكون .. كنت أجلس أمامه وكأنني في حلم جميل .. عالم آخر غير الذي نعيش به .. لدرجة جعلته يسألني:

- ما لك .. بتبصي لي أوي كده ليه؟!

-ها .. لا مفيش .

ومن هنا بدأت رحلتنا .. لم يمر الكثير من الوقت .. وجاء لي يقولها صريحة .. أحبك .. كنت أنتظرها منذ أن جمعنا أول لقاء .. لكن حين قالها كان لها مذاق آخر .. ما أجمل أن تسمع ما تتمناه من شخص ترغب أن تقضي بقية عمرك بين يديه .. وهذا ما تحقق .

لكن لا شيء يبقى على حاله كما هو متعارف عليه .. أخذتنا دوامة الحياة

لتدخلنا في سباق مع الأيام .. فالظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت البلاد تمر بها حين زواجنا لم تكن بتلك الصعوبة التي وصلت إلى حد الجنون في ارتفاع الأسعار مع السنة الأولى من زواجنا .. كادت أحلامنا التي ظللنا نحلم بها طوال أربع سنوات حب تتبخر لدرجة أن زوجي أصبح يعمل في الشهر أسبوعاً واحداً فقط .. مما دفعنا للاقتراض من جميع المعارف والأقارب .. وجلسنا بحكمة فيما بيننا بعد رفض إدارة الجامعة تعيينه كمعيد بها بالرغم من تفوقه واتخذ قرار السفر بعد أن تلقى عرضاً من أحد الأصدقاء بالعمل في إحدى الشركات الهندسية الكبرى في إحدى دول الخليج وما كان لنا إلا أن نقبل العرض .. ليحكم علينا القدر أن نفرق بأجسادنا وتبقي روحنا متعانقة ومتوحدة .. وكل ذلك من أجل الرزق والعمل .

وماذا اكتسبنا غير المال؟ وما المقابل الذي دفعناه من أجل الحصول عليه؟ ها هو في بلد يعمل ويكد ليل نهار ولا يفكر في شيء إلا عمله لدرجة جعلته ينسي يوم عيد ميلادي .. وها أنا هنا أعمل وأجتهد وأغرق نفسي في دوامة الحياة من أجل أن أحد من تلك الرغبة العارمة لاشتياقي إليه كل ثانية بل كل لحظة بل في كل نفس أنفسه .. إلى أن جاءني صاحب هذا الصوت الصادق والأنفاس الدافئة لكي يحطم كل الحصون والسدود والموانع التي صنعتها من أجل تلك اللحظة .. وها هو الآن يعود مجدداً ليزيد من حيرتي وضعفي .. ولا أدري ما تخفي لي الأيام القادمة ..

يجب أن أخلد إلى النوم وأترك ذلك التفكير الذي لا يدفعني إلا لمزيد من الضعف والهوان تصبح على حال أفضل مما أنت عليه يا قلبي .

اليوم الرابع

من الصعب أن تجد ما تبحث عنه بكل سهولة ويسر وإلا ما كان له أي قيمة عند إيجاداه .. هذا ما اكتسبته ليلة أمس من التفكير العميق الذي اجتاحني في كل ما يحدث لي هذه الأيام وكأني أتعرض لهزة أرضية عنيفة تجني كل ثمار الاستقرار بداخلي وتركني كصحراء جرداء ..

ظل فكري مشغولاً بذلك الأمر الذي حدث ليلة أمس .. ترى من صاحب ذلك الصوت ومن أين أتى برقم الهاتف .

إن فضول المرأة تحديداً قاتل .. لا يهدأ .. وما أصابني هو ثورة عارمة اجتاحت كل كياني .. وإصرار شديد ورغبة لا توصف في معرفته .. وإن لم يحدث ذلك ربما أصاب بالجنون .

أصبحت أبحث عنه في كل مكان .. في الصباح عند ذهابي إلى العمل رأيت البواب ينظر لي نظرة مختلفة تماماً .. ربما كانت هي دائماً التي ينظرها لي .. لكن لا .. إنها مختلفة عما هو معهود .. ثم إنه لم يعتد تلك الابتسامة التي ترسم على شفتيه الآن .. والأهم من ذلك فهو دائماً يتميز بالبرود ولم يكن يحرك ساكناً عندما يراني من قبل لحظات خروجي أو رجوعي والآن

يفعل ما هو غير مألوف .. إنه يقف لاستقبالي ومن المنطقي أن ذلك كله يلفت انتباهي وانتباه أي شخص في موقعي لذلك تعمدت أن أتحدث معه لكي أستمع إلى صوته .. ربما يكون هو.

- صباح الخير يا صبحي.

- صباح النور يا ست هانم .. أوقف لحضرتك تاكسي؟

- لا .. شكرًا.

- العفو يا هانم!

للحقيقة لم أستطع في ذلك الحين أن أميز صوته، أو بمعنى أدق لم أستطع أن أعقد تلك المقارنة التي أبحث عنها .. أخذني فضولي مرة أخرى لكي أستمع إلى صوته مجدداً .. كنت في بداية الأمر مترددة بعض الشيء وما هي الحيلة التي سأبتدعها من أجل الوصول إلى غايتي .. وفجأة همس هاجسي لي لي طرح علي تلك الحيلة الشيطانية والطبيعية في ذات الوقت .. سوف أستدعيه ليوقف لي تاكسي، وبالفعل ناديت وطلبت منه أن يقف بجواري حتى يأتي تاكسي ويستوقفه لي .. هنا طرحت عليه سؤالاً من تلك الأسئلة ذات الإجابة الطويلة .. ومن المعهود عن صبحي عشقه للحديث والثرثرة وكأنني أعطيته الفرصة التي يحتاج إليها دائماً .. ظل يتحدث ويثرثر حتى تيقنت أن ذلك الشخص من آخر المستحيلات أن يصبح بهذا الكم من العشق والرومانسية التي أبحث عنها .. عندها استوقفت التاكسي وتركته وذهبت إلى عملي دون أن أهتم بهذا الأمر.

وفي الطريق طرح عقلي سؤالاً هاماً .. ما هذا الغباء الخارق الذي أصابني

من شدة الفضول؟ هل جنت؟ كيف لي أن أهدر كل هذا الوقت مع صبحي لكي أعقد مقارنة بينه وبين ذلك الرجل صاحب الصوت الصادق والأنفاس الدافئة؟ كيف لهذا الشخص أن يكون بتلك المشاعر التي امتلكتني وهزت كياني؟ ثم إن صبحي يتسم بالغباء وكيف لشخص غبي يعشق أنثى مثلي في جمالي وذكائي؟ ثم إنه لا يجرؤ على فعل هذا الأمر فإن له زوجة أشبه بالحرباء ربما لو استشعرت أن زوجها يخونها بمجرد التفكير في أنثى غيرها سوف تلدغه لدغة سامة يقضي على إثرها نحبه ويكون في عداد الموتى بعدها بلحظات .. إنه أمر غبي مني لتفكيري في هذا الرجل ويجب أن أعاقب نفسي .. ظل هذا الأمر يشغلني وظللت أعنف نفسي وأسخر منها إلى أن وصلت لمقر عملي .. وهناك جلست على مكثبي بعد أن تناولت الإفطار كالعادة مع زملائي في العمل .

بدأت أنهمك في عملي لكي أنجزه في وقته المحدد .. وفي ظل هذا الانهماك جاءني أحد العملاء لكي أنجز له عملاً .. وعندما رفعت رأسي لكي أنتبه إليه وجدته شخصاً يلفت الانتباه من صوته.

- صباح الخير!

- صباح النور .. اتفضل يا فندم.

هنا امتلكني شعور غريب أول مرة أستشعره منذ أن التحقت بتلك الوظيفة .. فأنا منذ عهدي في هذا المكان لا أهتم بأمر مظهر العميل الذي يجلس أمامي ولا أنجذب إليه مهما كانت سماته، لكنني بالفعل في هذه المرة رغماً عني انجذبت وبكل هدوء أشرت إليه بالجلوس وأنا أسبح في سحر

عينيه .. وبالفعل جلس أمامي وبدأ في الحديث لكي يأخذني بصوته إلى عالم آخر ومكان غير الذي أجلس فيه حينها .. كانت نبرة صوته مميزة .. ويتميز بالوسامة وجمال المظهر .. ومن هنا أخذ يتحدث وأنا لا أهتم بحديثه .. وكل ما كنت أفكر فيه هو شيء واحد فقط .. هل يكون ذلك الرجل هو صاحب الصوت الذي أبحث عنه .. إنه يحمل كل الصفات والسمات التي أستشعرها وأحس بها .. لكن هناك شيء ما بداخلي يختلف مع تفكيري .. شيء يقول لي إنه ليس الرجل المراد .. ربما نظرات عينيه الحادة والجادة التي تدل وتعبر عن أنه لا يهتم إلا بشيء واحد فقط .. قضاء أمره ومهمته التي قدم إليها .. لكن تلك الكلمات التي تخرج من فمه ويختارها بعناية فائقة تتناقض مع ذلك التفكير الذي يراودني .. ما كل هذه الحيرة التي أصابتنني!

آه لو أعلم من هو صاحب هذا الصوت .. يا له من شخص غامض ومثير لدرجة تثير الفضول حقاً .. ولماذا فعل كل هذا بي .. ولماذا أنا تحديداً دون الآخرين .. ما هو سر عشقك لي .. وما سر انجذابي إليك .. أرجوك إما أن تأتي وتصدقني القول مثلما فعلت يوم عيد الميلاد وإما أن تمضي بكل حنينك بعيداً عن حياتي .. فأنا أضعف مما تتصور .. لا أود أن أدخل في دوامة عشقك والبحث عنك فعندي ما يكفيني.

وأنت أيها الزوج الغائب الحاضر بين الوجدان .. أين أنت الآن وأنا في أمس الحاجة إليك .. هناك رياح عاتية قادمة تجاهي أحتاج إليك لأحتمي بك من شدتها .. وأخشى كل ما أخشاه أن تأتي في الوقت الضائع لا تجدني

مثلما تركتني وذلك بسبب ذلك المجهول.

أيها المجهول هناك نساء على وجه تلك الأرض كثيرات .. لماذا أنا من اخترتها تحديداً لكي تصيبيها بسهام عذابك .. وتركها أسيرة التفكير والبحث عنك .

انتهى الأمر بأن ذلك العميل الذي جاء لقضاء عمله مضى .. وتيقنت أنه ليس هو بلا أي شك .. وكيف يكون من أبحث عنه بكل هذه الرومانسية ويجلس أمامي وعيناه لا تنطق بما نطق به لسانه ليلة عيد الميلاد.

أنجزت عملي وتركت مكتبي وتوجهت إلى الخارج مغادرة المكان .. لكن وقبل أن أغادر حدث شيء يستثير فضولي ويشد انتباهي من جديد .. إنه مديري في العمل يقف أمام مقر العمل بسيارته ويناديني ويعرض علي أن يصطحبني إلى المنزل في طريقه.

وبما أن اليوم كان شاقاً للغاية في رحلة البحث عن ذلك المجهول فما كان علي إلا أن أقبل ذلك العرض لكن دون الخوض في تفكير وبحث جديد .. وما المانع في قبول العرض ما دمت سأرحم من زحمة وعناء المواصلات التي تأخذ نصف طاقتي يومياً؟ ثم إن طريقنا واحد فهو يسكن بالقرب من مسكني .. هذا بالإضافة إلى أنه زوج صديقتي الوحيدة فعلى ما أظن هو عرض مناسب وليس من الذوق أن أرفضه خصوصاً أنه جاء في الوقت المناسب لأنني وبكل صدق لا أقوى على رفع قدمي من الأرض من كثرة الإرهاق وعناء التفكير.

وبالفعل وصلت إلى المنزل وأنا أستمع إلى ثرثرة مديري في العمل دون

تركيز أو اهتمام لكل ما قاله .. وكان هدفي الوحيد هو الوصول إلى المنزل للحصول على قسط وافر من الراحة وها أنا أحقق ما سعت طوال الطريق إليه .. توجهت إلى غرفتي بعد أن تناولت طعامي وأنا أشاهد المسلسل الذي يستهويني، ثم انتهيت وأمسكت بأوراقتي وقلمي وكتبت ما سبق إلى أن تملكني التعب الشديد وأعلنت كل أجزاء جسدي عدم التحمل للبقاء مستيقظة ولو لدقيقة واحدة قادمة .. لذلك وجب علي الرضوخ والاستسلام .

والآن علي الخلود إلى النوم .. تصبح على خير وسلام .

اليوم الخامس

ما أجمل أن تستيقظ في موعدك المحدد دون أن تشعر بأنك ما زلت بحاجة إلى النوم .. فأنا لم أشعر بأي شيء حولي منذ أن تركت أوراقى وقلمى بالأمس إلى أن استيقظت في الصباح .. أول شيء شعرت به عندما فتحت عيني أنني لم أغلق جهاز التلفزيون، كان أمراً يدعو إلى الخوف الشديد عندما تستيقظ وأنت بداخل المنزل بمفردك لتسمع أصواتاً أخرى معك بداخل المكان .. لكنى سرعان ما اطمأن قلبي عندما تأكدت أن الصوت صادر من جهاز لا من شخص ..

يجب أن أعيد التركيز في كل شيء حولي .
يجب أن أنظر بكل دقة وتمعن إلى تلك الأمور التي تدور حولي تجاه الآخرين .. هذا هو القرار الناتج عن هذا اليوم .
كنت قد ذكرت أنني بالأمس تعرضت لأشياء مثيرة ومدهشة وكل ذلك بسبب هذا الهاجس الذي يدور بداخلي لصورة رسمتها بمخيلتي لذلك الحبيب المجهول .

نعم إنه هاجس بلا شك .. هاجس دفعني إلى التفكير في كل شيء حولي

يحمل صفات الذكورة ويجذبني نحوه بحثاً عن حلم وشعور يمتلكني أنا وحدي بيني وبين نفسي فقط .. لا أحد يشعر به ولا يعرفه غيري، ورغم كل ذلك مستمرة لسماع صوت هاجسي الذي يكاد أن يصيبني بالجنون.. وما زلت أصمم على معرفة صاحب الصوت الذي تسبب لي في كل هذا. لكن للحقيقة، إن استمر ذلك الهاجس سوف أخسر كثيراً بلا شك .. كنت قد ذكرت ما حدث لي بالأمس عندما عرض علي مديري في العمل أن يقوم بتوصيلي في طريقه بسيارته إلى المنزل .. وذكرت أيضاً أنني كنت مرهقة ولا أقوي على أي شيء وأتمنى أن أصل إلى منزلي بأي وسيلة كانت من أجل أن أحصل على قسط من الراحة الذهنية جراء الضغوط التي تحملتها .. أو إن دق تعبري حملتها على نفسي في رحلة البحث عن ذلك الرجل صاحب الصوت الصادق والأنفاس الدافئة .. وكان ذلك سر قبولي لعرض مديري بالأمس .. ولم أتطرق للتفكير في أي شيء منذ ذلك الحين حتى عدت إلى عملي اليوم .. استدعاني مديري في العمل بمجرد أن تواجدت في مقر عملي .. وما إن طرقت باب مكتبه إلا ووجدت ملامح الغضب تكسو وجهه مما أصابني بدهشة شديدة وجعلني أحدث نفسي متسائلة:

- هو ماله كده وشه عليه غضب ربنا ... ربنا يستر.

وما كان علي سوى أن أبتسم في وجهه لكي أمتص موجة الغضب العارمة التي تنتظرنني والتي يبدو لي بلا شك أنها قادمة بلا محالة .. واستحضرت كل معالم أنوثتي ووضعتها في صوتي لكي أرسم به جملة واحدة فقط .

- صباح الخير يا فندم .. حضرتك طلبتني .
 - أيوه .. يا ميران .. اتفضلي اقعدي .
 كانت تلك الجملة لها مفعول السحر .. يا لهؤلاء الرجال كم هم على قدر من الطيبة والتسامح والضعف أمام الأنوثة .
 لقد أذابت تلك الجملة ذات الصوت الحنون كل ملامح الغضب التي كانت تملأ وجهه .. ليس ذلك فحسب .. بل تحول إلى كتلة من الخجل ..
 يبحث عن الكلمات التي يجب أن يوجهها لي .. ثم جاء بعد أن استجمع قواه وأخبرني أنه لا يجب تلك الطريقة التي عاملته بها بالأمس .
 وما إن قال ذلك إلا وأخذت نفساً عميقاً ليعيدني إلى الحياة مرة أخرى وأنا أحدث نفسي في سخط منه .
 - بقى كل القلق والتوتر اللي إنت معيشني فيه ده علشان مش عاجباك طريقتي اللي عاملتك بها إمبراح .. دانت رجل شكلك أهبل وعبيط .. المفروض أعاملك إزاي يعني يا سيدي السيد .
 يا له من رجل بلا شخصية ولا عقل يدبر الأمور جيداً .. حقاً ما هي الطريقة التي يجب أن أتعامل معك بها .. لقد عرضت علي أن تقوم بتوصيلي وأنا تقبلت العرض عن طيب خاطر .. فما الداعي إذن لكل هذه الضجة التي تقوم بها .
 أنهيت الأمر بالاعتذار عن الأسلوب الذي لا يروق له من وجهة نظره .. وتقبل هذا الاعتذار بكل سداجة ممتزجة بالسعادة .. ثم استأذنت منه لكي أعود إلى عملي، لكنه طلب مني الانتظار قليلاً نظرت له والدهشة تمتلكني

وعلامات التعجب تملأ ملامح وجهي وأنا أسأله:

- حضرتك عايزني في حاجة ثانية؟

- آه .. فيه موضوع مهم عايز أتكلم معاكي فيه .

- تحت أمرك يا فندم!

ظننت الأمر في بدايته أنه يتعلق بالعمل .. ربما هناك أمور أو بعض الملاحظات التي سيلفت نظري إليها .. لكنه تطرق بالحديث إلى شيء آخر تماماً غير الذي أنتظره وأتوقع أن يتحدث عنه .. إنه يخبرني عن علاقة الرجل والمرأة .. ويخبرني أيضاً أن الرجل دائماً يعمل ويكد من أجل امرأة يحبها ويعشقها .. لكي يوفر لها كل احتياجاتها .. لكن إن كانت تلك المرأة لا تشعر بكل هذا الحب الموجه إليها من ذلك الرجل الذي يحبها يخسر الطرفان .. لم أكن أتوقع لتلك الكلمات التي تخرج من فمه أن تخرج من الأساس .. هنا لم أقو على الرد إلا أن هزرت رأسي موافقة على كل ما قاله، وهنا أذن لي بالذهاب وهو يكرر عرض الأمس .. لكنني هذه المرة رفضته بكل أدب واعتذرت متحججة بأن إحدى زميلاتي في العمل تريد الذهاب لشراء بعض الأغراض الخاصة بها وتريد مني أن أذهب معها .. وتقبل هذا الاعتذار بكل سداجة وهو يحاول أن يأخذ مني وعداً بأن يقوم بتوصيلي في اليوم التالي.

تركت مكتبته وأنا أتنفس الصعداء .. يا لسذاجتي .. كدت أن أخسر وظيفتي بسبب أسلوب الجاف معه .. هنا استوقفتني سؤال هام للغاية .. ما سر هذا الاهتمام المبالغ فيه؟ وما الداعي لتلك الكلمات التي قالها لي

عن العلاقة بين الرجل والمرأة؟ ولماذا تحدث عن الحب والكد والتعب من جانب الرجل لأجل المرأة؟ ولماذا لمح إلى الخسارة؟ وماذا يعني بكل هذا؟ ترى هل يجبني؟ ربما

ما هذا الجنون الذي أفكر به؟ هل يكون هو صاحب الصوت الصادق والأنفاس الدافئة؟ بالأمس لم أركز في نبرة صوته لأنني كنت مستهلكة من شدة التركيز في أشياء بلا قيمة مثل ذلك العميل بالإضافة إلى البواب الغبي الذي لا يعشق في حياته إلا الثروة في أي شيء وكل شيء .. وعندما كنت أجلس أمامه اليوم لم أهتم بأي شيء، وكان هدفي الوحيد هو الخروج من تلك المعركة الشرسة دون أن أخسر وظيفتي .. أو حتى أسمع أي كلمة تجعلني أشعر بضيق واستياء .. لكنني للحقيقة لم أنتبه إلى صوته.

لكن لماذا لا أنتبه؟ ولماذا استبعدته من دائرة ظنوني؟ إن تلك التصرفات التي يقوم بها منذ اليوم الذي تلا يوم عيد ميلادي مختلفة تماماً .. أتذكر أنه قبل ذلك اليوم لم يكن هكذا .. لقد كان يتعامل معي بكل شدة وحزم .. وكان دائم التوبيخ لي عندما أختلف عن حضوري للعمل في المواعيد الرسمية .. لقد اختلف ذلك تماماً بعد عيد الميلاد .. أتذكر أنني في اليوم التالي تأخرت ما يقرب من ساعة ونصف الساعة كاملة .. ولم يوجه لي أي عتاب أو لوم .. بل قال لي سأعتبر ذلك هدية عيد الميلاد .. ثم بالأمس .. يأتي ويعرض على أن يقلني بسيارته إلى منزلي .. هي المرة الأولى له .. بالرغم من أنه يسكن بجواري تقريباً في نفس المجمع السكني لكنه لم يسبق أن قدم نفس العرض قبل عيد الميلاد.

واليوم .. مجرد أن استحضرت أنوثتي في جملة صباح الخير .. إلا وتبدلت معالم وجهه تماماً من غضب إلى خجل وراح يخبرني عن مدي إدراكه لمعنى كلمة حب ومدى إخلاص الرجل للمرأة عندما يخضع لقلبها وتأسره أنوثتها .. ترى .. هل كل هذا التحول الملاحظ منطقي ومعقول؟ لا أظن . لكن .. لن أستطيع أن أعود إليه مجدداً لكي أبدأ في البحث بداخله عما أنا أحتاج إليه .. ولا أستطيع أن أقبل عرضه اليوم بتوصيلي إلى منزلي لكي أستمع إلى صوته مجدداً بكل ما أوتيت من تركيز وقدرة على استرجاع شريط الذكريات الذي يحمل ذلك الصوت الصادق لكي أقارنه بصوت مديري ..

ترى .. ماذا علي أن أفعل الآن؟ لقد زادت الشكوك بداخلي تجاهه .. كل تصرفاته توحى بذلك .. سأصبح مثلاً للأنثى الغبية إن صدقت تلك الظنون والهواجس .. لا يجب أن أسير خلفها حتى أستطيع أن أصل إلى ما أبحث عنه .. إن كل المؤشرات توحى بذلك .. إنه هو .. نعم ليس هاجساً .. يجب أن أستغل كل شيء متاح ومباح لجذبه تجاهي حتى أتمكن من إدراك الأمور ووضعها في نصابها الصحيح .. وأنهي هذا الجدل الدائر بين عقلي وهواجسي .. لكن وللأمانة كل ما لاحظته على وجهه من تغيرات تؤكد صدق هواجسي .. لا .. لا يجب أن أنصاع خلفها .. هي مجرد هواجس .. نعم .. ربما يكون ذلك بكل ما فيه هواجس بداخلي أنا فقط وعلى أن أعيد تفكيري .. لذلك كان قراري الذي اتخذته في بداية الأمر .. عندما قررت أن أمسك بقلمتي وأسجل ما دار معي وفيما فكر عقلي ونبض به

قلبي واستشعرته مشاعري وأحاسيسي .
يجب أن أعيد التركيز في كل شيء حولي .
يجب أن أنظر بكل دقة وتمعن إلى تلك الأمور التي تدور حولي تجاه
الآخرين .. لكن ماذا يحدث لو كان كل ذلك وهماً .. من وحي الخيال ..
لا أمتلك الإجابة الآن .. كل ما أشعر به أنني أود أن أخلد إلى نوم عميق
.. لعلني أجد ضالتي في عالم الأحلام .

اليوم السادس

ليس من المستحيل الوصول إلى ما ترغب به وتتمناه ما دمت عليه قائماً.
ها أنا بين صفحتي من جديد .. أبوح إليها بكل أسراري .. أحاكها ..
تستمع لي .. تهون وحدتي .. وتضمد جروحي .. وتقلل حيرتي .
بالأمس .. كنت قد قررت أن أغير نظري فيمن حولي .. كنت قد أعلنت
التحدي واتخاذ كل التدابير اللازمة من أجل معرفة شخص يحب ويعشق
قلبي وروحي وأنا لا أعلمه .. قد عقدت العزم على حل لغز حياتي الذي
أصابني منذ يوم عيد ميلادي .

كانت دائرة الشك بالأمس توجهت نحو مديري في العمل .. بعد أن
لاحظت تلك التغيرات التي لحقت به في الفترة الأخيرة، وتحديدًا بعد عيد
الميلاد مباشرة .. وكنت قد عقدت العزم أيضاً أن أقرب منه اليوم لكي
أستمع إلى صوته بتركيز وتمعن وأقارنه بذلك الصوت الهامس الصادق
الذي جاءني بكلمة هزت كل مشاعري وقلبت حياتي رأساً على عقب
.. ربما يكون هو خصوصاً بعد أن باغتني بحواره أمس عن حب الرجل
للمرأة وكم المعاناة التي يعانيتها من أجل إسعادها وتوفير وسائل الراحة

لها.

لكن دائماً ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن .
حدث اليوم شيء في منتهي الدهشة .. أطاح بكل ما كنت أرتب له ..
وعصف به من مجريات يومي .. لقد حضر مديري إلى العمل وقضينا يومنا
دون أن نتقابل أو نتعامل نهائياً .

في بداية اليوم كنت أظنه سوف يرسل في طلبي إلى مكتبه بأي حجة واهية
من حججه التي اعتادها مؤخراً .. لكن مر وقت ليس بقصير ولم يرسل
في طلبي .. لم أهتم بذلك وقلت لنفسي بلا شك إنه سوف يقوم بالاتصال
بي عبر هاتف المكتب ليطلب حضوري دون استدعائي بشكل رسمي ..
لكن خاب ظني ولم يحاول الاتصال بي عبر الخطوط الداخلية للشركة ..
كنت أنظر إلى عقارب الساعة وأنا أحاول أن أصبر نفسي بأن اليوم مازال
في بدايته .. ربما سيرسل في طلبي بعد قليل .. وتمر الدقائق بي كالساعات
.. ويزيد قلقي .. تملك التوتر مني ولم أعد أستطع التركيز في أي شيء غيره
.. أود أن أستمع إلى صوته بأي شكل من الأشكال .. أود أن أنتهي من
مرحلة الشك والظنون التي تجتاحني .

لكن لا جديد .. انتهى نصف اليوم ولم يتصل ولم يرسل بطلبي ..
كنت في تلك الفترة لم أنجز إلا أشياء قليلة من عملي .. واستسلمت تماماً
لضعفي ووهني .. صار كل شيء بداخلي يبحث عنه وتؤكد لي هواجسي
أنه هو .. فهي نفس أفعاله وتصرفاته .. نعم إنه هو صاحب الصوت
الهامس والأنفاس الدافئة لكن ماذا علي أن أفعل الآن وهو يحاول الاختباء

والهروب مني ليزيد من قلقي وتوتري .. يجب أن أتخذ القرار الصائب
وكان قرارى ألا أشغل رأسى به وأنا أقول لنفسى:

- هو يعنى بيختبرنى .. طيب مش هاسأل فيه .. لما نشوف مين هيشتا
للتانى أكثر .. ماشى .. مش هافكر فيه لحد ما يبجى ولو ماجاش أنا مش
هاروحله .

ودون أن أدري وضعت رأسى بين يدي من كثرة الصداق الذى لحق
بى وهنا رأيت صورة زوجى أمام عيني وهو يسألنى عما أصابنى .. كان
السؤال غريباً والأغرب التوقيت .. ودون لطف وجدتنى أعنفه وأحمله
مسئولية ما أنا فيه .. نعم أنت السبب .. إهمالك لى هو ما دفعنى إلى
التفكير فى غيرك .. اغرب عن وجهى الآن .. أود أن أحصل على قسط
من الراحة دون التفكير بك أو بغيرك .. وبالفعل ذهبت صورته من ذهنى
لتحل محلها صورة ذلك المدير الذى أصبح لغز حياتى .. فرفعت رأسى من
بين يدي وأنا أحاول أن أترك كل ما بها من أفكار تكاد أن تودي بحياتى ..
وأعود إلى طبيعتى دون حبيب .

ورحت أشغل رأسى بالعمل لكى أطرد اشتياقى إلى سماع صوته .. لكن
اللعة على الحنين عندما يتملك من قلب وعقل المرأة .. وخصوصاً عندما
يشغلها الخيال وتطاردها الهواجس .

رحت أطرح أسئلة عديدة:

- لماذا لم يسأل عني كل هذا الوقت؟

- تري هل حقاً هو الذى أتمناه؟

- إن صدق ظني لماذا كل هذا التريث؟
 - هل يشغلني بهذا القدر معرفة حقيقته؟
 تساؤلات كثيرة من هذا القبيل .. إنني بلا شك على هاوية الجنون من
 كثرة التفكير في ذلك المجهول .
 إن كان هو فسوف أعامله بشكل يليق به .. وسوف أعنفه كثيراً على تلك
 الحيرة التي ألت بي من جراء أفعاله الصببانية ..
 لا .. إنها ليست بأفعال صببانية .. إنها أفعال رومانسية .. أفعال عاشق
 في زمن ولى عنه العشق .. إنه الحب النادر والإحساس الصادق .. إنها
 المشاعر الدافئة الصادقة التي لا يشوبها العكار .. إنه حب بلا زيف .
 كادت رأسي تنفجر من كثرة التفكير والتساؤلات .. لماذا يسوقني قلبي
 إلى كل هذا ؟ لماذا يحكم علي بالحيرة والتوتر الشديد؟ ماذا زرعت حتى
 أجني كل هذا العذاب؟ أنا لم أعد أقوى على تحمل كل هذا العناء حقاً ..
 لن أنتظر كثيراً.

دخلت المرحلة التالية من طول الانتظار .. نعم انهارت دكتاتوريتي أمام
 كبريائه .. لديه كل الحق ألا يسأل عني .. لا يفترض أن يأتي لي ويقولها
 صراحة أمام مرأى ومسمع الجميع .. يجب أن أبادله نفس الشعور
 والإحساس .. إن كل أفعاله تدل على أنه صاحب تلك الكلمة الذي
 أبحث عنه .. نعم يجب أن أتحرّك وأترك مكاني وأذهب إليه لكي أقطع
 الشك باليقين وأستمع إلى صوته وأنهي هذا الجدل الكبير بيني وبين
 نفسي .. وهذا ليس عيباً وليس به أي شيء ينقص قدرتي أمام الآخرين

.. إني أحبه .. لماذا أخفي ذلك؟ لماذا أتعلل بكل هذه الحجج الواهية؟ لماذا لا أذهب إليه؟ ولماذا أنتظره؟ لقد بادر وقلها هامساً .. لا يهم هامساً أو صارخاً كل ما يهم أنه قلها .. لذلك يجب أن أذهب أنا وأقوم بدوري نحوه .. لكن ماذا ستكون حجتي عندما أطرق باب مكتبه وأدخل عليه؟ ما هو الحوار المفترض أن يدور فيما بيننا من أجل إنهاء هذا الخلاف الدائر بين قلبي وعقلي؟

أخذت أفكر في الكلمات التي يجب أن تخرج من فمي إليه.
- ما هو أنا برضه مش هاروح أقوله هو إنت اللي جيت تقولي بحبك يوم عيد ميلادي.

كنت أسخر من نفسي بالطبع .. فمن المستحيل أن يحدث ذلك حتى ولو دارت عقارب الساعة إلى الوراء .. ماذا سأفعل؟ ما الحيلة التي سأدخل عليه بها؟ امتنعت عن التفكير إلى أن وجدت ما .. نعم لقد عرض علي بالأمس أن يقوم بتوصيلي مجدداً إلى المنزل .. سأذهب إليه لأخبره أنني وافقت على هذا العرض وأنه اليوم المناسب بذلك لعدم ارتباطي بأي شيء آخر ..

توجهت إلى مكتبه .. وقبل أن أطرق الباب وقفت قليلاً لكي أخفي هذا التوتر الذي رأيته في مرآتي الصغيرة التي أخرجتها من حقيبة يدي، ببعض مستحضرات التجميل البسيطة التي أحملها معي في الحقيبة اختفت كل ملامح التوتر التي كانت على وجهي .. عدلت هيئتي .. واستجمعت قوتي .. وطرقت الباب .. كنت أنتظر صوته وهو يسمح لي بالدخول .. لكن

الانتظار طال .. مما دفعني إلى طرق الباب مرة أخرى .. وطال الانتظار مجدداً .. وذهبت أطرح التوقعات والاحتمالات .. ربما يكون طريقي على الباب ضعيفاً لا يصل إلى أذنيه .. ربما يكون منهمكاً في عمله ولا يركز في صوت طرقاتي على الباب .. لكن وبعد قليل جاء لي الساعي ليخبرني أنه ذهب في جولة بداخل المكان.

هززت رأسي وأنا أبتسم ساخرةً من أفعالي المراهقة، شكرت الساعي وعدت إلى مكثبي وجلست وأنا أعنف نفسي، وقررت ألا أشغل رأسي بأي شيء آخر إلا عملي .. وهو سوف يحضر لي بقدميه طالما يقوم بجولة بداخل الشركة ويمر على العاملين لكي يتابع سير العمل .. سوف أعمل بكل قوة وجهد لكي يطرق الباب ويدخل فيجديني لا أفكر في أي شيء آخر سوي عملي .. مما يثير دهشته .. فذلك يوصل إليه رسالة هامة أنني لا أهتم به أثناء عملي ولا أفكر فيه من الأساس .. لكن ماذا سيكون رد فعلي إذا صدق هاجسي وخانتني ظنوني وجاءني إلى مكثبي ليعترف لي أنه يجنبي .. وأنه هو صاحب ذلك الصوت الهامس والأنفاس الدافئة؟ ماذا علي أن أفعل عندما يقترب مني ويمسك بيدي ويقبلها؟ يا له من شعور رائع حقاً ذلك الذي أشعر به الآن وأنا أتخيل ذلك الفعل .. أظن أنني لن أبدي أي مقاومة .. وكيف لحبيب أن يقاوم من يحب ويرفض التعبير عن شعوره .. يا لتلك الهواجس وهذه الخيالات .. أصبحت وكأني مريضة أصابها الجنون .. يجب أن أنتهي من هذا التفكير سريعاً .. وبالفعل عدت إلى رشدي ..

أخذت أعمل بكل قوة .. لا أنظر إلى عقارب الساعة التي تسير بسرعة الرياح دون أن أدري .. كل ما أفكر فيه هو شيء واحد فقط .. عندما يدخل علي يجذني منهمكة في عملي .. فذلك أفضل كثيرًا .. ظللت على هذا المنوال إلى أن جاءني طرق الباب عندها انخلع قلبي .. إنه هو .. ودون أن أنظر صوب الباب أمرت الطارق بالدخول .. فوجدته الساعي .. مما أصابني بالذهول خصوصاً عندما سمعت ما جاء ليخبرني به .

- هو حضرتك مش هتروحي يا أستاذة ميران؟ دا كل الموظفين روحوا من بدري .

- ليه .. هي الساعة كام؟

- خمسة ونص .

- إيه؟! -

نصف ساعة مرت على موعد انتهاء عملي وأنا جالسة لا أنتبه إلى شيء واحد فقط .. دخوله علي .

انصرف الجميع بما فيهم هو .. دون أن أنتبه لأي شيء .. كان عقلي وروحي وكل كياني شاردًا في شيء واحد فقط .. ينتظر رجلاً واحداً فقط .. وذهب .. وأنا ما زلت أنتظره .. ترى هل سيعود .. لكنني سأظل أنتظر لعله يعود .

اليوم السابع

كثيراً ما يبنى في سنوات تهدمه الانفعالات.
عشت بالأمس ليلة في غاية الصعوبة .. فعندما وضعت رأسي على
وسادتي ولمحت طيف زوجي شنت عليه حرباً عاصفة من الكلمات
لأعنفه على إهماله لي وأوبخه وألقي عليه الاتهامات وأسوق إليه الأسباب
التي وصلت بي إلى تلك الحالة التي يرثى لها .
وبعد مرور أسبوع كامل على عيد الميلاد .. تذكر اليوم أن له زوجة كان
عيد ميلادها منذ أسبوع مضى ..

استيقظت من نومي على صوت هاتفي .. أعلم من المتصل .. إنه هو
.. فأنا أخصص له نغمة رنين مميزة .. حتى أتعرف عليه مباشرة وأجيب
اتصاله مهما كانت الظروف والأحداث .. فأنا أحياناً تصيبني حالة من
اللامبالاة تجاه هاتفي المحمول وأرفض أن أجيب على المتصل بالرغم من
معرفتي له .. لذلك قد خصصت له نغمة مميزة تجعلني أتعرف عليه عندما
أسمع صوت رنين هاتفي .

كانت المكالمات في أوائل الصباح .. تقريباً الخامسة أو الخامسة والنصف

صباحاً .. كنت أسبح في نوم عميق .. لأستيقظ على صوته .

- صباح الخير يا حبيتي .

- صباح النور .

- أخبرك إيه ؟ كويسة ؟

- الحمد لله .. تمام ..

- وأخبار شغلك إيه ؟

- أهو ماشي .

- آه .. كل سنة وإنتي طيبة .

- يا سلام .. إنت لسه فاكِر .. دانا فكرتك نسيت .

- لا والله ما نسيت .. بس غصب عني والله ظروف الشغل .. شوفي أنا

عارف إنك زعلانة وده حقك .. ومهما حلفت لك مش هتصدقيني .. بس

والله العظيم غصب عني .. وبعدين أنا متبهدل وعاش بعيد عنك ليه ..

مش علشان أوفر لك كل اللي نفسك فيه والي بتحلمي بيه .

- خلاص مصداك .

- بحبك .

ثم انقطع الاتصال .. انتظرت أن يعاود الاتصال بي مجدداً .. لكنه لم

يفعل .. أعلم جيداً أنني كنت قاسية وحادة في كلماتي معه .. لكنه يعلم

أن تلك القسوة ما هي إلا حب وحنين إليه .. ثم إنه يستحق مني كل هذه

القسوة رداً على قسوته وإهماله لي .. ألسنت بزوجته .. أليس من حقي أن

أشعر أنني كل شيء في حياته .. أليس من واجبه أن يتذكرني في اليوم كل

ثانية بل كل لحظة ويثبت لي ذلك .. علي العموم أنا الآن لست أحمل له بداخلي إلا حباً وشوقاً لا ينقطعان ...

ما أجمل كلمة أحبك وهي تخرج من بين شفثيه .. كانت صادقة مثلما اعتدتها منه .. أعلم أنه حنون للغاية .. لكنه أيضاً مستفز .. كيف له أن يؤجل الاتصال بي أسبوعاً كاملاً .. كيف له أن يتركني إلى هذه الهواجس التي تقتلني كل ليلة .. تجعلني أفكر في مجهول ولا أتوقف عن البحث عنه برغم علمي الشديد أنني لست على صواب وأن كل ما أقوم به ما هو إلا من باب العناد مع قلبي تجاهه .. وما يجب علي أن أقوم به في ظل غيابه عني وعدم تفكيره ولو مجرد التفكير في أمري .. وما هو حالي في بعده .. وكيف قضيت احتفالاً بعيد مولدي من دونه .. كل هذا لم يخطر له على بال وكأني بلا قيمة في حياته ولا أهمية .. يجب أن تعي تلك الكلمات جيداً وهذا الشعور الذي يجتاحني الآن .. وكم أحتاج إليك بمعنى الكلمة.

سيدي .. البعيد عن العين بعيد عن القلب .. ربما تكن تلك المقولة الشعبية صحيحة وربما لا ..

كل ما أعلمه أنك نسيت موعد عيد ميلادي .. كل ما أعلمه أنك جرحت مشاعري .. كل ما أعلمه أنك تركت قلبي وحيداً في عتمة الظلام ليأتي صوت هامس يقول لي: أحبك بكل صدق وإحساس، ليجذبني إليه دون أن أقاوم أو أبدي تحفظاً .. بل ذهبت أبحت عنه طوال الفترة الماضية .. والسبب الوحيد هو أنني أحتاج لكلمة لم أسمعها منك من زمن طويل ..

حبيبي ...

سأصفح لك عما مضى .. إن عاودت الاتصال بي مجدداً وسأظل راهبة في معبدك .. أنتظر .. ولا أعشق سواك .. دعني أبوح لك ببعض الكلمات .
 إن كنت أنا كل ثانية أغلى شيء في حياتك .. فأنت في كل لحظة أغلى ما رأيت عيناى ولفظت شفتاي ونبض به قلبي .. وإن كانت الظروف تحول بينك وبينى فاعلم أنني لم يحل بينك وبين عشقي لك إلا الموت .. أحبك بعدد الكلمات التي تنطق بكل اللغات الحية والميتة .. أحبك بعدد أنفاس كل ما هو يتنفس على وجه الأرض .

لماذا لم تعاود الاتصال؟ لهذا الحد لا يهمك ما أصابني من بعدك عني .. أنت لا تحبني .. إنها فقط مجرد كلمات تقولها لي من باب الرسميات والمفترض أن يقال .. أما في الحقيقة فأنت لا يهمك أمرى .. إن كنت حزينة أو سعيدة .. إن كنت أشتاق إليك أو لا أفكر فيك .. إن كنت ما زلت على قيد الحياة أم انتقلت إلى عالم الخلود .

سأخبرك بأمر هام .. وليكن سراً فيما بيننا .

حبيبي .. إني حقاً من يوم أن سافرت إلى عملك وتركتني هنا وأنا لست على قيد الحياة .. بل فارقتها روحي .. انتقلت إلى عالم آخر .. عالم غير الذي أعيشه الآن .. فأنا أعيش بين هؤلاء الأجساد مثلهم تماماً .. جسداً .. تلك الأجهزة المبرجة .. تضحك عندما يفترض بها أن تضحك .. تصافح عندما يفترض بها ذلك .. تنام .. تستيقظ .. تسير .. تجلس .. تفعل كل شيء عندما يفترض بها .. أو تدفعها الظروف إلى ذلك .. وذلك يعود إلى أنني أصبحت جسداً بلا روح .. ولا تسألني عن روحي .. فأنت الوحيد

الذي يمتلك الإجابة .. وإن أردت أن أعفيك من آلام التفكير والبحث سأفعل وأخبرك ..

إن روعي يا حبيبي من يوم أن سافرت إلى عملي تركتني وذهبت إلى حيث أنت .. لم تقو على فراقك ولو للحظة واحدة .. وأقسم لك بكل كتاب أنزل من الإله الواحد الذي لا شريك له .. إنني لا أشعر بأي شيء يحدث من حولي ولا أهتم به منذ أن سافرت .. إنني أعيش في ماض .. كل لحظة جمعت بيني وبينك أتذكرها كل مساء وصباح .. أعيشها وكأنني في عالم الخلود.

إلى أن جاء ذلك الصوت الصادق الهامس ليعود بي إلى الحياة مجدداً . ترى هل أنا على صواب أم أصابني الجنون؟ لا أعلم ولكن كل ما أعلمه أنك سر كل ما حدث الآن من أوضاع .. لأنك في الأصل سر وجودي .. أتدرك معنى ذلك؟ نعم أنت سر وجودي في تلك الحياة فلولا أنت ما كنت أنا وما كان لي من وجود . أحبك .

اليوم الثامن

انتظرته لكنه لم يأت ..

انتظرت أن يعاود اتصاله في الساعات الأولى من صباح اليوم لكنه لم يفعل كعادته .. كان شوقي إليه أقوى من صوت عقلي الذي أكد لي أنه لن يعاود الاتصال وكنت أرفض الإنصات إليه أو حتى مجرد إعارته الاهتمام .. لدرجة جعلتني أظل مستيقظة إلى أن جاء موعد نزولي إلى عملي .. وبالفعل قمت بتحضير نفسي وأنا أنتظر الاتصال في أي لحظة قادمة لكنني فقدت الأمل بعد مرور خمس ساعات تقريباً قضيتها متشبثةً به ..

أجبرني للذهاب بعيداً عنه أبحث عن يشعر بي دون أن يلفظ لساني بما داخلي من اشتياق إلى من يحتوي مشاعري وأحاسيسي .
لن أتطرق للتفكير كثيراً في أمره .. فهو عادته .. يتذكرني لدقائق معدودة ثم يذهب إلى ما هو فيه .

أما أنا فيبدو أنني سأظل على هذا المنوال كثيراً .. امرأة ينبض قلبها وينزف عشقاً دون أن يشعر بها أحد .. حتى الذي جاءني من حيث لا أحسب يوم عيد الميلاد وقالها لي بمشاعره الصادقة .. ذلك المجهول الذي أعلنها

صريحة أنه يشعر بما ينبض به قلبي .. ذهب هو الآخر في عداد الموتى .. وكأنه لم يأت .. وكأنني لم أشعر أن هناك من يشعر بي .
 لن أحتمل تلك الصراعات التي بداخلي كثيراً .. يجب علي أن أخلد إلى النوم وأترك كل ذلك .. فهو لا يدري كم أعاني من إرهاق وتعب أصابني اليوم منذ بدايته إلى الآن .. فأنا منذ أن اتصل بي وإلى تلك اللحظة لم ير جفني النوم .. وللحقيقة لا أقوى على الاستيقاظ والتفكير أكثر من ذلك .. أشعر أنني بعد ثوان قليلة سوف أفقد الوعي لذلك يجب أن أتوقف الآن دون أي مبررات أخرى ... لن يتبقى لي الآن إلا أن أقولها لنفسي:
 - تصبحين على خير .

.....

بالفعل استسلمت للنوم وما إن أغلقت عيني لساعات قليلة جداً إلا وحدث شيء غريب أيقظني .. في بداية الأمر ظننت أنه حلم لكنني الآن متيقنة أنه أمر واقع وحقيقي بدليل أنني مستيقظة وأمسك بأوراقتي وقلمي وأسجل ما حدث .. نعم .. إنه الهاتف الذي كان يرن وأنا أجبت .. لكن هل ما حدث كان حقيقياً .. هل ما سمعته عبر ساعة الهاتف بالفعل صوته .

- ألووو .

- أنا آسف لو صحتك من النوم .

- مين حضرتك ؟

- مش مهم .. تسمحي لي أقول لك حاجة مهمة .

- إيه هي؟

- بحبك.

- آلووو .. آلوووووو.

أنهي المكالمة دون أن يستمع لردي على تلك الكلمة .. إنه نفس الصوت .. نفس الإحساس الصادق .. نعم .. استشعرت ذلك من بين حروفه التي تخرج من شفتيه وتصل إلى أذني عبر تلك الساعة .. لكن لماذا تفعل بي كل هذا؟ أنا يا من تقول إنك تحبني لا أقوى على كل هذا العناء .. أكاد أفقد عقلي .. لا أعلم ماذا علي فعله .. أقولها لك: أحبك وأبادلك نفس الشعور؟ أم أظل على عهدي مع زوجي الذي هو سر ألي وعذابي؟ أم ماذا علي أن أفعل بعد أن أخبرتني للمرة الثانية أنك تحبني؟ سوف أعلنها لك صراحة وبدون أي تجميل أو تزيين .

أنا أيضا أحبك يا ااااا ... يا من لا أعرف له اسمًا إلا حبيبي .. روحي .. حياتي التي أرغب فيها وأتمناها .. أحبك بكل ما تحمله الكلمة من معاني الحب .. أحبك رغم عدم علمي بك .. أحبك رغم ملاحك التي لا أعرفها .. أحبك يا سر عذابي ولهفتي .

دعني أيها المجهول أطرح عليك بعض الأسئلة التي تدور بذهني .. ترى ما هو سر إعجابك بي .. أهني عيني التي يؤكد الجميع أن بها سرًا لا يقاوم؟ أم خصري المميز بالرشاقة والاتزان؟ أم تلك الملابس الزاهية التي أرتديها؟ إنني أحرص دائمًا على أن تكون من أحدث الموديلات وآخر موضة .. أم هو تواضعي؟ وربما تكون ابتسامتي؟ وما رأيك في خطواتي

على الأرض هل تلفت الأنظار حقاً مثلما يقولون لي؟ أعلم أن هناك الكثير من المميزات تجذبك نحوي ..

لا تسخر مني بتلك الابتسامة يا حبيبي .. فأنا ألفظ بتلك الكلمات في محاولة مني لكي أعبر لك عن سر سعادتي بإعجابك الشديد بي .
دعني أخبرك سرّاً لكن عدني ألا تخبر أحداً به .

أنا يا حبيبي أعشق تلك الأنفاس التي تخرج من بين حروفك التي توجهها لي .. أشعر عندما تقول لي: أحبك أنني ملكة نساء هذا الكون .. بل يصل الأمر معي لدرجة جعلتني أشعر أنني الأنثى الوحيدة الموجودة على وجه الأرض .. نعم .. وما فائدة تلك النساء اللاتي لا يستمعن إلى كلمة حب صادقة .. لا أخفيك سرّاً أنني في بعض الأحيان أشعر بكم الأسى والحرمان الذي يلحق بهن من قلة الحب ومن عدم اهتمام الرجال بهن .. إنه أمر محزن للغاية عندما يكون هناك أنثى في أزهى عصورها ولا يوجد من يراها ويشعر بها .. وألومهن في بعض الأحيان لعدم بحثهن عن من يمتلك قلوبهن .. لكنني لا أهتم بهذا في أغلب الأحيان .. واتخذت منهن العبرة حتى لا أقع في أخطائهن وأعيش نفس شعورهن .. لا أخفيك سرّاً أنه شعور لا يوصف عندما تعيش أنثى وحيدة بلا حب ولا أحد يحرك بداخلها جوارحها وإحساسها .

وما قيمة الأنثى بلا حب .. بلا مشاعر .. بلا إحساس؟!

الأنثى يا حبيبي كتلك الزهرة التي في البستان .. كلما اهتممت بها ورويتها من عشقك .. كلما زاد جمالها وبريقها في العيون .. هكذا خلقها

الله .. لكي تزين حياة الرجل .. وتكمل له ما ينقصه .

لكن يا حبيبي لدي سؤال:

لماذا تفعل كل هذا بي؟ لماذا تفضل أن تبقي بخيالي فقط دون أن تفصح عن حقيقة شخصيتك التي سأقبلها مهما كانت؟ أتعلم أنني كل ليلة أموت من الوحدة؟ أتعلم أنك تحتل مساحة كبيرة جداً في يومياتي وصفحات حياتي؟ أتعلم أنك أصبحت كل شيء أفكر به وفيه؟ تمتلك وجداني ولا غيرك شريك .. وإن كنت تعلم كل هذا .. إذن لماذا تهوى أن تبقى مجهولاً؟!

دعني أتوقع جوابك .. ربما تفعل ذلك بي من أجل أن تضمن أن عشقي وحيي سيبقى ما دمت أحيا .. إن كان كذلك فاطمأن .. لن تتمكن الأيام من أن تنقص من حبي وعشقي وإخلاصي لك مهما كانت قوتها .. فأنت وبكل صدق كل ما أتمناه من تلك الحياة .. أتفهم .. لن ينقص حبي لك يوماً مهما حدث .. بكل ثقة سيكبر وينمو يوماً بعد الآخر إلى أن أفارق تلك الحياة .. واعلم عندما أذهب إلى عالم الخلد سأترك روحي معك كي تعيش مع روحك إلى أن تقوم الساعة .. وأيضاً لكي تراقبك حتى لا تعشق غيري بعد موتي .. هل حقاً تستطيع أن تفعل ذلك؟ أعدك بأنني سأقتلك إن فعلتها يوماً ما بعد موتي .. لا تضحك إنها مجرد دعابة .. ثم لا تلمني .. فالمرأة عندما تعشق وتغير تفعل أي شيء؛ متوقفاً وغير متوقع، عندما تشعر بأن هناك من يستحوذ على جزء ولو بسيط من مكانها في قلب محبوبها ..

يا إلهي .. الساعة الرابعة والنصف صباحاً .. يجب أن أخلد إلى النوم الآن
لدي عمل شاق اليوم .. ثم إنه بداية الأسبوع الجديد .. ترى هل يمكن أن
يكون مديري .. نعم سأعلم بنفسني في الصباح الباكر .. والآن يا أجمل ما
حدث لي في هذه الحياة .. تصبح على خير .. وإلى اللقاء في الصباح الباكر .
آه نسيت خذ تلك القبلية مني إليك على جبينك ... أحبك .

اليوم التاسع

لن أنسى ليلة أمس عندما استيقظت من نومي على صوته .. إنه شيء في منتهى الجمال والروعة .. ما أجمل أن تشعر بالحب وبحنين قلب رجل يعشقك ويهواك .. يا له من رجل رائع حقاً ذي إحساس راقٍ وأنا بالفعل امرأة محظوظة وليس هناك مثلي الكثير .

هناك أيام تمر علينا لا نشعر بها .. لكن هناك دقائق معدودة في تلك الأيام لا تنسي .

كنت قد عقدت العزم على التعرف على هوية مديري .. وتلك التغيرات التي لحقت به منذ فترة ..

أعترف الآن بسذاجتي بل ببلاهتي .. فكيف لي أن أدخله دائرة اهتمامي وشكي .. بل وأتصور أنه الرجل الذي أبحث عنه .. كيف لي أن أفعل هذا وهو الشخص الذي تزوجته أعز صديقاتي، والذي توسطت لي عنده لكي يوظفني في تلك الوظيفة التي أعمل بها الآن .. وهو الرجل المحافظ الملتزم الذي لا يقبل أن يتوسط لأي شخص أياً كان .. وقد فعل ذلك من أجلي احتراماً لرغبة زوجته التي يحبها لدرجة جعلته يتنازل عن مبدأ من

مبادئه التي يعيش بها ومن أجلها .. تلك الصديقة التي كثيراً ما وجدتتها بجواري في أشد المحن والمتاعب .. وهي أيضاً كثيراً ما أكون أول من تلجأ إليه في الأوقات التي تحتاج إلى صديق وهي تفتح له قلبها .. كيف لي أن أنسى أنها أول من شجعني على الزواج من زوجي وساعدتني على إظهار أجمل ما يميزه .. للحقيقة أنا أستحق كل التوبيخ من أجلها وهي لها كامل الحق في ذلك .

عندما جمعتني اللقاء بزوجه، الذي هو مديري ، في مكتبه اليوم، وأنا في قمة طيشي وجنوني .. أبحث بداخله عن ذلك الرجل الذي أريده .. أنصت إلى صوته بكل شدة وتركيز لعلي أجد من بين حروفه ضالتي .. لكنه فاجأني عندما قال لي بكل أدب ووقار:

- عايز أعترف لك بسرياً ميران.

عندها شعرت أنني قد اقتربت من التخلص من تلك الحيرة التي أصابتني على مدار تسعة أيام متتالية .. وكانت لهفتي تسبق حروفي وأنا أقولها:

- وأنا محتاجة أسمعك .

- إنتي حاجة مهمه جداً عندي .. وزى ما إنتي شايقة ليكي معاملة خاصة .. ما سألتيش نفسك ليه؟

هنا أدركت أنني قد وجدت ضالتي .. كاد قلبي يخرج من بين ضلوعه من شدة الفرح .. لكنني حاولت أن أتمالك نفسي إلى النهاية .

- ليه؟

- لأنك أعز أصدقاء سماح .. دايمًا كانت بتكلمني عنك وعن أخلاقك،

وعن أحمد جوزك .. وحالة الحب الجميلة الي بينك وبينه .. ما كدبش عليكى .. كنت دائماً باحاول أكون زي جوزك .. لأن سماح دايا كانت بتحاول تكون زيك في عقلك وتفهمك للأمور .. وفي إخلاصها ليا وليبتها.

ظل يتحدث كثيراً وأنا في عالم آخر .. أود أن تنشق الأرض وتبتلعني من أمامه الآن .. كنت أنظر إلي عينيه لأشاهد مقتطفات مرت بيني وبين زوجي .. إنها لحظات سعيدة لا تنسى أثناء فترة الخطوبة .. أراه يعشقني ويخشى علي من كل شيء يحيط بي .. وتلك اللحظة التي لا تنسى إلى أن تقوم الساعة عندما ارتديت فستان الزفاف .. وأول ليلة أنام فيها بين أحضانه .. ولحظة قراره السفر للعمل في الخارج .. وأول اتصال بيني وبينه بعد سفره .. وتعليماته لي قبل السفر .. وأول يوم قضيناه خارج المنزل بعد الزواج .. ولمسة يديه على وجهي .. وعند وفاة عمي وهو يسمح دمعي الحزين ويضممني إلى صدره لكي يمحو بحنانه آثار الحزن التي لحقت بي .. وزواج أخي ومواقفه الرجولية أثناء ذلك .. وأول مشاجرة حدثت بيننا وكيف كان عاقلاً ولا يريد أن يستجيب إلى شيطاني الذي دفعني إلى طلب الطلاق منه .. يا لجنوني! ما هذا الذي أراه بين عيون ذلك الرجل؟

أيقظني من غفلتي ومضى متسائلاً:

- سرحتي في إيه يا ميران؟

كان لازماً علي أن أجيب إجابة منطقية على قدر تلك الصورة التي رسمها لي في مخيلته.

- لا .. مفيش .. افكرت بس أول مرة عرفت فيها سماح .. وإزاي بقينا أقرب اتنين لبعض .. على فكرة هي أجمل مني بكثير .. أكثر حباً وإخلاصاً ليك .. وأنا اللي كنت بتعلم منها .. ولسه بتعلم منها لحد النهاردة .. ربنا يخليكو لبعض .

- على فكرة .. هي اللي أصرت بعد عيد ميلادك إني أوصلك في طريقي للبيت .. بس أنا بيني وبينك كنت بخاف لأحسن حد من الموظفين يفهموا الموضوع غلط .

- ولا يهملك يا فندم .. أستاذن أنا علشان أخلص شغلي .
- اتفضللي .

وخرجت من مكتبه وكأني خارجة من الحمام بعد أن أخذت دش ماء ساخن أزاح عن عقلي وقلبي كل ما كان به من عبث تجاه هذا الرجل المحترم الوقور .

لكن يتبقى شيء .. اعتذار واجب .

إلى تلك الصديقة العزيزة التي تناسيت أنها أقرب الناس لي بعد زوجي .. نعم هي بالفعل كذلك .. فهي تعلم عني ما لا يعلمه أبي وأمي وأهلي جميعاً .. كيف لي أن أفكر فيما فكرت به تجاه زوجها؟ كيف لي أن أرى أن زوجها هو هذا الرجل الذي أبحث عنه؟ ساحيني ولك الحق في أن تذبحيني أو تقتليني إن شئت، لكن اعذري ضعفي وجنوني .. اعذري حيرتي وعذابي .. فإن ما أصابني منذ عيد الميلاد لا تقوى عليه أنثى في مثل ظروفى .. أنا حقاً لا أعلم لماذا أفكر بهذا الأسلوب ولا بذلك النهج

السخيف ذي الأصول الرجعية المتخلفة .. أرجو أن تتفهمني موقفي وتقبلني
اعتذارى وإلا لن أسامح نفسي حتى مماتي .. وأنت يا زوجي ساحك الله
في كل ما آلت إليه الظروف .. كل هذا من تجاهلك لي .. وسفرك وبعذك
عني .. أنا لست بجبل حتى أتحمل كل هذا الغياب والعذاب وأنين الروح
.. عليك أن تعيرني الاهتمام قبل أن أنتحر من قسوة الوحدة وألم البعد
والفراق .. أترى ماذا حدث لي من جراء ذلك الهجر؟ ظننت أن زوج
صديقتي الوحيدة هو الرجل الذي يشعر بي ويعشقني دون أن أدري ..
لكن في حقيقة الأمر فالرجل يتخذك مثلاً أعلى له في حياته الزوجية مثلما
تفعل زوجته أيضاً .. أترى تلك الصورة التي رسموها لنا في خيالاتهم؟
هل نحن حقاً على هذا القدر من الحب والصفاء ليجعل الآخرين يحذون
حذونا؟! ساحيني يا صديقتي العزيزة واعذري جهلي .. لماذا لم يخطر ببالي
أنها كل شيء بالنسبة له .. وهو كذلك؟ لم لم أتذكر أياً من كلماتها لي عنه؟
لم لم أتذكر عندما كانت تأتي لي وتشتكي من أفعاله البسيطة وأنصحها بأن
تكون أكبر وأعقل من ذلك وأرثي حبها في قلبها تجاه زوجها وأثبت لها من
خلال كلماته عنه أنه يحبها؟

صديقتي العزيزة ساحيني .. إن جن جنون في ظني .. لكن وجب عليك
أن تعذريني .. فأنا أيضاً أعيش في دائرة تطحن فكري وقلبي ومشاعري .
تقبلني اعتذارى .

اليوم العاشر

ما أصعب أن تشعر بأنك خائن في حق مخلص لك!
هذا ما حدث لي بالأمس، تلك الواقعة التي من المستحيل أن تنساها
ذاكرتي ولا أن تمحى من مخيلتي مهما مر بي الزمان.. فأنا كلما أشاهد
صديقتي سأذكر أنني ذات يوم كنت أظن أن زوجها هو هذا الرجل
الذي أبحث عنه.

أعيش حالة يرثى لها.. أكاد أختنق.. أبحث عن أي خيط هواء أستنشقه
لعلني أدرك أنني لا زلت على قيد الحياة.

ما حدث معي بالأمس كاد يقتلني.. إنني أشعر وكأن كلماته لي
كالصاعقة التي أطاحت بكل قوتي وطاقتي.

نعم فأنا لم أقو على الخروج من غرفتي منذ أن دخلتها بالأمس.. لا
أعرف لماذا تسير بي الأمور على هذا النهج وإلى هذا الاتجاه.. أنا لست
مذنبة في حق أي شخص إلا نفسي.

كان ظناً في زوج صديقتي ليس أكثر.. لن أتهمه بالخيانة لها.. بل إنني
المتهمة الآن.. وإن حوكت سأصبح مدانة.. نعم مدانة ومذنبة في حقها

.. ألم تر ماذا فعلت هي معي .. وكيف أرد لها الجميل؟ إنني حقاً أستحق العقاب الذي سينزل علي .. ومهما كان يجب أن أتقبله .

لكن طيفي همس لي .. لطفاً يا ميران .. لماذا تحاكمين نفسك على ظن .. على هاجس من وحي خيال؟ لم يحدث شيء لكل هذا .. أنت فقط ظننت أنه هو من تبحثين عنه .. انسي الأمر فهناك أشياء كثيرة تحدث عن سوء فهم أو سوء قصد وهذا ما حدث بالفعل .. أنصحك أن تعتبري الأمر كأنه لم يحدث .. ثم إنك يجب أن تحمدي الله على أنك لم تتعجلي الأمور وتتسرعي وتذهبي لتصارح به بذلك الحب الخيالي الذي شعرت به .. ماذا سيكون موقفك حينئذٍ؟ أظن أن الأمور الآن تسير على ما يرام .. ولا يجب أن تحملي نفسك فوق طاقتها .

يجب أن أتوقف عن كل هذا الهراء .. إنني أزيد من عذاب نفسي ليس أكثر .. الأمر لا يستدعي كل هذا .. آه .. أكاد أجن من كثرة التفكير والإحساس بالذنب .. يجب أن أترك القلم الآن .

.....

بالفعل تركت كل شيء حولي وخلدت إلى النوم حتى يتوقف عقلي عن عقابي لنفسي لكنني استيقظت مجدداً على صوت هاتفي الذي لا ينقطع منذ الصباح .. فليس من المعتاد أن أتغيب عن العمل دون سابق إنذار .. كل أصدقائي في العمل وزملائي بما فيهم مديري لم يكفوا عن الاتصال بي .. لكنني لا أجيب .. نعم لا أريد التحدث إلى أي أحد حتى ولو كان مديري الذي يقدرني ويوقرنني .. فأنا الآن كل ما أريد أن أوقف عقلي

عن التفكير وجوارحي عن الإدراك .. فالنوم هو السبيل الوحيدة لكي أنسى ذلك الوهم والخيال الذي أخذني إلى عالم لا أعرفه وساقني إلى حافة الهاوية .. وكدت أن أخسر أعز صديقتي بسبب ظني وهواجسي .

انتهي الأمر ولن أفكر في ذلك مجدداً .. ولن أجيء على الهاتف .. بل سأمزق كل تلك المذكرات التي كتبتها من وحي خيالي لرجل لا يستحق أن يكون موجوداً أصلاً فوق تلك الصفحات ..

تلك هي الحقيقة التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار .. والتي لا شك فيها .. يجب أن أعود كما كنت قبل يوم عيد الميلاد .. وإن كان لا بد أن يكون هناك من يمتلك تلك المشاعر والأحاسيس .. فيجب أن تكرس لزوجي .. فهو الرجل الوحيد الذي يجب أن أكن له كل هذه المشاعر .. حتى ولو كان لا يدركها ولا يشعر بها .. إنه حقه الشرعي الذي لا يجب أن أحول عنه ..

يجب أن أعود إلى رشدي الآن ..

زوجي العزيز الغالي .. آسفة .. لقد أهدرت كمّاً من المشاعر الجياشة على صفحاتي وما كان يجب علي أن أفعل ذلك .. بل كان يجب أن أحتفظ بها كاملة إلى لحظة عودتك .. ودعني ألومك قليلاً أنت من ساقني إلى تلك التفاهات والهواجس .. هل من المعقول أن تنسى يوم عيد ميلادي؟ هل من المقبول أن تتركني كل هذا الوقت دون سؤال؟ ماذا كان يجب علي أن أصنع .. أتعلم يا حبيبي أنني أشتاق إلى شيء هام جداً؟ إلى طفل .. مولود صغير يملأ علي حياتي أثناء سفرك ويحد من شدة غيابك .. ترى

هل سيحمل ملاحك أم ملاحي؟ في الحقيقة أنا أريده أن يحمل ملاحك
حتى يعوضني غيابك ..
ساحمني يا حبيبي ويا نبض قلبي ويا روح الفؤاد ... لن أعود إلى حماقتي
مجدداً مهما طال البعاد .
أحبك حتى الموت .

اليوم الحادي عشر

كانت ليلة أمس من أجمل الليالي التي عشتها بمفردي .. لقد عدت إلى رشدي بل وحلمت بأنني أم .. أم لطفل يحمل ملامح والده التي أعشقها وأذوب فيها .. إنها حقاً ليلة جميلة وحوار مثمر بيني وبين نفسي .

هذه هي حالتي وهذه هي طبيعتي .. برغم قوتي في اتخاذ القرار .. أقر وأعترف أنني أضعف مخلوق على وجه الأرض .

تلك هي الحقيقة التي يجب أن أضعها نصب عيني .. أنا شخصية مترددة وضعيفة أمام مشاعري وجوارحي .

وهل هناك أنثى في العالم تستيقظ من نومها لتجد على هاتفها كل تلك المكالمات التي لم يتم الرد عليها بالإضافة إلى هذا العدد الهائل من الرسائل ولا تضعف وتراجع في قراراتها .. إن وجدت فهي بلا أدنى شك أنثى معدومة الإحساس ولا يوجد لديها أي شعور .. وإن دق تعبري .. هي أنثى ماتت بداخلها كل الجوارح وتوقف قلبها عن النبض .. ثم لماذا من الأساس خلقت الأنثى إلا لذلك الشيء .. تحب وتعشق من يحبها .. إنه جنون إن ظنت غير ذلك .. تلك هي وظيفتها في الحياة .. خلقت من أجل

أن تكون تاجرة السعادة على وجه الأرض وتوفر ما ينقص الرجل من احتياجات .. وتكمل ما بداخله من مشاعر وأحاسيس .. وعليها أن تبحث عن ذلك الرجل وهذا الحب في أي مكان وتذهب إليه حتى ولو كان في آخر نقطة على وجه الأرض.

نعم تلك هي الحقيقة .. أنا أنثى طبيعية للغاية .. عندما أستيظ من نومي لأجد رسائلك بمحتواها الجميل وتكون بدون رقم وكأنها كتبت على هاتفي دون إرسال .. يجب حينئذ أن أفتخر بأن هناك من يحبني ويحتاج إلى حبي وإلى قلبي ومشاعري .. يجب أن أفتخر بأن أنثى مرغوب فيها من كل من يدرك معنى كلمة الحب وقيمة الأنثى على وجه هذه الأرض .. أنا لست بضعيفة حتى أعود في قرار الأمس لكنها الحقيقة التي يجب أن أسلم بها ..

في الحقيقة لم أهتم بأمر هاتفي عندما استيقظت من نومي .. بل كنت ما زلت تحت تأثير تلك الحالة التي لحقت بي بالأمس .. في ذلك الحين كنت أدعم قراري الذي اتخذته بالأمس بمزيد من القرارات والاحتياطات .. كان أهمها أنني لن أهتم بمظهري الخارجي .. بل سأكتفي بجوهري الداخلي .. رغم أن هذا الأمر قد نشب عنه صراع شديد بيني وبين نفسي وأنا أخذ حمامي في الصباح .. وكنت أحاول التأثير على نفسي بكل السبل .. إلى أن أقنعتها وأنا أحاول أن أسترضيها ببعض مواد التجميل البسيطة التي لا مانع منها .

لكن كل ذلك انهار عندما رن هاتفي وأنا أقف أمام مرآتي أضغ قليلاً من

تلك المواد على وجهي مع مراعاة عدم الإكثار منها لمنع لفت الأنظار إلي .. كانت إحدى زميلاتي هي التي تتصل بي لكي تطمئن على حالتي .. فقد تملكها قلق شديد منذ الأمس وحاولت الاتصال بي أكثر من مرة في أوقات مختلفة مثلها مثل كثير من الأصدقاء والزملاء في العمل ..

- إيه يا ميران إنتي كويسة؟!

- إزيك يا هاجر عاملة إيه .

- أنا بخير طمنيني إنتي عليكي .

- مفيش .. كنت تعبانة شوية.

- وما بترديش على تليفونك ليه؟

- كانت عاملاه صامت ومش واخدة بالى منه .

- المهم .. بقيتي كويسة دلوقت؟

- آه الحمد لله .. أنا بجهز ونازلة الشغل أهو .

- خلاص يا حبيبتي هأقابلك هناك .

- أوكي .. ميرسي يا هاجر على سؤالك.

أنهيت المكالمة ودفعني فضولي لكي أشاهد كل المكالمات التي لم يتم الرد عليها لأتعرف على أصحابها .. فتلك الظروف تفرق وتوضح بين الصديق الجاد وبين الآخرين .. لم أكن أتوقع للأمانة هذا الكم من المكالمات المتلاحقة من معظم الزملاء في العمل والأصدقاء من خارج العمل بمن فيهم مديري في العمل وزوجته .. وما إن انتهيت إلا وطرحت على نفسي سؤالاً جديداً لكي يدخلني في دائرة البحث والحيرة من جديد .. ترى هل

يكون صاحب هذه الرسالة هو أحد من يعمل معي بداخل الشركة .. ولم لا؟ فأنا لا أعرف الكثير من العاملين إلا وجوهاً فقط .. ربما استطاع أحدهم أن يحصل على رقم هاتفي المنزلي ويحدثني .. يجب أن أبحث في هذا الاتجاه أيضاً ربما يكون هاجسي على صواب .

وفجأة انتقلت إلى الرسائل التي وصلتني عبر الهاتف .. كلها تحتوي على كلمات ذات معانٍ ومدلول واحد هو الاطمئنان علي حالي .

لكن عند فتح تلك الرسالة التي لا تحمل رقم هاتف صاحبها انجذبت إليها .. وعندما نظرت إلى تلك الحروف التي تحويها كلماتها انهار كل شيء كنت أعتد عليه بالأمس ..

الرسالة من محتواها تعبر عن صاحبها .. لكن الأسئلة التي أبحث لها عن إجابة دائماً:

- من هو؟

- لماذا أنا؟

- ماذا يريد؟

- إلى متى سيبطل غامضاً ومجهولاً؟

- هل أشتاق إليه بالفعل .. أم كل هذا هواجس من وحي الخيال؟
أتحدى أي امرأة في مكاني ألا يأخذها حنينها إلى كل ما طرحته الآن .. وكيف لها ألا تحن إلى من يحن إليها .. كيف لها ألا تشعر بمن يوليها كل هذا الحب والعناية والاهتمام .. كيف لها أن تعيش دون أن تدرك قيمتها كأنتي؟

ما أجمل هذه الكلمات عندما تقع عينك عليها وينبض بها قلبك وهو يقرأها .. ما أصدق ذلك الإحساس وهذا الوصف .. سأظل أحبك إلى أن تقوم الساعة .. إنها بمثابة شهادة وعقد من طرف واحد إلى طرف آخر يقر به ويعترف أنه أسير عشق ومشاعر لا تنقطع وليس لها مثيل .. أجبرني ذلك على قطع هذا العهد أيضاً .

حبيبي ..

أيها المجهول العاشق ذو الحس الرفيع الراقي .. إن كان ذلك هو تصرحك وجهرك بمشاعرك تجاهي فأليك مني ردي لعله يصلك وتشعر به مثلاً أشعر بصدق حسك من حروفك .

سأظل أفتخر أني حبيبك ومن تملك قلبك وتحرك مشاعرك وأحاسيسك الراقية إلى أن تقوم الساعة ... ستظل حبيبي .

رجعت إلى عالم الدنيا بعد أن سبحت في عالم الحب عندما رن هاتفي مرة أخرى .. كانت هاجر ترغب في سؤالني عن شيء هام .. هل سأتناول الإفطار معها في مقر عملنا كالعادة أم لي رأي آخر في ذلك الأمر .. وأبلغتها أنني سأفعل ما أفعله كعادتي اليومية ولن يتغير شيء ..

ذهبت إلى عملي .. وتناولنا الإفطار كعادتنا .. وانتقل كل منا إلى مكتبه لينجز ما عليه من أعمال .. جلست على مكثبي أقابل العملاء وأنهاي التعاقدات والطلبات اللازمة وأتجاوز وأتجاوز وأضحك وأمزح .. لكن .. كنت جسداً فقط .. أما روحي فما زالت تعيش في عالمه هو .. تبحث عنه في وجوه كل الرجال التي تراها عيني في كل مكان منذ أن خرجت

من مسكني إلى أن عدت إليه .. ورفضت روعي أن تأتي معي واكتفت
بالاطمئنان علي من حين إلى آخر .. ولن أتعرق إلى التفكير في زوجي
وكيف لي أن أفكر فيه وهو لا يفكر بي .. وهناك من يمتلك كل كياني
ويشغلني لدرجة جعلتني أنسى أي شيء آخر .
تلك هي الحقيقة التي لا يجب إنكارها .

اليوم الثاني عشر

إنه يوم جديد من أيام حياتي التي بدأت تأخذ شكلها غير الطبيعي والغريب .. إن كل يوم يزيد ضعفي ووهني وعذابي عن اليوم الذي سبقه . لم أعد أستطيع تحمل كل هذا ... كيف لعاشق أن يهجر معشوقه .. كيف لقلب أن ينبض دون أن يشعر بقرب لقاءه .. أستحلفك بالله .. كيف لعين أن تبصر دون أن ترى نور وجه حبيبها .

قاربت مشاعري على الانفجار .. أقسم لك أيها المجهول إن لم تظهر سأقدم على الانتحار .. كل ما أوده هو أن أستريح من آلام التفكير بك .. وصفتك بكل حميد .. ووهبتك روعي وكل ما أملك .. ماذا تريد أن أفعله أكثر من ذلك .. عليك أن تعلم تمام العلم أني امرأة عنيده وإن كنت أتمتع بالهدوء وتقبل الأمور .. وعليك أن تتدبر الكلمات التي سألقها عليك الآن جيداً لعلك تعلم عني ما أجهله عن نفسي .

إن كنت تهوي المغامرة فأنا أعشقها .. هيا بنا نبحت في أعماق الدهر يا قلبي عنه ولن نكل ونفقد الأمل مهما طال الأمل .

كان هذا آخر ما قطعتة على نفسي من عهود بالأمس قبل أن أخلد إلى

النوم لكي أستيقظ في الصباح والنشاط يدب بكل أعضاء جسدي .. ويتولى قلبي غرفة قيادة باقي أجهزتي للبحث عن يريده .. وسيجده حتماً يوماً ما ..

كعادي انتهيت من تجهيز وتحضير نفسي ومظهري للتوجه إلى العمل .. كان الأمر مختلفاً بعض الشيء .. ربما في نوع ذلك العطر الذي استخدمته .. أو اختياري لتلك الألوان المتناسقة التي ارتديتها .. نزولي من الطابق الرابع الذي أقطن به إلى الشارع لا يستغرق أقل من دقيقة .. لكنه هذه المرة تجاوز ذلك الحد بسبب توقف المصعد في الطابق الثالث .. في العادة لم يتوقف منذ زمن طويل في ذلك المكان .. صعد إلى المصعد جاري المهندس ماهر .. وهو على حد علمي مهندس ديكور .. علاقتنا لم تتجاوز حد السلام في تلك المقابلات غير المرتبة.

لكنني في هذه المرة وبعد أن ألقى التحية علي أدركت شيئاً لم أكن أدركه من قبل .

- صباح الخير يا أستاذة ميران!

- صباح الخير يا باشمهندس!

- أخبارك إيه؟

- الحمد لله بخير .. وحضرتك؟

- بخير والحمد لله.

- ووالدتك أخبارها إيه؟ بقالي زمان ما شوفتهاش.

- والله تعبانة شوية.

- ألف سلامه عليها.

كنت أظن أن الأمر عادي بالنسبة لي أن نتكلم .. لكن ما لفت انتباهي هو صوته الذي يبدو في نبرته خشوع شديد وخجل في آن واحد .. لاحظت أثناء ذلك الحوار العابر شيئاً لم ألحظه من قبل .. عيناه .. تتحدث بكلمات أخرى غير التي تخرج من فمه من خلال عينيه .. ولأن أقرب مكان لقلب الرجل هو عيناه .. شعرت بما فيه من اختلاف .. ليس ذلك فحسب بل أخذني فضولي لكي أقرب منه أكثر حتى أستطيع أن أستشف ما يدور بمخيلته .. فعند خروجنا من باب المصعد .. وهو يفتح لي الباب .. ولضيق مساحة المصعد دفعته كل تلك الظروف إلى استنشاق هذا العطر الذي وضعته .. عندها تغيرت ملامح وجهه تماماً .. ولمحت في عينيه ابتسامة تدل على الارتياح الشديد .. بل إن دق التعبير كانت ابتسامته تدل على البهجة والسرور.

وجاء هاجسي يداعبني ويهمس لي في أذني قائلاً: ربما يكون هو ذلك الرجل الذي تبحثين عنه .. انظري إلى عينيه وأنت تعلمين صدق شعوري. في الحقيقة كنت أنتظر ذلك الهمس .. وما المانع إذن؟ ربما يكون هو حقاً .. يا لها من مفاجأة سارة إن كانت .. لكن ما هو الطريق الذي يجب أن يتبع من أجل التقرب والتعرف على ما بداخل ماهر .. يجب أن أختار الطريقة المناسبة لاقتحام حصونه خصوصاً أن علاقتنا لم تتجاوز حد الجيرة. الجيرة .. يا لك من هاجس ذكي!. من هذا المنطلق وجدت الحيلة التي أبحث عنها وقبل أن نفرق حديثه قائلة:

- ممكن تسمح لي آجي أزور والدتك واطمن عليها .
- قوي .. دي شرف لينا زيارتك .

كان يقولها وكأنه ينتظر مني ذلك الطلب .. وإن كان كذلك .. فهذا أنا لم أبخل عليك بشيء يا عزيزي .. لكن اعلم أنني لن أغفر لك أيام حيرتي وانشغالي التي قضيتها سابقاً .. ربما أكون معك قاسية بعض الشيء في بداية الأمر .. لكنني لم أخف عنك مدي شوقي ولهفتي عليك .. تلك هي الحقيقة التي يجب أن تعلمها .

هذا ما دار بيني وبين نفسي .. حتى حان وقت ومكان الفراق .. ذهب هو في اتجاه وذهبت أنا في اتجاه آخر .. كل منا رافق طيف الآخر في طريقه دون أن يبدي اهتماماً .

لم يفارقني طيفه منذ أن تركته .. كان يلزمني لدرجة جعلتني أفقد تركيزي في أي شيء آخر .. نعم تلك العيان مثلما توقعتهما تماماً ورأيتهما في مخيلتي .. وهذا الهدوء والعقلانية في الحوار والتصرف .. حقاً إنه شخصية جسورة وجذابة ..

لكن أنا أيضاً سرقة من كل ما يحيط به .. نعم أنا من امتلك قلبه وحصلت على حق النبض باسمي طوال الوقت .. ودون شريك .. وإنه ليس بالأمر السهل مع هذا النوع من الرجال .. فدائماً هذا النوع كتوم ولا يفكر في أي شيء إلا عمله ولن يهتم إلا بالنجاح والحفاظ عليه والتقدم والاستمرارية .. وهو نوع يستحق أن يعشق .. ثم ما أروع خجله الذي يميز ملامح وجهه .. ترى يا قلبي ماذا سيقول لي عندما يجمعنا لقاء آخر

.. أظن لن يصارحني بهذه السهولة التي كنت أتوقعها .. هذه هي طبيعته .. ربما وجب علي أن أساعده في الخروج من عالم كتمانه لكي يبوح لي بما في داخله من عشق وحب .. أعدك بأني سأبذل قصارى جهدي من أجل ذلك ولن أهتم بأي شيء آخر حتى أصل إلى ما أرغب فيه من أجلك ..
دعني أعدك بشيء يا حبيبي المرتقب .. لن أكون قاسية معك في تعنيفك ومعاقبتي لك على لوعتي .. وسأعبر كل ما سبق دافعة الخجل الذي يلزم وجهك وتصرفاتك ..
أحبك إلى أن تقوم الساعة مثلما علمتني أحبك ..

اليوم الثالث عشر

كثير من الأحلام تنسي؛ لأننا وبكل بساطة نحلمها كل يوم بأشكالها المختلفة .. لكن هناك حلماً واحداً يظل عالقاً بالأذهان .. لا يمحي مهما توالى عليه الأحلام .. وبالأمر حلمت به .. وكان حلمي أشبه بالحقيقة التي أراها بعيني .. ومن شدة حبي وعشقي لهذا الحلم سردته بين أوراقها كما هو .

ها هو بين يدي بعد أن صدقت توقعاتي .

- هو إنت ليه عملت في كده؟

- يعني إيه مش فاهم .. إنتي زعلانة إني اعترفت لك بحبي ليكي؟!

- زعلانة .. إوعى تقول الكلمة دي تاني .. مفهوم!

- مفهوم .. بس أنا برضه ما فهمتش قصدك .

- قصدي ليه اتأخرت في اعترافك .. أنا خلاص كنت على وشك الجنون .

- بس الحمد لله .. إنتي لسه بعقلك .

- عقلي .. آه .. دانت أكلت عقلي وشغلت فكري .. وحيرت قلبي .

- يااااااه ... أنا عملت ده كله؟!

وإلى أكثر من ذلك أخذنا الحديث .. نعم يا حبيبي .. لقد كنت على وشك الجنون .. بل الآن فقط سأبوح لك بسر لم أسرده على صفحات مذكراتي من قبل .. إنني كنت على وشك الانتحار من كثرة التفكير فيك .. هنا أمسك بيديه يدي ونظر لي بعينه المملتين باللهفة والحنان وهو يسألني: لتلك الدرجة كنتي بتفكري في .

نعم .. كنت مجهولاً يعذبني وأنا أشتهيه .. كنت أنصت لكل الرجال عندما يتحدثون لكي أميز صوتك فيما بينهم .. كنت أسير بالطرقات أبحث في أعين الجميع عن عينيك اللتين رأيتهما في منامي .. كنت تمتلك كل أحلامي لدرجة جعلتني أعشق النوم حتى أراك في أحلامي . هنا ابتسم ابتسامة لا توصف من شدة جمالها وروعها .. وقال لي بحنين لا يوصف:

كنت أراقبك في كل خطوة تخطوها قدماك .. كنت أستشعر نبضك وهو يبحث عني وأتخوف من أن يلمحني طيفك ويفتضح أمري .. سوف أعترف أنا أيضا لك بسر وأرجو أن يظل فيما بيننا إلى أن ينقضي العمر .. أعشقتك لدرجة الجنون .. كنت أشاهدك كل ليلة أميرة بين أحلامي .. تنزلين من برجك العاجي إلى غرفتي وتطرقين بابي .. ودون أن تفتح تلك الأبواب المغلقة تدخلين وتجلسين إلى جوارتي .. وتركين يديك بين يدي أقبلها بكل صدق وشوق وحنان ... إليك أمر وسر آخر لا يقل أهمية عن ما بحث إليه به .

دفعني فضولي إلى معرفة ذلك السر الذي لا يقل أهمية عن ما باح به منذ

لحظات .. وهل يوجد بعد ما قاله شيء أهم؟! لم أتوقع لحظة أنه يكن لي كل هذا الحب بداخله .. وأردت أن أعرف وأستمع وأنا أستمع إلى صوته العذب الصادق .. وهو ييوح لي بما في داخل قلبه من أسرار .

لقد حصلت على صورة لك وقمت بتكبير مقاسها ووضعتها في برواز فاخر طلاؤه بماء الذهب .. وعلقته في غرفتي كي لا تفارقيني للحظة .

هنا أصبت بدهشة شديدة وشعرت أنني لن أستطيع السير أكثر من ذلك .. نظرت حولي فوجدتني معه في طريق هادئ للغاية .. كنا على مقربة من أحد المطاعم الفاخرة .. وما إن وقعت عيني على اسم المطعم إلا وشعرت أنني لم أتناول الطعام منذ عام سبق .. نظر إلى وجهي وكأنه علم ما يدور بمخيلتي .. وقال لي:

- تصدقي إني ما أكلتش حاجة من الصبح زيك!

- وإنت عرفت منين إني ما أكلتش من الصبح؟

- مش قولت لك إنك ما بتفارقينيش .

- إنت مجنون .

- بيك وبس .. يلا نأكل بقى .

- والله العظيم مجنون .. يلا بينا .

وتوجهنا إلى المطعم وقمنا بتناول الطعام .. ونحن نكمل حديثنا .. سألته أثناء ذلك: من أين أتى بصورتي التي قام بتكبير مقاسها؟ أجابني أنه حصل عليها بطريقته الخاصة وطالبني بعدم الإلحاح عليه في ذلك الأمر لأنه لن يخبرني بأكثر مما أخبرني به فيما يخص هذا الأمر ..

احترمت رغبته في ذلك .. وأكملنا حوارنا الحار بأعيننا ونحن نتسابق للانتهاء من تناول الطعام حتى نخرج من ذلك المكان المزدحم ونعود إلى السير في الطرقات مرة أخرى لكي يذوب هيب عشقنا وسط المارة .. ولا نهتم بأحد ولا نشعر بأي شيء في هذا الكون إلا بنا نحن فقط.

وبالفعل خرجنا من المطعم وأكملنا مسيرتنا التي بدأناها .. وكان يجب أن أسأل ذلك السؤال الذي كان يشغل بالي منذ البداية .. لماذا أنا؟ وما هو الشيء الذي دفعك إلى تلك الدرجة من الحب؟

نظري وهو يقولها صريحة .. لا أدري .. كل ما أشعر به أنني أعشقتك .. وذلك الهواء الذي يخرج من بين صدرك هو سر حياتي .. لأني وبكل سعادة أشعر أنني ما زلت على قيد الحياة عندما أستنشقه .. أشعر بقيمة نفسي عندما أنظر إلى عينيك لأجد بهما راحة بالي التي أبحث عنها بين سائر البشر .. روحي تزهر عندما أشعر بأنك فارقت خيالي وتعود عندما تعودين .. باختصار شديد أشعر بالأمان وأنا أسبح بخيالي في عالمك .

إلى هنا استيقظت من نومي وأنا أود أن أحطم ذلك الهاتف الذي أيقظني برنينه وأن أقطع علاقتي بصديقتي هاجر التي أيقظتني من ذلك الحلم الجميل لتأخذني إلى أرض الواقع .. وتأهبت لرحلة البحث عن تحقيق هذا الحلم .. ارتديت ملابسني بأسرع من البرق حتى أقابله مجدداً في المصعد وأبوح له بكل أسرارتي حتى يبوح لي هو الآخر بما في قلبه .
كم أتمنى أن يتحقق ذلك الحلم الجميل !

اليوم الرابع عشر

كل شيء حولي يحاول أن يجhez أمني في البقاء .. كل شيء يتحامل علي بمنتهى القسوة .. الفراغ يملأ حياتي ولا تستطيع الكلمات أن تصف ما أنا عليه من حزن وهم وعذاب .. تركني زوجي بحجة جلب المال واستدعاء الرخاء وراحة البال .. ساعدته على ذلك للحقيقة .. لكن ماذا جنيت؟ عذاب .. وحدة .. فراق .. ألم .. قلب ينبض بمجهول .. روح تبحث عمن يحتويها من قسوة الأيام والأحداث .. تلك هي الحقيقة التي يجب أن أقر بها وأتعرّف عليها .. ولن أتحوّل عنها .. آآه .

هل سأعود إلى حيرتي مرة أخرى .. لا أطيق كل هذا العبث .. أين أنت؟ ولماذا لا تأتي؟ انتظرتك بداخل المصعد وطال انتظاري ولم تحضر .. كنت أتمنى أن تأتي وتأخذني بين يديك وتقبل جبهتي وتعرف لي بما يكفه قلبك تجاهي من حب وإخلاص، لكن كرامتي دفعتني إلى الرحيل .. يكفي مغامرة بالأمر إلى هذا الحد .. كان يجب أن أذهب إلى عملي حتى لا أتاخر وأتعرض إلى تعنيف شديد وتوبيخ من مديري .. لا أخفيك سرّاً .. إني أفكر فيك في كل لحظة أعيشها بدونك .. في كل

خطوة تخطوها أمامي .. وذلك القلب الضعيف للغاية .. ينطق باسمك في كل نبضة ينبضها .. ألم تدرك بكل هذا؟ ألم يحن الوقت لأن تأتي لي وتعترف أنك تعشقني وتستنشق هوائي وتنفسه وتعيش من أجله مثلما ذكرت لي في حلمي بالأمس ..

أتعرف يا حبيبي؟ من لاحظ أنني أحبك لدرجة الجنون اليوم؟ إنه ذلك الهاجس اللعين .. جاءني وأنا أتوجه إلى عملي وسألني:

- لماذا كل هذا الاشتياق إليه؟

- كلي يذوب في عشقه .

- نعم أنت أنثى ضعيفة .. بل أضعف مما كنت تظنين أمام قلبك .

وكلمات كثيرة من تلك التي تفضح أمري وتوبخني أحياناً .. لكنني كنت أجد مبرراتي وردودي التي تجعلني أثبت على موقفي .. كنت أخبره أنني لم أشعر بحدس أجهل مما أعيشه الآن .. منذ زمن بعيد لم أشعر أنني أعيش لحظات حنين واشتياق .. هناك يا هاجسي لحظات تمر بنا وعلينا لا يمكن أن ننساها ..

أتدري ما الحب .. إن لم تكن تدري فهذا أمر طبيعي أن تقذفني بتلك الاتهامات .. وسأعفو عنك وأغفر لك جهلك .. أما إن كنت تدري معنى كلمة حب .. فاعلم أنني لن أغفر لك حماقاتك هذه إلى أن تقوم الساعة .. الحب يا هاجسي هو الشعور بالراحة .. إدراك الأمان .. إحساس لا يوصف عندما تشعر بالضعف والقوة في نفس اللحظة .. الحب هو عطاء وغطاء .. يعطيك حبيبك كل ما يملك .. يغطيكم ويحميكم من كل ما

يحيط بك من أخطار الأيام .

حبيبي .. إنها ليست كلمة.. إنها كيان .. روح هائمة تظل عالقة في
الذاكرة ولا تنسى مهما طال بنا الدهر .. حبيبي .. هي الكلمة التي يتخطى
معناها كل المعاني وتتجاوز صفاتها كل الصفات ..

دعني أخبرك بشيء هام حدث اليوم جراء حبي وتشوقي وشغفي بك .
فضحتني عيناى اليوم أمام الكثير من الأصدقاء .. كان أصعب ما
حدث لي عندما جاءني هاجر تسألني:

- ما لك يا ميران؟ إيه اللي شاغللك؟

- ها .. لا .. مفيش .

- علي أنا برضه!

- صدقيني يا هاجر .. شوية إرهاق من الشغل .

- من الشغل ولا من التفكير ووجع القلب .

- وجع القلب .. قصدك إيه؟ مش فاهمة .

- يا ميرو .. دانا هاجر .. صاحبتك اللي بتحبك وبتفهمك من عينيكي .

- وعيني بتقول إيه بقي؟

- بتقول إنك مش هنا وعاشة في عالم تاني .

هنا أدركت أنها تشعر بما يدور في مخيلتي وتقرأ ما أفكر فيه .. يا لها
من صديقة ذكية وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على حبها الشديد لي
وإخلاصها في صدقها لي .. فليس من السهل أن يشعر بك شخص إلا إذا
كنت قريباً من قلبه ويوليك رعاية واهتماماً بشكل خاص ومميز .. وأظن

أن مكاني عند هاجر يصل إلى هذه الدرجة من الصداقة الصادقة .. لكن لا تخف لم أخبرها إلى الآن بما بيننا .. ولا تخش من ذلك الأمر فأنا لن أخبر أحداً بعشقي وجنوني بك .

انتهي يومي في العمل وتركت الجميع ورجعت إلى المنزل مسرعة لعلني أقابلك أثناء عودتك في المصعد أو أمام مدخل المنزل .. لكن دون جدوى .. أين أنت؟ لماذا رجعت مرة أخرى إلى الاختفاء والظهور كخيال في حياتي من جديد؟ هناك فارق كبير بينك وبين زوجي .. كان ينتظر كثيراً من الوقت ويؤمن بقدمي إليه مهما طال الانتظار .. أما أنت فعلى ما يبدو لي سريع اليأس .. لا تقوى على تحمل الانتظار .. هو أقوى منك في ذلك .. ربما لأنه يحبني بجنون .. لكنني أعلم أنك أيضاً تحبني .. وبشدة.

لن يقتصر الأمر على ذلك فحسب .. بل ظل فكري يشغلني بك .. ويخاطبني ويطرح التساؤلات هل رجعت عن عهدك الذي قطعته بالأمس؟ هل كل هذا مجرد كلمات واهية لا قيمة لها ولا أساس؟ أجب من فضلك.

ماذا أصنع؟ لقد أوشكت على الجنون .. إني أحدث نفسي عنك أكثر من أي شيء .. لا .. يجب أن أنتهي من هذا الأمر .. وبالفعل توجهت إلى الحمام وأخذت حمامي بعد أن قمت بتبديل ملابسني وانتهيت وتوجهت إلى المطبخ وطهوت طعامي وتناولته وأنا أحاول عدم التفكير في أي شيء يأخذني إليه .. إلى أن أخذتني أقدامي وأنا أتناول فنجان من الشاي إلى تلك الشرفة التي تعلو شرفته مباشرة .. ودون أن أدري أخذني فضولي

للنظر إلى أسفل لعله يكون هو الآخر يجلس في شرفته فأشاهده .. لكن ماذا أصنع إن رأيته .. لا أعلم .. هل أناديه أم ألزم الصمت؟ إنه أمر يصعب اتخاذ القرار فيه .. إلى أن جاءني هاجسي وطرح فكرته الشيطانية علي لتبهري .. قال لي انظري وإن وجدته انزلي إليه بقدميك بحجة أنك جئت لكى تطمئني على والدته مثلما أخبرته بالأمس .. كانت فكرة شيطانية وسديدة حقاً فهي الحل الأمثل لكل هذه التكهّنات التي أعيش بها .. وبالفعل نظرت لكنني لم أجد أحداً في الشرفة بل الجو العام لشقته يبدو وكأنه لا يوجد به أحد حيث ما زال في العمل ما دامت الإضاءة خافتة وضعيفة فوالدته لا تقوى على التحرك لتضيء كل أنوار الشقة .. إذن سوف أنتظرك هنا في الشرفة وعندما تعود أكيد سوف أراك وتراني .. وبالفعل جلست أنتظره إلى أن غلبني النعاس ولم أستيقظ إلا بعد منتصف الليل .. ودفعني الغضب إلى اللجوء للفراش لأكمل نومي دون تفكير في شخص لا يهتم بأمرى .. وأثناء إقبالي على النوم طرحت على نفسي سؤالاً هاماً .. كيف له أن يعشقني وهو يعلم أنى امرأة متزوجة .. إنه لا يعشقني .. إنني أرسم وهم خيالي لأجعل من الرجل الذي أبحث عنه حقيقة ليس أكثر .. إن كنت كذلك فهذا يسوقني إلى حقيقة هامة للغاية .. إنني أستعين بعواطف ومشاعر من يحبني وأبحث في أقرب مكان حولي عنه .. لا .. هذا غير صحيح .. هو يعلم أنى متزوجة .. نعم .. لكنه يعلم أيضاً أنى أعيش وحيدة وفي أشد الاحتياج إلى قلب يشعر بما في داخلي من حب .. أظن أنه استطاع أن يقرأ ملامح وجهي من جديد ويعلم مدى العذاب

الذي أعيشه من جراء فراق زوجي لي وهجره وسفره .. أظنه استشعر
الوهن والحنين الذي يسيطر على كل جوارحي .. لا أعلم إن كان يعلم أم
لا لذلك وجب علي أن أتخذ الإجراءات اللازمة للتحقق من ذلك .. لكن
ليس الآن فأنا الآن على وشك فقدان الوعي وعلي أن أخلد إلى النوم وإن
غداً لناظره لقريب .

أصبح على خير بلا انتظار ووجع قلب!

اليوم الخامس عشر

الذكريات لا تكفي لقضاء كل هذا الوقت بدونك!
 نعم .. لقد استرجعت كل ما بداخلي من ذكريات جميلة .. وغير جميلة
 .. تلك التي جمعناها معاً .. كنت أحاول أن أتصبر بها على طول فراقك
 وأقصر من خلالها المسافات التي تبعد بيني وبينك .. لكن دون جدوى
 .. وهل للذكريات معنى دونك؟ آه يا رأسي! لو تكفين عن التفكير قليلاً
 لكان حالي أفضل مما أنا عليه الآن .. وتلك الأشياء المزعجة التي تحيط بي
 ما فائدتها إلا زيادة التوتر والقلق والحيرة .. خصوصاً وأنا على أعتاب
 النوم .

منذ تلك اللحظة سأتخلص من كل شيء يزعجني أثناء نومي .. فأنا لا
 أطيق التحمل أن أستيقظ من نومي على ذلك الصوت المزعج حتى وإن
 كان من يتصل بي هو زوجي .

دعني أضحك قليلاً وأنا أسخر من نفسي عندما أذكر فوق صفحاتي
 كلمة زوجي .. حيث إن تلك الكلمة أصبحت كلمة تذكر فقط فوق
 الأوراق الرسمية ليس أكثر من ذلك ولا أقل .. ربما يزيد عليها تلك

المكالمات الهاتفية التي تصلني منه مرة كل أسبوع على الأكثر .
لكن للحقيقة يجب أن أذكر أنه في هذه المرة كان صوته مختلفاً تماماً عما
سبق .

- ألووو .

- إزيك يا حبيبي !

- الحمد لله يا حبيبي .. إنت عامل إيه ؟

- تعبان جداً من غيرك .

- وأنا كمان بس هانعمل إيه .. لازم نتعب علشان نوصل .

- هانت كلها شهرين والإجازة السنوية تيجي وأعوضك عن كل لحظة
بعدت فيها عنك .

- مستنيك .. ومحتاجة لك أوي .

- مش قدي ... بحبك .

وكالعادة انقطع الاتصال .. لم أعد أهتم بذلك الأمر .. ولم أعد أنتظر
معاودة الاتصال مرة أخرى .. لأنه لن يتصل مجدداً .. وما المجدي في
الاتصال مجدداً .. لقد اطمأن أنني ما زلت على قيد الحياة .. وأنا كذلك
.. فعلى ما أظن أنه يوفر ثمن المكالمات خصوصاً وأن خدمة التجوال ذات
تكلفة عالية .. أظنه يفكر بهذا المنطق .. سحراً لكل شيء يبعد بيني وبينك
.. لعنة الله على حلم الشراء وعلى هؤلاء المسؤولين وعلى كل شيء أجبرنا
على هذا الوضع .. إني بحاجة إليك .. أتعلم ؟ أسمع ؟ أتدرك ؟ أم مات
حسك وويعيك وإدراكك ؟ بكل صدق وأمانة يا أعز ما لي في هذه الحياة

أشتاق إليك بكل ما تحمله الكلمة من معنى .. كل ما بداخلي في أمس الحاجة إليك .. هناك ثورة حين تحتاج كياني وأنت لا تدري .. لا تعلم .. وكأن قلبك توقف عن النبض .. هل حقاً توقف قلبك عن النبض؟! لا أظن فما زلت أشعر أنه لا ينبض إلا بحروف إسمي مثلما كنت تجعلني أسمعه سابقاً .. لا أعلم ماذا يحدث لي وما سر كلماتي هذه .. لكنه شعور أحاول أن أصفه لك لعلك تدري كم أنا أعشق هذا الهواء الذي تنفسه أنت .. ثم إن هناك شيئاً غريباً في تلك المكالمة.

إنه يشعر باشتياق .. أدرك أنني بأمس الحاجة إليه .. كأنه يشعر أنني أبحث عن حب يملأ قلبي .. كأنه استشعر أنني في حاجة إلى أن أشعر أنني أنثى لها طابع خاص .. أنثى بكل ما تحمله الكلمة من معنى .. ربما أدرك في ذلك الحين أنني امرأة لي قلب ومشاعر وحنين واحتاج إلى من يحتويني . نعم هذا اعتراف مني بذلك .. أنا أضعف مما أنت تتخيل .. لا أقوى على طول الهجر والفراق .. لم أتحمل الوحدة في عش زوجية لا تكفي ذكرياته لأن تملأ كل هذا الفراغ الزمني الذي أعيش فيه من دونك .

أتدرك معنى ذلك؟ إنني استرجعت كل الذكريات التي جمعتنا لدرجة جعلتني لا أفكر في استدعائها لكي تؤنس وحدتي بدونك .. لقد ملت الذكريات من كثرة التذكار .. وتلك التصويرات التي التقطت لنا في مختلف الأماكن راحت تهرب من بين ألبوماتها من كثرة تجريح يدي إليها دون أن أدري .. حتى هذا الهاتف الذي يحاول أن يحد من قلة الفراق والهجر لا يقوى على تحمل الوصال الزائف فيما بيننا إلا لبضع دقائق

معدودة تطمئن من خلالها أني ما زلت على قيد الحياة وأنا كذلك ..
 لكن يا حبيبي يجب أن تعلم شيئاً هاماً للغاية .. إنني أصبحت مثل
 الدمية التي لا تنبض بك ولا تشعر بوجودك .. أين أنت؟ ولماذا كل هذا
 الفراق والهجر؟ لعن الله السفر والترحال .. لعن الله حلم الثراء ما دمنا
 نعيش في ظل أناس مسئولين لا يقدرון كفاءاتهم .. لماذا تذهب أنت
 بكل ما تحمله من كفاءة وخبرة لكي تعمل بها خارج بلادنا من أجل
 حفنة أموال؟ نعم مهمة تلك الأموال .. أنها سوف تحقق لنا أحلامنا
 مثل الفيلا والسيارة والشركة الهندسية التي نباشر من خلالها عملنا الذي
 نحبه ونتميز به أنا وأنت سوياً .. لكن لماذا لا تعمل هنا وتحصل على نفس
 العائد؟ هل ستأخذ تلك الأموال من دون مقابل؟ هل ستربح وحدك من
 عملك أم أن ذلك العمل سيكون له عائد على البلاد أيضاً ..
 أتذكر ذلك الحلم الذي حلمنا به منذ أيام الدراسة .. تلك الشركة
 الهندسية التي تعمر وتخطط الصحراء وتطور المدن القديمة وتنشئ المدن
 الحديثة لنُحد من الكثافة السكانية .. وتلك الأراضي الصحراوية التي
 تحلم بأن تجعلها سكنية وزراعية .. أتذكر مشروعاتك الضخمة .. أتذكر
 كم التعت والتعسف الذي قوبلت به من إدارة الجامعة وعدم تعيينك
 معيداً بالجامعة .. أتذكر إصرارك الشديد لكي تثبت أحقيتك في هذا
 المنصب .. كنت أعشق ذلك الإصرار وهذا الحماس رغم شعوري بالظلم
 الواقع عليك .. إنك رجل عظيم .. تلك هي الحقيقة .
 ما هذا .. انتظر .. أتدرك معنى هذا .. لقد عاد قلبي ينبض بك مثلما

كنت في سابق عهدي قبل رحيلك .. أشعر بقوتك رغم قسوة الأيام علينا .. دعني أخبرك سراً .. رغم غيابك وعبثي وبحثي عمن يملأ حياتي ويشعر بوجودي إلا أنني ما زلت أعشق تلك الابتسامة الرقيقة التي تكسو وجهك عند مداعبتني لك .. إنك حنون جداً .. رغم قسوة قلبك والفراق أحبك!

لكن عليك أن تعلم جيداً أنني أتحمل كل هذه الظروف الصعبة والمتاعب من أجل تحقيق الحلم .. نعم أريد تلك السيارة الجميلة أو حتى القبيحة لأني وبكل صدق مللت من التنقل عبر المواصلات العامة .. والشركة التي سنحقق منها ذاتنا .. ونؤكد من خلالها نجاحنا وتفوقنا .. ولا تنس تلك الفيلا التي سوف تصممها لي على مزاجك الخاص مثلما وعدتني .. أقسم لك أني لو رأيت لها مثيلاً سوف أغضب عليك بشكل لا تقوى على تحمله .. بالمناسبة توعدني لك هذا ما هو إلا مجرد مداعبة .. حبيبي .. أشتاق إليك بشكل لا تقوى الكلمات على وصفه .. أحبك لدرجة الجنون .. إن لم تعد سريعاً سوف آتي إليك .. إياك أن تكون قد عرفت نساءً عندك .. أقسم أني سأقتلك لو حدث ذلك .. أحبك .

عد سريعاً فأنا في أمس الحاجة إليك .

أحبك .

اليوم السادس عشر

لن أعود بدونك .. هذا آخر ما عندي .
 ذهب الأمس بكل ما فيه من أحداث جميلة وغير سارة .. ولم يتبق لي غير
 الذكرى التي أرجو أن تسعفني في تحمل عناء البعد والفراق .. ولكنها
 وللحقيقة هي ليست على القدر الكافي مما أنا أرجوه .. لكن لا يهم .. يجب
 أن أتعايش بكل ما هو متاح الآن من ذكريات وأعيد وأزيد في تكرارها ..
 على أمل أن يأتي الغد بالأفضل .

أستيقظ بعد نوم عميق .. لا أهتم بأي شيء آخر في تلك الدنيا ولم
 أهتم بعد تلك المكالمات التي حدثني فيها زوجي بالأمس .. لا أهتم بأمر
 المكالمات للدرجة التي تجعلني أرثدي ثوب الراهبات وأعتكف بعيداً عن
 الإحساس والمشاعر والبحث عن رجل من وحي الخيال ..

لكن عدم اهتمامي بأي شيء - أقصد بها المحادثة التي دارت بيني وبين
 نفسي بالأمس عبر صفحاتي - كنت بالفعل قد قاربت على الملل من تلك
 الذكريات لكنها الآن لها طابع ومذاق خاص .. بعد أن تذكرت أن سر
 الهجر والفراق الذي أعاتب عليه زوجي هو أنا .. نعم أنا السبب الوحيد

في العمل خارج البلاد .. أنا من طلب تلك الفيلا وهذه السيارة وأن أكون صاحبة شركة خاصة .. أنا من طلبت منه السفر لكي يوفر لنا الأموال الكافية لتحقيق رغباتنا .. بالرغم من أنه كان باستطاعته أن يعمل هنا بجواري ولا يفارقني .. الآن أدين لك بالاعتذار أرجو أن تتقبله .

ولكي أكون في قمة صراحتي سوف أصرح لك عبر صفحاتي عن شيء مضحك للغاية .. منذ يومين شعرت أن جارنا مهندس الديكور ماهر هو ذلك الرجل صاحب الصوت المجهول الذي أبحث عنه لدرجة جعلتني أحلم به كما ذكرت عبر الصفحات .. لكن في أرض الواقع هذا لم يحدث بالطبع .. لكنني أردت أن أقطع الشك باليقين في هذا الأمر .. وأن أكف عن تلك المغامرات غير المحسوبة وغير المحسومة .. اليوم أخذت قرارا لانتهاء من كل هذه الهواجس .. نزلت بالفعل بحجة أن أزور والدته المريضة .. طرقت الباب في حوالى الساعة السابعة مساءً بعد أن تناولت طعامي .. استقبلني بشكل لطيف كجار .. جلسنا بين والدته المريضة وسار بيننا حديث بسيط .. كنت أطمئن من خلاله على صحتها.

- أنا عرفت إن حضرتك تعبانة بقالك كام يوم فقولت آجي أطمئن عليكى.

- فيكى الخير يا بنتي .. ويا ترى جوزك عامل إيه؟

- بخير الحمد لله .

- هو لسه ما رجعش من السفر؟

- لا .. لسه.

- على ما أظن إنك مش قادرة تعيشي في الوحدة دي يا مدام ميران!
- عندك حق يا باشمهندس .. الوحدة بتقتل .
- أكيد فيه أكثر من طريقة بتحاولي تقضي بيها على وقت فراغك .
- مخيش عليك .. كل الطرق شبه بعضها .
- عارف .. بس أكيد فيه حاجات بتساعدك تنسى وخاصة إنك عايشة لوحداك .
- وهو جوزك يا ميران يا بنتي ما بيتصلش بيكي؟
- لا يا حاجة .. بيتصل .
- على فكرة ماهر بيشكر فيه أوي وبيقولي عنه إنه مهندس شاطر أوي وناجح كمان في شغله .. أصله بيتعامل معه .
- كانت تلك الكلمة مفاجأة بالنسبة لي .. ما دخل زوجي بعمل ماهر؟
- هذا مهندس ديكور وزوجي مهندس معماري مثلي .. ثم إن زوجي يعمل في الخليج كيف لماهر أن يتعامل معه دون أن يسافر لتلك الدولة التي يعمل بها زوجي؟
- بتتعامل معاه .. إزاي؟
- ها .. آه .. أصل أنا كنت بنفذ ديكورات فيلا لشيخ خليجي وعرفت إن جوز حضرتك هو اللي عامل التصميمات بتاعتها .. وكان فيه بينا كام مكالمة تليفون كدة كنت بستفسر منه على بعض التفاصيل وكده .
- آه .. بس هو ما قاليش حاجة عن الموضوع ده .
- لا ما هو ما يعرفش إني ساكن في نفس العمارة اللي حضرتك ساكنة

فيها .

هنا أقنعني بالحديث .. لأن زوجي أخبرني أنه يقوم بتصميم فيلا لأحد مشايخ تلك الدولة البارزين هنا في مصر .. وبحكم عمله يتابع كل صغيره وكبيرة إلى أن يتم تسليم الفيلا على المفتاح .. هكذا هو طوال عمره يعشق عمله ويتميز بالدقة والمتابعة إلى أقصى درجة .. كم أنا فخورة به .. ولكنني ما زلت غاضبة من تجاهله لي.

أثناء ذلك الحديث دق جرس الباب ونظر ماهر في ساعة يده وبدت السعادة على وجهه .. وقام متوجهاً نحو الباب لكي يفتح .. وإذا بفتاة في أوائل عقدها الثالث تدخل وتعانقه ويقبلها .. كاد قلبي أن يتوقف عن النبض في تلك اللحظات .. وأنا أسأل نفسي .. من تلك الفتاة .. وكيف يقبلها أمامي هكذا .. وزاد الأمر تعقيداً عندما توجهت نحو والدته وهي تقبلها وتسألها عن حالها وعن صحتها اليوم .. والمدهش أن والدته تتعامل معها بكل سعادة وتلومها على التأخير .. ثم انتبهوا إلى دهشتي واستشعروا فضولي وكأنهم عرفوا ما يدور بمخيلتي .. فقام ماهر على الفور بتقديمها لها .

- مدام ميران .. مرات الباشمهندس أحمد صاحب تصميم فيلا التجمع .

- أهلا وسهلا يا فندم .

- سارة .. كاتين كتابنا وبنستعد للفرح قريباً إن شاء الله .

- والله .. ألف مبروك يا آنسة سارة .. أستاذن أنا بقى يا جماعة والحمد

لله إني اطمنت على صحتك يا فندم .

- ما تخليكي قاعدة معانا شوية .

- لا معلهش علشان ألحق أنا معندي شغل بدري .

- ربنا معاكي .

وتوجهت تلك الـ«سارة» مع ذلك الـ«ماهر» لتوصيلي إلى باب الشقة .. بالأمانة كنت أريده بمفرده لكي أنفرد به وأركله في وجهه بكل قوتي .. لقد خدعني في الحلم وأقسم أنه لا يوجد غيري في حياته .. ومن تلك أيها الكاذب المضلل .. لن أغفر لك انشغال عقلي وقلبي وذهني بك .. للحقيقة أنا من يستحق كل ذلك .. أنا من فعل بنفسه هذا .. ومن ذلك الرجل حتى يشغل بالي .. ثم إن صوته لا يطابق ذلك الصوت الذي استمعت إليه ليلة عيد الميلاد .. من رابع المستحيلات أن يكون ذلك الشيء على كل هذه الدرجة من الحس والجاذبية التي استطاعت أن تحرك كل مشاعري الراقدة!

لكن ماذا سأفعل الآن .. يجب أن أنهي هذا الخلاف والصراع الدائر بيني وبين قلبي الذي ما زال يصر على البحث عن صاحب الصوت الصادق ذي الأنفاس الدافئة .

آه يا قلبي دائما تأخذني إلى ما لا أتحملة .. سأستجيب لك وسأذهب معك في رحلة بحث جديدة لعلك تجد من تبحث عنه وترحمني من كل هذه المعاناة والمشقة التي أعيشها معك .

اليوم السابع عشر

هناك ضحكات كثيرة ذات أنواع مختلفة .. لكن ما أكثر تلك الضحكات التي تحمل معاني السخرية!

نعم .. أصبحت كل ضحكاتي تحمل هذا المعنى دون أي مبالغة في الأمر .. أسخر أحياناً من نفسي ومن تصرفاتي .. أسخر من هؤلاء الذين أتعامل معهم في العمل وغبائهم المبالغ فيه .. أسخر من هؤلاء الذين أظن أنهم يشعرون بما في داخلي من مشاعر وأحاسيس .. لكن أغلب ضحكات السخرية على حالي ومن حالي أنا .. أتذكر يوماً ظننت فيه أن من يحبني وجاءني هامساً في عيد الميلاد البواب .. فأضحك ساخرة من غبائي الشديد .. ومديري .. وهذا العميل .. وأخيراً المهندس ماهر جاري .. كل تلك المواقف تدعو إلى الضحك بشكل في غاية السخرية .. يا لغباء الأنثى عندما تهتم أن تصل إلى مرادها يعمى بصرها .. كاد عقلي يصاب بالجنون والهوس بسبب كلمة هامسة عابرة من رجل غامض .. ربما يكون هو أيضاً مجنون ويعاني من هوس .. لماذا أهتم بهذا الأمر إلى تلك الدرجة؟ لماذا دائماً أستمع إلى قلبي دون أن أصغي إلى عقلي ولو

لبضع دقائق؟ أظن إن فعلت هذا سيختلف الأمر تماماً وسأخرج من تلك الحالة التي يرثى لها حقاً .

أعترف الآن أنني كنت على شفا حفرة عميقة كادت تفضي بي إلى أن أقضي نحبي .. لكن الله سلم ..

قررت أن أغير كل شيء في حياتي .. وأهم شيء أن أغير وجهة نظري في التفكير بالأمر نفسه .. لن أبحث عن ذلك الرجل مجدداً وإن كان هو يرغب بي فعليه بالبحث عني وليس العكس .. إن كان صادقاً في مشاعره التي أفاض بها يوم عيد الميلاد عليه أن يثبت ذلك .. انتهى الأمر ولن أعود عن ذلك القرار ..

توجهت في المساء إلى الكوافير .. لم أحضر إلى هذا المكان منذ يوم عيد الميلاد .. إنه تقصير في حق شعري .. أعذر له .. فمنذ زمن طويل لم أقصر بحقة إلى هذا الحد .. وأنا من اعتادت أن تعتني به على يد كوافيري الخاص وليد الذي يفهم طبيعة شعري ويتعامل مع بشرتي بمتهى الإخلاص . وبمجرد دخولي المكان قوبلت بالترحاب والاستقبال الحار .. ربما يكون ذلك أحد أسباب ترددي على المكان بشكل مستمر ولن أفكر يوماً ما أن أقوم بتغييره .

- أهلاً وسهلاً يا ميران هانم!

- إزيك يا وليد؟

- بخير طول ما حضرتك بخير .. اتفضللي يا فندم .

- ميرسي .

وجلس على الكرسي أمام المرأة وبدأ وليد في التحدث معي .. متسائلاً عن سر انقطاعي طوال تلك الفترة .. فأنا كما ذكرت سابقاً لم أعتد التهاون والتقصير في حق شعري تحديداً وبشرتي عموماً .. وتقريباً أتردد على المكان مرة أو مرتين في الأسبوع .

بدأ في عمله ونحن نتبادل الحديث وأنا أشرح له أسباب عدم مجيئي على مدار الأسبوعين السابقين .. وأثناء ذلك طلب مني أن أسترخي تماماً على الكرسي وبالفعل استسلمت إلى أمره .. وراح يضع بعض المستحضرات الخاصة بتغذية الشعر ومنع سقوطه، حسب قوله، بين يديه وأخذ يضعها بعد ذلك على رأسي ويدلك بيديه فروة رأسي ..

إلى هنا التزمت الصمت التام .. أخذني ملمس يديه إلى عالم آخر خاصة وأن تلك العاملة التي تقوم بعمل الباديكير والمانيكير بدأت عملها في نفس التوقيت .

شعرت وكأنني أميرة وحولي الجواري يقومون بخدمتي وتجميلي .. يا له من إحساس رائع ! كان وليد يتحدث لي وأنا لا أستمع إليه .. ثم ودون أي مقدمات بدأت عيني تراقبه من خلال المرأة وهو يقوم بعمله .. شعرت بأنه يتجنب أي حركة تؤلمني أثناء عمله .. ملمس يديه كان رقيقاً للغاية .. دقت النظر إلى عينيه فشاهدت شيئاً غريباً للغاية .. إنها تتحدث بلغة هادئة .. يبدو لي وكأنها لغة عاشق رومانسي .. ومتيم بالعشق ومفتون .. ماذا يدور بذهني الآن .. لا هذا مستحيل .. بل في غاية الاستحالة أن يكون وليد هو صاحب الصوت الهامس الذي نطق

بكلمة أحبك يوم عيد الميلاد .. هنا تدخل هاجسي لكي يلفت انتباهي إلى شيء هام حدث بيني وبينه في ذلك اليوم .. قبل حضوري إليه اتصلت به وأخبرته أن ذلك اليوم هو عيد ميلادي .. وأخبرني أنه يعرف ذلك وفي انتظاري وما إن وصلت إلا وكان المكان في أتم الاستعداد لاستقبالي .. وطلب مني الجلوس على الكرسي وقبل أن أبدي رغبتني في عمل النيولوك قاطعني قائلاً: أرجوك عدم إبداء أي رغبة أو تعليق إلا حين الانتهاء مما سأفعله من أجلك في هذا اليوم بالتحديد ... وامثلت لطلبه .. وتركت نفسي بين يديه وما إن انتهى إلا ورأيت شيئاً مبهرًا حقاً .. جعلني أميرة بالفعل ... كان ذلك العمل يدل على الإبداع وأنا أعلم أن المبدع لا يبدع إلا إذا وجدت الدوافع النفسية لذلك ... ثم إنه أخبرني أنه لن يعمل اليوم بعد الانتهاء من تصفيف شعري وتزييني لأنه مرتبط بموعد في غاية الأهمية ولولا أنه يعلم أن ذلك اليوم هو عيد ميلادي ما كان سيحضر إلى المحل نهائياً وسيتفرغ لموعده في المساء .. شكرته في ذلك الوقت دون أن أتدخل في حياته وأسأل عن ذلك الموعد .. ربما وجب علي الآن أن أسأله ذلك السؤال .. ربما تصرح عيناه لي بذلك .. أستشعرها تنطق بكلمة ما يحاول أن يخفيها خلف ابتسامته الرقيقة .. لا .. بل إن تلك الابتسامة تؤكد صدق شعوري .. أغلقت عيني لأنتقل إلى عالم آخر معه .. المكان كان أشبه بحديقة كبيرة تحيطها الورود من كل الجوانب يملأ سماؤها الطيور بديعة المنظر والألوان .. تشدو بصوت هادئ حولنا .. لأسمع صوته الهامس ينطق لي بكلمة .. أحبك .. نعم قالها بكل رقة وعذوبة ..

ما أجملها! وما أبهى أن أستمع إليه وهو ينطقها! ثم أمسك بيدي وقبلها وقالها للمرة الثانية .. أحبك .. وأضاف إليها: من أعماق قلبي وبكل جوارحي .. هنا وضعت يدي على فمه لكي أوقفه عن الحديث وأتحدث أنا .. وأقول له .. أعلم ما بداخلك وأشعر به .. أنفاسك الدافئة تعبر عن حنينك الصادق .. وأنا أحبك .. ولا أستطيع أن أقول لك أكثر من هذه الحروف .. ولن أتطرق إلى وصفها بداخلي لأنني مهما وصفتها لن أوفي قدرها .. هنا رن هاتفه المحمول ليعود بي مرة أخرى إلى مكاني الطبيعي بداخل الكوافير .. فتحت عيني لأشاهد الهاتف أمامي يرن .. ودون أن أتعمد النظر لمحت اسم المتصل كانت أثنى اشتد غضبي مما دفعني بكل فضول لأقول له:

- ما ترد يا وليد!

- لا مش مهم.

- ليه .. هي مين دي؟

- نعم!

كان سؤالاً غيباً .. ما كان يجب أن أطرحه نهائياً .. ماذا أفعل الآن؟ يجب أن أخرج من هذا المأزق الذي وضعت نفسي فيه .. آه تذكرت ما حدث يوم عيد الميلاد .. سأطرح عليه السؤال الآن حتى أغير الموضوع وأخرج من ذلك المأزق السخيف الذي وضعت نفسي فيه .. وبالفعل توجهت إليه بالسؤال:

- هو إنت يوم عيد ميلادي كان عندك إيه يا وليد؟

- عيد ميلاد يا هانم .
- أكيد بتاع حد عزيز عليك .
- طبعاً .
- ويا ترى مين؟ ولا مش من حقي أعرف؟
- لا طبعاً يا هانم من حقك .. خصوصاً إنه نفس يوم عيد ميلادك .
- آه صح .. ده مين ده؟
- المدام عندي في البيت .. بالمناسبة هي الي دائماً تطلب مني أنزل لحضرتك يوم عيد ميلادك علشان أعمل لك شعرك ..
- ما كان علي إلا أن أبتسم تلك الابتسامة التي تحمل معنى السخرية من جديد .. إنه نفس الخطأ الساذج الذي دائماً ما أقع به .. وربما تكون زوجته هي التي كانت تتصل به منذ قليل .. يا لفضولي الغبي! وكل ذلك يعود إلى ذلك الهاجس اللعين .. هو من دفعني إلى التفكير بهذا الشكل والمنطق .. ماذا أفعل به؟ ماذا يتوجب علي لكي أتخلص من هذا الهاجس .. أحياناً أفكر في الانتحار حتى أتخلص منه .. لكنني أكتشف أنني بذلك سوف أتخلص من نفسي قبله .. ومن يدري ربما هو يسوقني إلى هذا التفكير ليتخلص مني أنا .. كم أنا ساخرة وساخطة على حالي في تلك اللحظات لدرجة جعلتني أتحدث بأسلوب فعلاً لا يخرج من عاقل .
- اكتفيت بهذا القدر من التفكير بعد أن شكرت وليد وطلبت منه أن يبلغ زوجته تحياتي واعترازي وتقديري لها .. وانتهيت وتوجهت إلى منزلي وأنا أضحك ساخرة من نفسي ومن ذلك التفكير الغريب .. وأمسكت

بأوراقى وقلمي لأسجل تلك الضحكات الساخرة .. ولم يتبق إلا سؤال هام للغاية .. إلى متى سأظل أضحك وأنا أسخر من حالى؟ ومتى سيأتى اليوم الذي سأضحك فيه دون سخرية؟ ضحكة تكون من أعماق قلبى وتعبر عن مدى سعادتي .. كم أشتاق إلى ذلك اليوم وهذه الضحكة التي كادت شفتاي أن تنسى شكلها!

عموماً .. العبد في التفكير والرب في التدبير .. وما دمنا نضحك فلا يهم نوع الضحكة التي نضحكها ما دام لا يعلمها أحد غيرنا .
أصبح على خير .. أو على ضحكة أفضل .. أو كما يشاء الله .

اليوم الثامن عشر

في بعض الأوقات تتمنى أن يتوقف عقلك عن التفكير وقلبك عن النبض وتتلذذ بعدم الإدراك..

إنها تبدو كهدنة للجسد من كل أجزائه العاملة بداخله والتي لا يقوى على أن يلحق بسرعتها وطاقتها .. لذلك وجب علي أن أوفر تلك الفرصة لجسدي بعيداً عن كل السبل والمحاولات العادية التي تمارس من أجل هذا الغرض .. فالأشياء التقليدية تؤدي إلى الملل .. وربما في بعض الأحيان تؤدي إلى حالة من الاكتئاب الشديد الذي يؤدي بدوره إلى الانتحار .. وأنا ورغم صغر سني فكرت كثيراً في تلك الفكرة من كثرة العزلة التي أعيش فيها .. ولم أنتو بالطبع تنفيذها .. أظن أنني لا زلت على رشدي ولن أجروء على التفكير في تنفيذ ذلك .. لكن .. أدركت لماذا يقدم المرء على الانتحار .. وكيف تدفعه الظروف إلى ذلك .. إن الوحدة لها آثارها البالغة والفعالة في هذا الأمر .. أضحك أحاول أن أتغلب عليها بكافة السبل المتاحة .. لعل بحثي عن ذلك المجهول هو أحد الوسائل التي أتبعها في التغلب على وحدتي ليس أكثر .. وهناك أيضاً أشياء أخرى

كثيرة أمارسها تجعلني أحياناً أنسى تلك الوحدة التي أعيشها .
 تذكرت في الصباح أنني لم أذهب إلى النادي منذ مدة تجاوزت الثلاثة
 أسابيع .. فقررت أن أقضي إجازتي الأسبوعية هناك بين الأصدقاء فلقد
 وصلتني رسائل كثيرة عبر الهاتف وعبر موقع التواصل الاجتماعي فيس
 بوك الذي هجرته أيضاً على مدار تلك الفترة السابقة، وجميعها تحمل
 التساؤلات عن سر اختفائي عنهم وعدم ظهوري بين أسوار النادي ..
 لذلك قررت التواصل معهم من جديد لعلني أجد ما أبحث عنه من راحة
 وتوقف العقل والذهن عن التفكير .

جلست أتصفح حسابي الخاص على موقع التواصل الاجتماعي فيس
 بوك وأشاهد بعض التعليقات الساخرة على الأحداث الجارية التي تحمل
 بين حروفها أوجاعاً .. كل شيء يدعو إلى التعجل في تلك الهدنة .. ويجب
 أن تطبق الهدنة في الصباح وبأقصى سرعة ممكنة .. حتى صفحتي الشخصية
 لا تخلو من الهموم والمشاكل والهجر والفراق .. لدرجة جعلتني أتساءل
 هل كل من يحب يعيش في هذا العذاب؟ إنه لأمر محزن للغاية .. ثم ما هذه
 الحرب الفكرية التي تشن عبر المواقع الإلكترونية والإنترنت؟ ما دخل
 كل هذا في هذا؟ إننا قمة في التخبط والخلط .. لا يجب أن أذهب بعيداً
 عن الصفحة الرئيسية .. وبالفعل .. فتحت صفحتي الخاصة لكي أتذكر
 آخر ما كتبه عبر حسابي .. يا لها من جملة جميلة حقاً تلك التي كتبتها ..
 كان نصها كالآتي: سأحيا على الذكريات حتى تعود وتعوضني ما فات ..
 أحياناً أشعر وكأنني شاعرة أو أديبة وسيأتي يوم وأنافس كتاب عمالقة في

هذا المجال .. ما أجمل المزاح في شدة العناء ! إنها أشياء تهون مرارة الأيام .. رجعت مرة أخرى إلى الصفحة الرئيسية دون قصد ..

كان هناك عدد هائل من الرسائل عبر الصفحة دفعني فضولي أن أقرأ بعضها على الرغم من أنني لا أهتم كثيراً بهذا الأمر في الآونة الأخيرة بسبب تفاهة ما أقرأه وما يكتب ويرسل لي .. لكن هذه المرة جلست لكي أضيع وقت فراغي .. فبعد أن تناولت طعام العشاء وجلست لأتابع المسلسل التركي الذي أتابعه أصبت بحالة ملل من مشهد الخيانة التي تعرضت لها البطلة من قبل زوجها ... وتأثرت بها بشدة في حقيقة الأمر .. وأغلقت جهاز التلفزيون وأنا أتساءل كيف نتأثر بكل هذه الشدة وترسخ تلك المشاهد في أذهاننا وتكون محور حديثنا في بعض الأحيان ونحكم على الزوج بالقسوة وعدم الإحساس ونتعاطف مع الزوجة بالرغم من أننا نعلم أن ذلك مجرد تمثيل .. وكل الأحداث من واقع خيال المؤلف وفريق العمل ..

طرحت تلك التساؤلات عبر صفحتي على فيس بوك قبل أن أتصفح الرسائل ويا ليتني لم أطرحها .. لقد وصلتني سيول عارمة من الإجابات .. منها على سبيل المثال لا الحصر:

- هما الرجالة كده .. الخيانة دائماً في دمهم .
- على رأي المثل الرجالة دول زي القرع يمد لبره .
- الإجابة بالمختصر المفيد أن صناع هذا العمل لديهم حس صادق وشعور حقيقي فيما يقدمون لنا لذلك نحن نتعاطف معهم .

- والله ما ها يخرب بيتكم غير المسلسلات التركي الي أكلت عقولكم .
 - خيانة إيه وتمثيلات إيه .. إخوانا بيموتوا في سوريا وإنتي متأثرة
 بالخيانة الي بتحصل في تمثيلية تركي يا هانم .
 - والله فعلاً ناقصات عقل ودين .

- علي فكرة إنتو مش فاهمين حاجة وبتهاجموا المرأة من أجل الهجوم
 وخلاص .. هي النوعية دي من الرجالة كده دائماً عندها عقدة النقص .
 وبعد كل هذه التعليقات التي تلقيتها ما كان علي إلا أن أقوم بسحب
 تساؤلاتي وأعتذر للجميع .. فعلاً أصبحنا في زمن الخلط .. كله شيء
 يدخل في كل شيء وكأن الجميع يتحدث من أجل إثبات وجوده فقط لا
 غير .. أمر محزن للغاية الذي اكتشفته فالجميع علقوا على السؤال لكن
 بإجابات ليست لها علاقة بموضوع السؤال نفسه إلا القليل منهم وهم
 من فهموا مغزى السؤال الذي طرحته .. عموماً قررت أن أضع ما تبقى
 لي من وقت وأنا أقرأ الرسائل لعل النوم يأتي ليرحمني من تلك العقول
 التافهة التي أصابها الصداً من قلة التفكير والتمعن في أمر سؤال طرحته
 .. بل إن صدق تعبري .. فإن عقولهم صدئة من قلة التفكير والكسل في
 أمر التفكير ذاته .. تلك هي الحقيقة التي يجب أن نعترف بها .. ولو فكرنا
 في أي أمر مهما كان صغيراً أو كبيراً فمن المستحيل أن تكون ثقافتنا تصل
 إلى هذه الدرجة من السطحية ..

المهم .. بين تلك الرسائل التي لا تقل تفاهةً في محتوياتها كانت هناك
 بعض الرسائل تستحق القراءة، وهي رسائل من أصدقاء عقولهم لم

يصبها الصداً بعد .. بمنتهى الصدق هؤلاء أحياناً يغرسون بداخلي أملاً بأن هناك غداً مشرقاً سوف يأتي بعد مائة عام أو أكثر .. عندها ستتغير ثقافتنا وسنصبح دولة متقدمة إن شاء الله .. جلست أقرأ وأعلق بيني وبين نفسي وأنا أمزح ساخرة في حزن شديد .. أو في سعادة شديدة .. أو لا مبالاة حسب الرسالة التي أقرأها يكون رد فعلي .. إلى أن وصلت إلى رسالة من شخص لا أعرفه .. وما لفت انتباهي هو اسمه «أنا وخلص» ضحكت ساخرة وتقبلت أمر الاسم وأنا أقول لنفسي: ماشي مش هتفرق كثير .. وبدأت أقرأ: سيدتي وملكة نساء الكون .. لا تبحتي عمن يسكن قلبك ولا تجدينه .. القريب البعيد .. صاحب الصوت الحنون هو من يعشقك بجنون .. أحبك.

جن جنوني بالطبع .. وبدأت أبحث عنه لأعرف من ذلك الشخص الذي يدعي «أنا وخلص» .. أكيد هو نفسه الذي أبحث عنه .. لكن كيف أتعرف عليه وهو ليس من الأصدقاء .. سأرسل له رسالة .. لكن ماذا سأكتب؟ وكتبت له بكل قوة: «حياتي لا يملأها إلا رجل واحد فقط .. هو يعرف نفسه جيداً .. مثلاً أنا أعلمه جيداً .. أنا لا أبحث عن مجهول وربما أنت تجهل من تخاطب».

وأرسلتها وأنا أنتظر الرد ترى ماذا سيكون .. لا أعلم ولكن شعرت أني كان يجب علي أن أكتب تلك الكلمات عبر هذا الموقع الذي لا يعرف أحد منه حقيقة الآخر ولا صدق مشاعره طالما لم يره بعينه أو بقلبه .. وللأمانة وجب علي ذلك احتراماً لنفسي وتعظيماً من شأنها .. وتركت

ذلك كله ودخلت على صوري الشخصية لأشاهدها .. يا لها من صور تحمل الكثير من الذكريات الجميلة التي لا تنسى! هذه الصورة التقطت في الحرم الجامعي وأنا مع زوجي في بداية علاقتنا .. والتي على يساري هي سماح .. والذي على يمين زوجي خالد صديقه .. انتقلت بين الصور أنظر لها وأتذكر لحظات لا تنسى ولا تمحى من الذاكرة .. صور لنا أنا وزوجي في أماكن مختلفة .. منها على سبيل المثال تلك الصورة التي التقطت لنا ونحن في الأهرامات .. كانت بعد خطوبتنا بأيام قليلة .. وهناك الكثير من الصور تجمعنا في تلك الفترة .. وصور أخرى لي وأنا بين أصدقائي .. ما أجمل الذكريات عندما تعود بك إلى ماضٍ سعيد يدخل على قلبك السرور! إلى هنا ولزم علي النوم حتى أستطيع التفرغ لقضاء إجازة ممتعة في الصباح.

اليوم التاسع عشر

لا تبحث عن القوة إنها بداخلك .. استخدمها حينما تدفعك الظروف إلى ذلك لكن احذر من القوة المفرطة لأنها دائماً تؤدي إلى عواقب وخيمة. نعم تلك هي الحقيقة التي يجب أن أعترف بها .. إن القوة الحقيقة لا تكمن في المال ولا في النفوذ بل في العقل .. ومن العقل ألا أفكر في أي شيء يمكن أن يزعجني أو يؤلمني أو يؤثر على مزاجي ونفسي .. مثل تلك التفاهات التي كانت تحدث فيما مضى، وذلك الأسلوب الساذج الذي كنت أتبعه في البحث عن ذلك المجهول والذي كثيراً كنت أظن أنني قريبة منه وأنه بجواري وسأتعرف عليه بين لحظة وأخرى.

هذا ما كنت أفكر فيه أثناء جلوسي في الصباح على إحدى الطاولات بداخل النادي .. فمنذ أن وطئت قدماي أرض النادي تغيرت كل أفكاري ووجهات نظري تماماً .. لماذا كنت أحاول الهرب داخل غرفتي التي تشبه غرفة الحبس الانفرادي .. نعم كنت أشعر أنني أعاقب نفسي بداخل تلك الغرفة ، وأخلد قلبي وروحي بتلك الكلمات التي أكتبها فوق صفحات مذكراتي التي ما زلت أكتبها الآن .. وكأنها دواء كالهواء

والماء اللذين لا مفر منهما للحياة .

نعم .. كان ذلك شعوري عندما أدركت معنى الحرية والسعادة وأنا أقابل بالترحاب على بوابة النادي .. فرجال الأمن رسموا أجمل ابتسامة شاهدتها منذ زمن بعيد عن استقبالهم لي بعد انقطاع .

- صباح الخير .

- صباح النور إزي حضرتك يا ميران هانم؟!

- الحمد لله بخير .. إنتو عاملين إيه؟

- والله يا فندم إحنا بخير طول ما حضرتك بخير .

- شرفيتنا يا فندم ونورتي النادي .

- ميرسي .. بعد إذنكم .

- اتفضللي يا فندم .

تركتهم وتوجهت إلى الداخل بعد أن صنعوا لي جناحين من ريش السعادة بتلك الكلمات البسيطة التي عبروا من خلالها عن مدى حبهم لي .. وأثناء سيرى بداخل المكان تذكرت أول يوم أتى بي زوجي إلى هذا المكان .. وبدون أن أدري ابتسمت لمجرد الذكرى التي جاءت على خاطري الآن .. كانت مشاجرة عنيفة قامت بيني وبينه من أجل أن يقوم لنا بعمل اشترك سنوي في أي ناد اجتماعي نستطيع من خلاله أن نشاهد الآخرين ونقوم بتغيير جو المنزل وهذه الحياة الروتينية التي كنا نعيشها في تلك الفترة .. كان رده شديداً وعنيفاً أيضاً ورفض الفكرة بحجة عدم البذخ في المصاريف التي نحتاج لها .. فهناك أشياء أخرى هامة

وضرورة .. كان ذلك منذ أكثر من أربعة أعوام مضت .. وتحديدًا قبل عيد زواجنا بيوم واحد فقط .. وفي اليوم التالي الذي يوافق عيد زواجنا ودون أن يتحدث لي كثيراً طلب مني أن أرتدي ثيابي للخروج .. رفضت في بداية الأمر بحجة أنني مريضة ولن أستطيع الخروج والسهر .. لكنه قال لي بالحرف الواحد:

- مش عايز كلام كثير .. واللي بقوله يتنفذ.

لم أنفوه بأي كلمة بعد ما قال لأنني أعرفه جيداً .. فهو طالما وصل معي إلى تلك الحدة من الحوار ربما يتهور .. انصعت إلى طلبه وارتديت ملابسني وخرجنا .. وجاء بي إلى هنا .. وأمام البوابة وضع يده في جيبه وأخرج بطاقة العضوية التي تحمل تاريخ إصدار أسبوع مضى من يومنا هذا .. يا لها من مفاجأة رائعة أجبرتني أن أقبله أمام الجميع .. دون أن أشاهد أي شخص حولي غيره .. كم هو رائع وزوج مثالي! لكنها أيام جميلة وتمر بكل ما تحمله من سعادة .. أنا الآن أشتاق إلى تلك اللحظة التي يكون فيها أمامي .. لكن القدر له رأي آخر .. المهم أكملت سيري ورجعت مرة أخرى أفكر في هؤلاء العاملين البسطاء الذين كلما شاهدوني إلا ووقفوا ليصافحوني بكل حب وتقدير .. ما أجمل هذا الشعور الذي يتملكني الآن.

لكنني بالطبع لم أفكر في أحد العاملين بشكل مميز ولن يهمس لي هاجسي المريض باحتمالية أن يكون أحدهم هو الذي أبحث عنه .. لأنه وبكل بساطة توجد حالة حب بيني وبينهم منذ أول يوم لي في هذا المكان .. لكنه

حب من نوع خاص ومختلف تماماً أعترف أنه يكاد ينقرض لكن ما زال له بداخلي مكان .. إنه حب الإنسان من أجل أنه إنسان لا أكثر ولا أقل .. لا يوجد فروق كبيرة فيما بيننا ولا توجد اختلافات .. فقط لا غير إنه آدمي مثله مثلي تماماً .

جلست على تلك الطاولة وجاءني أحد العاملين بالكافيتريا .. تبادلنا التحية وبعدها جاءني بمشروبي المفضل والذي دائماً لا أحب أن أتناوله إلا هنا .. إنه عصير الكوكتيل المميز بقطع الفاكهة الطبيعية .. بمنتهي الصراحة لا أستطيع أن أتمالك نفسي أمام هذا المشروب .. ولم يسعني إلا أن أتقدم بالشكر إلى ذلك العامل الذي جاءني بما أشتهي ..

ما أجمل هؤلاء البسطاء! كلمة بسيطة تجعلهم أسعد سعداء أهل الأرض .. وكلمة تجعلهم أتعس تعساء الأرض .. السر كله يكمن في الكلمة ومعناها .. جلست أتابع تحركاتهم وردود أفعالهم .. أنظر إلى عاملات النظافة .. ما أجملهن! وما أنظفهن! الجميع يأكل ويلقي مخلفاته على الأرض .. وهم بكل حب وطيبة ورضا يميلون ويرفعون مخلفاتنا .. لكم مني كل التحية والتقدير .. وهؤلاء العاملون في مجال الأمن .. الجميع يأتي لكي يغير جو حياته ويسترخي ويترك كل الهموم والضغوط .. يتركون سياراتهم وأولادهم وأمتعتهم في حراسة هؤلاء الرجال الذين دائماً يشبتون أنهم على قدر المسؤولية .. حفظكم الله أيها الرجال .. وغير هؤلاء الكثير ممن يختطف أرواحهم الذكية قلبي وروحي تجاههم .

ياااه .. منذ مدة طويلة لم أشعر بتلك الحالة الجميلة التي أنا عليها الآن

.. الإحساس بالآخر وبما ينبض به قلبه من حب ورضاء في ذات الوقت .. إن هؤلاء هم قدوة هذا المجتمع الظالم .. فهم أصدق الناس عندما يتحدثون وكرامتهم تدفعهم إلى ذلك .. وأخلص الناس عندما يعملون .. وأعمال هؤلاء أمام أعين الجميع .. وأطيب الناس وأوفاهم .. إنهم البسطاء.

ظلت في تلك الحالة إلى أن جاءت إحدى صديقتي من أعضاء النادي لتخرجني من تلك الحالة وهي تصافحني وتسال عن سر غيابي طوال تلك المدة .. جلست وتبادلنا الحديث والثرثرة في كل شيء وأي شيء .. وبكل صدق استخدمنا كل أساليب النساء المتبعة في الثثرة .. ولم لا ونحن نساء؟ في تلك الأوقات بدأ أعضاء النادي يتوافدون من حين إلى آخر إلى أن امتلأ المكان عن آخره من حولي .. كل يجلس على طاولته بين أسرته أو أصدقائه أو بمفرده .. إلى أن جاء أحد أعضاء مجلس الإدارة وجلس بجواري .. كان بمفرده وكنا بصحبة بعض النساء نتبادل الحديث الفارغ تماماً من الأهمية لكننا نتحدث لنشعر أننا موجودات .. وبعد وقت ليس بطويل جاءني ذلك الرجل وصافحني وهو يتساءل أيضاً عن سر غيابي طوال المدة السابقة وأبلغته بتلك الأعذار الواهية ثم داعبت نفسي بصوت هامس قائلة:

- محسني إن أنا كنت واخدة مفتاح النادي معايا البيت وحارماك من دخوله.

ثم دعاني إلى حضور الجمعية العمومية للنادي التي سوف تنعقد بعد

غد .. للأمانة كنت قد نسيت مثل تلك الأشياء من كثرة الأحداث التي أمر بها في الأيام الماضية .. نعم لقد قصرت في حق نفسي كثيراً طوال الفترة الماضية ومن الآن علي أن أستعيد نشاطي مرة أخرى ولن ألتزم ذلك السجن الذي صنعته بنفسي لنفسي .. وأنت يا قلبي .. من فضلك وأرجوك أن تتقبل طلبي هذا .. يجب أن تنسى ما حدث يوم عيد الميلاد ، واعتبر ذلك هاجساً من تلك الهواجس التي تدفعنا دائماً إلى البحث عن المجهول .. أرجو أن تعي ما أقوله جيداً وتمثل له .. والآن تصبح على خير فغداً يوم شاق للغاية .

اليوم العشرون

لم يبق بداخلي إلا حالة فريدة .. حب لا ينقطع إلى الأبد.
 أصبحت على حال لا شبيه لها .. عاشقة .. لما هو بداخلي وليس أمامي
 .. لكنك يا حبيبي ستبقي إلى أن أغادر تلك الدينا حبيبي .. لا تنظر إلى
 تلك المهاترات والتفاهات التي أكتبها فوق صفحات أوراقى .. لا أهتم
 بها .. وإن نظرت .. فانظر إلى ذلك العشق الدفين الذي يسكن أعماقي
 تجاهك .. واعلم أنني لن أحب سواك .. ولا أريد غيرك بديلاً .. واعلم
 أنني عندما أعنفك أو ألومك فما هو إلا اشتياق إليك .. نعم .. أشتاق
 إليك بكل جوارحي .. أبحث عنك في كل وجوه الرجال .. لعلني أجد
 نظرة عينيك .. أو ابتسامة شفتيك .. أو أي شيء يشبهك فيزيد من شوقي
 إليك .. تلك هي حقيقة أمري وخلاصة عشقي لك .. سأظل أحبك مهما
 طال بيننا البعاد وكبرت بيننا المسافات .. ستظل أقرب من روحي إلي ..
 ومسكنك بين ضلوعي .. ستظل كل شيء إلى أن أقضي نحبي ..

حبيبي العزيز الغالي .

من أنت؟ لا أعلم .. لكنني سأظل على عهدي معك إلى الأبد .. أحبك

بكل ما تحمله الكلمة من معاني سامية وذوق رفيع .. سأظل أحبك والسبب أبسط من أن يكون مجهولاً مثل تلك الهواجس التي أعيشها من الحين إلى الآخر .. يكفيني أن أقولها لك بكل صدق .. أحبك لأنك من علمني أحب .. أحبك لأنك من بيده يتحكم في درجات نبض القلب .. لا أعلم إن كانت تلك الكلمات تخص زوجي الذي لا أراه أم ذلك المجهول الذي أيضاً لا أراه لكنها كلمات أستشعر صدقها بين حروفي فوق تلك الصفحات .

كم أنا أنثى تمتعت بكل صفات الجنون! ألم أذكر بالأمس أني لن أعود إلى تلك الحجرة التي أسجن نفسي بداخلها وتلك الكلمات التي أجلد بها روحي وأعذب من خلالها مشاعري وجوارحي .. لكن إلى أين أذهب؟ ربما وجب علي أن أذهب إلى النادي .. لا .. لن أذهب إلى هناك فليس لدي طاقة للاستماع إلى تلك الثثرة الفارغة التي لا تسمن ولا تغني من جوع .. ماذا لو نزلت إلى الطرقات أسير بها قليلاً .. ربما أشاهد أحدث الموديلات وآخر خطوط الموضة في محلات الملابس .. لا .. كنت أفعل ذلك منذ وقت قصير .. لا أظن أن هناك جديداً في هذا النوع .. في الحقيقة لا أعلم ماذا أفعل .. ربما بعد قليل أشعر بالجوع .. سوف أذهب إلى المطبخ لكي أطهو بعض الوجبات السريعة وأتناولها ثم بعد ذلك أفكر فيما يجب أن أفعله .. وبالفعل كان هذا ما فعلته ..

ما إن انتهيت من تناول الطعام إلا وجلست أمام جهاز التلفزيون أتابع المسلسل كالعادة لكن ودون سابق إنذار حدث أمر غريب .. انقطع التيار

الكهربائي .. عندها تثلجت كل أعضائي في جسدي .. إنني أخشى الظلام بشكل مخيف .. ماذا علي أن أفعل الآن .. لا شيء .. كل ما يسعني فعله هو الانتظار ولكن من أجل أن أطمئن فقط توجهت وأنا أستجمع كل قواي للمساعدة في انتقالي إلى شرفة المنزل .. سأجلس هناك لعل ضوء القمر ينير قلبي إلى أن يعود التيار الكهربائي .. وبالفعل انتقلت إلى الشرفة ..

بعد لحظات سمعت حركة عجيبة تحدث بداخل المكان .. ربما يكون باب المنزل يفتح .. هناك صوت خطوات قادمة .. نعم هناك أحد غيري بداخل المنزل .. يا إلهي ماذا أصنع؟ هل آخذ قراري الصارم؟ سأكتفي بالاختباء خلف الشرفة ويكتفي هو بما أتى من أجله وعوضي على الله .. كادت روحي أن تزهق في تلك اللحظات .. لكن العناية الإلهية أتت لتنقذني ..

لقد عاد التيار الكهربائي مرة أخرى وأنا لا زلت جالسة في مكاني أمام جهاز التلفزيون وكل ما سبق كان من وحي هاجسي اللعين الذي دائماً ما يستغل الظروف ليتلاعب بأعصابي ..

هنا أخذت نفساً عميقاً وأنا أحمد الله على إعادة التيار سريعاً قبل أن تقتلني هواجسي فربما كنت أفكر في القفز من الشرفة هرباً .. أو ربما دفعني خوفي إلى أن أطلق صرخات استغاثة ويأتي لي الجميع من الجيران لإنقاذي فلا يجدون شيئاً .. وهنا سوف يتهمونني بالجنون .. في تلك اللحظات خطر على ذهني سؤال هام:

لماذا أتحمل كل هذا العناء؟

الوحدة يا عزيزي تقتلني .. أين أنت؟ لا يصح أن أبقى على هذه الحال كثيراً .. وحيدة بين تلك الجدران .. حقيقة لن أستطيع أن أتحمل كل هذا العناء بمفردي .. لقد فعلت كل ما في وسعي حتى أتغلب على هذا الأمر .. لكن نفدت طاقتي ..

أنظر إلى تلك الحوائط والجدران .. لقد ملت الوحدة مثلي تماماً .. لا .. إن صدق تعبري لقد ملت رؤيتي وحيدة بينها .. أشعر أحياناً أنها ترفض وجودي بينها .. وأحياناً أخرى أشعر أنها تكاد تنطبق علي لكي تتخلص مني .. ورغم ذلك كله .. أتحمل البقاء وحيدة في انتظارك .. ربما تأتي في منامي .. أو أستمع لصوتك بين لحظة وأخرى .. أو تفاجئني كعادتك وتضرب جرس الباب دون أن أدري من الطارق وأفتح لأجدك أمامي .. عندها لا أعلم ماذا سأفعل .. ربما أفتح لك ذراعي لكي تأخذني بين أحضانك .. وربما أفقد وعيي من جمال المفاجأة .. وربما .. لا أعلم .. كل ما أعلمه أنني أنتظرك بفارغ الصبر حتى تأتي وترحمني من كل هذا العناء .. متى ستأتي؟ لقد أصابني الملل من كثرة الاشتياق .. لا .. لن أمل من الانتظار .. أسفة يا حبيبي .. فالوحدة أحياناً تصيبني بالغباء وعدم اختيار الكلمات التي أحاول أن أعبر لك بها عن مدي شوقي وحنيني إليك .. متى ستأتي؟ أتمنى ألا تطيل البعاد ...

هنا نفذ حبر قلبي .. ولم أستطع أن أفعل شيئاً إلا ضحكة ساخرة وأنا أنظر إلى قلبي متسائلة:

- حتى إنت كمان زهقت مني .. حقك يا عم .. يلا اهرب من سجن الحرية الي أنا حابسة نفسي وحابساك معايا فيه .
وألقيت به في سلة المهملات وجئت بآخر حتى أكمل ما كنت أدونه ..
لكني في تلك اللحظات لم أستطع الكتابة وكأن قلبي يقول لي إنه ليس متأهباً للكتابة الآن ..

حقاً إنه لأمر محزن عندما يرفض قلمك تدوين ما تشعر به .. ماذا سأفعل الآن .. الكلمات تتبخر من رأسي .. والخبر ما زال متجمداً في قلبي .. وجوارحي تصرخ تريد أن تعبر بما في داخلها .. سأنفجر إن لم أفعل ما أود الآن أو أبعد الفكرة تماماً عن رأسي ..

وما كان علي إلا أن أختار الأمر الثاني .. أغلقت مدونتي وأمسكت بقلمتي الذي استشعر السعادة لهذا الاختيار ونظرت إليه بتسامح شديد فرأيتة يقطع على نفسه عهداً بأن يتأهب للكتابة بداية من الغد .. ابتسمت له وتركته لحرية ثم توجهت إلى فراشي لكي أوقف رأسي عن العمل قليلاً ولا أفكر في أي شيء حدث منذ قليل ..

يبقى شيء واحد فقط وجب أن أذكره ألا وهو عندما وضعت رأسي على وسادتي تقابلت عينايا بتلك الصورة المعلقة على الحائط أمامي ووجدت قلبي ينطق كلمة .. أحبك .

اليوم الواحد والعشرون

هي لحظات نعيشها إما أحياء أو أموات .. وفي النهاية لا يبقى لك على وجه الأرض غير لحظات يذكرك بها الآخرون.

تلك هي الحقيقة التي يسلم بها الجميع .. وعلينا أن نجعل تلك اللحظات دائماً سعيدة وذات طابع خاص ... فليس من الضروري النظر إلى ما يزعجك أو التفكير فيما يؤلمك أو الذهاب إلى أماكن قد تجد فيها ما يعكر صفوك .. وإن أصدقت القول والنصح والرشد .. عليك بمقاطعة كل شيء يحيط بك حتى تعيش لحظات من السعادة .. فكل ما يحيط بك يدعو إلى الحزن والهم والغضب والكآبة .. إلخ .

أضحك الآن وأنا أمسك بقلمتي وأكتب تلك الكلمات وكأنني أكتب مقالاً في إحدى الجرائد الخاصة ويحمل المقال عنوان سر سعادة المواطن .. يا لها من حماقة فكرية .. لكن وما المانع أن أكتب مقالاً في تلك الجريدة .. ما الذي أفكر فيه وأقوله .. إنني أهذي بالتأكيد .. سأعود إلى طبيعتي في الكتابة .. فأسلوب هؤلاء الكتاب يبدو كالمجانين حتى وإن صدقوك القول .

اليوم كان جيداً ومميزاً .. أنهيت عملي في مواعده المعتاد .. ورجعت إلى المنزل وأنا أحافظ على عدم إهدار الوقت حتى أتمكن من الخروج مرة أخرى والذهاب إلى النادي .. إنه يوم انعقاد الجمعية العمومية ويجب أن أذهب لكي أدلي بصوتي في اختيار أعضاء مجلس إدارة النادي .. إنها مجرد شكليات متبعة أو بمعنى أدق .. الأمر بالنسبة لي مجرد تغيير وتواجد لا أكثر .. فكل ما يهمني وأنا بداخل أسوار النادي هو عدم الإزعاج والرغبة في الاستمتاع بالهدوء والراحة النفسية أكبر وقت ممكن .. وهو دائماً متوافر بداخل أسوار النادي .. أما بخصوص من يقوم بالإدارة فهو أمر لا يعنيني بالدرجة الكبيرة .. ربما جميعهم يحرصون على تواجد ووجود حالة اتصال ونقاش دائم لما أتمتع به حيث أمتلك الكثير من الصداقات داخل المكان وأيضاً ودون تجميل للكلمات .. لما تمتعت به من تأثير على فئة كبيرة جداً من بين الأعضاء ولذلك يهم المرشحون توضيح كافة البرامج التي يتقدمون بها من أجل الترشح للمنصب القيادي بداخل النادي ومن تلك النقطة يستغلونني بمنتهي الوضوح والصراحة في جذب الأعضاء لهم.

لعبة الانتخابات دائماً هكذا مقززة في كل المجالات .. والجميع لا يبحث إلا عما يريده هو فقط وما إن يصل إليه يتحول من خادم إلى ملك ذي عرش عاجي .. يا لجنون العظمة الذي يلاحق المسؤولين في عصرنا هذا! المهم .. وكعادتي أثناء تواجدي بداخل أسوار النادي .. جلست أتناول كوب العصير المميز الخاص بي .. وذلك بعد أن انتهيت بالطبع من عملية

التصويت .. اخترت من أراه مناسباً لي ولكافة الأعضاء .. ولن تتحكم
 الأسماء والمراكز في ذلك الاختيار .. هكذا علمني زوجي أعاده الله لي
 سالماً غانماً محملاً بالهدايا والأموال من بلاد الخليج .. حتى أشبع كل
 حاجتي التي أبتغيها من خلف سفره وأجد ما يعوضني عن أيام الوحدة
 التي قضيتها والعزلة التي فرضتها علي أيام الفراق .. المهم حتى لا أطيل
 الحديث عن أشياء تزعجني وتعكر صفوي .. أثناء جلوسي في حالة من
 الاستمتاع بالهواء النقي الذي نادراً ما أجده في مكان آخر جاءني رسالة
 على هاتفي من رقم مجهول .. لم يكن مدوناً على الهاتف .. كان مرسلها
 يقول:

- يا ترى سرحانة في إيه؟ بتفكري فيا زي ما أنا بفكر فيكي دلوقت؟!
 بالله عليكم إن كان أحدكم في مكاني ماذا يفعل .. إنه أمر يدعو للجنون
 .. لكن كان يجب علي أن أحافظ على هدوئي فأنا لست بمفردي في المكان
 .. ترى من يكون صاحب تلك الرسالة .. مما لا شك فيه أنه يراني الآن ..
 وإلا لما كان أرسل تلك الرسالة ترى من هو؟!

من هنا بدأت عيني تستكشف المكان بأكمله وتبحث عنه وسط
 الموجودين .. انظروا معي ماذا أرى .. إنه كم هائل من الرجال المميزين
 .. هناك من يسرق النظرات من حين إلى آخر نحوي .. لكن ما يزيد الأمر
 تعقيداً أن من يسرق تلك النظرات نحوي ليس شخصاً واحداً ..
 يا للعبث الذي أشاهده بعيني! يجب أن أنصرف عن هذا الأمر نهائياً ..
 طالما الأمر محير لهذا الحد .. وأول شيء يجب أن أفعله هو أن أخلص من

تلك الرسالة .. الرسالة .. هنا خطرت لي فكرة .. سوف أقوم بالاتصال بذلك الرقم المجهول وحينئذ سأجد صاحبه .. وأنتهي من هذا الأمر في أسرع وقت دون أن يلاحظ أحد شيئاً .. ولعله أرسل لي تلك الرسالة لكي أفعل ذلك .. وبالفعل حاولت الاتصال به وكانت النتيجة ..

- الهاتف الذي تحاول أن تتصل به ربما يكون مغلقاً أو خارج نطاق الخدمة .. يرجى الاتصال في وقت لاحق!

كان رد فعلي غاضباً بشكل ملحوظ .. وأثناء ذلك رأيته ينظر نحوي ويتسم وما إن جاءت عيني في عينه إلا وأخفى تلك الابتسامة وأخفى وجهه خلف تلك الجريدة التي بين يديه .. إنه الأستاذ محيي الدين .. لكن كيف لشخص كهذا أن يفعل تلك الأفعال الصبانية .. إنه تجاوز الخمسين عاماً ثم إن وضعه الاجتماعي يمنعه عن ذلك .. لا .. إنه أمر مستبعد نهائياً .. لكن هاجسي اللعين جاءني مجدداً ليعطيني بعض المبررات التي من شأنها أن تجعلني أوقن أن محيي الدين هو صاحب الرسالة والرقم المجهول .. فهو رجل وقور ذو سمات خاصة .. وجهه فيه شيء ما جذاب يجعل من ينظر إليه يشعر براحه غريبة تسرقه من كل آلام الأيام .. ثم إن شخصاً في مثله هو رمز للوفاء والإخلاص .. لقد توفيت زوجته منذ زمن طويل ولم ينبج منها أي أطفال وامتنع عن الزواج بعدها .. يا له من رجل مخلص حقاً!

ما تلك التفاهات التي أسوقها إلى نفسي .. هل هذا رجل مخلص .. وتلك النزوات التي لا يقوم بها شاب ابن عشرين عاماً .. إن نزواته أكثر

من شعر رأسه الذي كساه اللون الأبيض .. لا .. من الصعب أن يكون هو.

إن لم يكن هو .. فمن يكون صاحب تلك الرسالة التي وصلتني منذ قليل؟ يجب علي أن أهدأ قليلاً وأنظر إلى كل من حولي بدقة حتى أتمكن من معرفته .. وإن تطلب الأمر المبيت في النادي .. يجب أن أنتهي من هذا الأمر اليوم.

أخذت أبحث من جديد بين تلك الوجوه التي تحيط بي إلى أن رن هاتفي مجدداً ليعلن عن استقباله رسالة جديدة .. لم أهتم بأمر الرسالة الآن سوف أتصل بالرقم قبل أن يقوم بإغلاقه مثلما فعل في المرة السابقة .. وبالفعل هذا ما فعلته .. لكن يبدو أنه ذكي للغاية وحذر جداً .. أغلق الهاتف قبل أن أنجح في محاولتي .. وما كان أمامي إلا أن أقرأ رسالته التي كان نصها كالتالي:

- أنا قريب جداً منك .. أقرب مما تتخيلين .. بحبك!
أخذت نفساً عميقاً وأمسكت أغراضي وذهبت قبل أن أصاب بصدمة عصبية .. ولو كنت جلست لبعض الوقت في هذا المكان ربما كنت فقدت الوعي.

هذا كان كل ما حدث معي اليوم في النادي مع الاختصار الشديد ترى يا قلومي هل أعود للبحث عنه هناك مجدداً أم أكتفي بهذا القدر من العناء؟ لا أعلم .. ويكفي تفكير في هذا الأمر اليوم سأخلد إلى النوم .. أصبح كما أراد الله لي!

اليوم الثاني والعشرون

إن ما يدفعك إلى الابتكار هو ذاته ما يدفع غيرك إلى الجنون! نعم تلك هي الحقيقة .. التفكير في شيء ما تريده .. إما يدفعك إلى الابتكار أو يدفعك إلى الجنون .. والخيط الرفيع الفاصل بينهما هو طريقة التفكير والأسلوب المتبع أثناء التفكير .. فإذا كنت صاحب نظرة تشاؤمية فتقن أنك على أعتاب الجنون من كثرة التفكير .. وأما إذا كنت صاحب نظرة تفاؤلية فتقن أنك على أعتاب الابتكار والوصول إلى مبتغاك ..

هذا كل ما توصلت إليه اليوم .. بعد تفكير شاق .. خصوصاً بعد ما حدث لي بالأمس داخل أسوار النادي .. لقد كنت على أعتاب الجنون من كثرة التفكير فيما يحدث لي .. وكأني دخلت سينما ثلاثية الأبعاد وأصبحت جزءاً من فيلم تدور أحداثه حول اللهو الخفي .. لذلك قررت أن أفكر بهذا المنطق اليوم .. وكان القرار صائباً .. لقد قضيت اليوم بشكله العادي منذ أن استيقظت من نومي .. حتى أثناء ذهابي إلى العمل لم يكن هناك ما يميز تلك الرحلة الطويلة ولا يوجد بها ما يدعو إلى التسجيل .. وكذلك أثناء قيامي بعملي .. اللهم إلا أشكال العملاء التي تتغير كل

نصف ساعة أو ساعة على الأكثر .. تقريباً معظمهم متشابهون في كل شيء .. من طلبات وأفكار ومقترحات .. اللهم إلا تلك الملابس التي تميز بين الرجل والمرأة .. وهذا يعود بالطبع إلى حكم الطبيعة .. فلكل منهما طبيعته الخاصة في ملابسه .. يا لها من مداعبة تدل على ثقل دمي! سوف أمحوها عندما أنتهي من الكتابة.

المهم .. عند عودتي من العمل جاءني اتصال هاتفي من إحدى صديقتي في النادي تطمئن على حالي وتسألني هل سأذهب اليوم إلى النادي أم سأعود إلى الاختفاء مجدداً .. أخبرتها أنني لن أستطيع التوجه إلى هناك اليوم وسقت إليها المبررات التي تمنعني من الحضور لكنني وعدتها بعدم الاختفاء وسأكون متواجدة غداً .. أنهت الاتصال وهي تخبرني أنها بناءً على تلك المكالمات لن تذهب إلى النادي اليوم وسوف تذهب غداً .. وأغلقت هاتفي وأنا أنظر إليه مندهشة ومحدثة نفسي:

- هو أنا خلاص بقيت ولية أمرك ولا إيه؟

عموماً .. لا يهم أن أكون ولية أمرها ف«كله بثوابه» مثلما يقول المثل الشعبي المتعارف عليه .. فمثل هذه النوعية من النساء لا تحب شيئاً في هذه الحياة إلا التباهي بعلاقاتها ومعارفها .. وملابسها وحليها وكل ما ليس له قيمة في الحياة .. وعندما توجه لها سؤالاً ما في موضوع ذي قيمة لا تحصل منها إلا على وجه صنم وكأنك هندي تتحدث إلى شخص تركي باللغة العبرية!

نعم تلك هي الحقيقة .. لذلك أكون دائماً رحيمة على هؤلاء النساء ..

ولهن مني كل العذر .. فهن لا يفهمن في حقيقة الأمر إلا فيما يتعلق بأمر المطبخ كالطهي وغسيل الأطباق وما شابه ذلك من أعمال منزلية .. لكن الله رزقهم برزق واسع لتتحول حياتهم إلى ما هم عليه الآن .. عموماً لن أخوض في ذلك الأمر كثيراً فأنا إلى الآن ما زلت أحتفظ بقراري بعدم التفكير في أي شيء يزعجني .. تناولت طعامي كالعادة بعد أن انتهيت من تحضيره .. لكن المميز في هذا الأمر اليوم أنه طبق حضرته على الطريقة التليفزيونية .. نعم .. لقد أخذت طريقة تحضير الطعام الذي تناولته من قليل من أحد برامج الطهي التي أصبحت أكثر من المسلسلات على القنوات الفضائية .. رغم كثرة وملل بعض مقدميها إلا أن النفس في الطهي هو من يصنع التميز .. أحياناً يخيل لي أنني أطهو أفضل من كل هؤلاء .. ولو أقدمت على تقديم برنامج مثل هذا سأحصل على أعلى نسبة مشاهدة بسبب تفوق نفسي عليهم جميعاً .. طبعاً هذه مداعبة .. فبال تأكيد لم يشعر المشاهدون بذلك إلا في حالة واحدة هي إذا قمت بدعوة كل المشاهدين على مأدبة عشاء وغداء وإفطار ..

يا لجنوني! ما هذا الذي أفكر فيه؟ ولماذا أفكر بهذا الأسلوب الرجعي؟ هل كل هذا من أجل التطرق إلى التفكير في شيء يزعجني؟ إن كان هذا الأسلوب المتبع في مثل هذه الظروف فإني حتماً سأذهب بسرعة القطار إلى طريق الجنون .. ويكفيني ما يحدث لي من مفارقات غريبة وعجيبة تكفي بمفردها لتجن ألف أنثى في اليوم الواحد .. لا .. يجب أن أتخلص من هذه الطريقة سريعاً ..

ثم إنني يجب أن أحمده الله أنني لم أتلُق اليوم ما يثير جنوني .. فله الحمد .. لم تأتني مكالمات هاتفية من مجهول .. ولا رسائل على الهاتف .. ولن أقوم بمحاولة فتح موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك .. لذلك لا أعلم محتواه من الرسائل أو التعليقات .. وهذا في حد ذاته أمر جيد للغاية .. ثم إنني لا أنوي اليوم تعنيف زوجي العزيز على تجاهله لي .. ولماذا أعنفه وهو في حقيقة الأمر يبذل كل ما في وسعه لكي يجعلني سعيدة ويحقق أحلامي .. إن كل ما سبق ما هو إلا دوافع هواجس عمياء لا يوجد لها أي أساس من الصحة لذلك .. يجب أن أخلد إلى النوم .. وأحتفل بيوم سعيد ونوم هنيء دون التطرق إلى ما يوجع القلب ويزيد جروحه جرحاً جديداً .. هذه حالتي منذ تقريباً ساعتين قبل أن أضع رأسي على وسادتي وأخلد إلى النوم في تلك المدة الزمنية القصيرة جداً حتى أستيقظ على صوت الهاتف ... إنه زوجي .

- ألوووو .

- أيوه يا حبيبي .

- إنتي نايمة ولا إيه؟

- أيوه نايمة .

- يا سلام .. وده وقت تنامي فيه؟!

- إيه السؤال الغريب ده .. أmaal إنت عايزني أنام إمتى؟

- يعني إنتي مش عارفة إني هتصل بيكي في الوقت ده؟!

- لا والله .. العفريت اللي معايا ما قاليش إنك هتتكلم دلوقتي ..

أوعدك إني أعلقه وأعذبه .. وأقرى عليه عدية ياسين وأحرق أمه .
 هنا ضحك زوجي ليزيد من انفعالي ودهشتي .. وهو يقول لي:
 - يااااه .. وحشتني عصبيتك ونرفزتك وإنتي بتكلميني .. وحشتني
 أوي بجد!

- والله العظيم إنت مجنون.
 - طيب ما أنا عارف جبتي إيه جديد ... بحبك .
 وكالعادة .. على ما أظن إن كلمة بحبك عبر الهاتف حرارتها تؤثر علي
 حرارة الخط ويتشابكان بشكل كبير مما يؤدي إلى انقطاع الخط ..
 للحقيقة أوحشتني كثيراً مداعباته المجنونة وأفكاره المختلفة وغير
 المتوقعة بالمرّة .. لقد أرعبني بكلمته في بداية المكالمة وهو يعنفني ويعاتبني
 على نومي في وقت كهذا وكأنه هنا بجواري عائد من عمله ويقف فوق
 رأسي ليوظني من نومي .. ويتهمني بالإهمال والتقصير في حقه .. يا
 له من مجنون حقاً! لكنني أعشق جنونه .. فهو دائماً ما يدخل البهجة
 والسرور على قلبي بما يقوم به من أجلي ... أحياناً كثيرة أشعر أنني أقسو
 عليه وأعنفه بشدة .. وهو في حقيقة الأمر لا يستحق مني كل هذا .. بل
 بالعكس هو يستحق مني التقدير والتحية .. إنه يفعل كل ما يفعله من
 أجلي أنا ومن أجل أحلامي .. فهو دائماً ما كان بسيطاً في كل شيء حتى
 أحلامه .. لا يحلم أن يكون صاحب مال وافر .. بل كان يسعى إلى ما
 يكفي احتياجاته .. لكنني أنا من أرغمه على كل هذا .. كم أنا امرأة طماعة
 أنانية! لا أستحق كل هذا الحب الذي يكنه لي بين ضلوعه .. ولا أستحق

كل هذا العناء الذي يعانيه من أجلي .
حبيبي .. لم أعرف قدرك إلا بعد بُعدك .. ولم أدرك قيمة حبك لي إلا في
سنوات الفراق .. أحبك .. يا أجمل ما وهبني الله .

اليوم الثالث والعشرون

لن أركض خلف أحلام لا تجدي أي نفع .. بل إنها تزيد الجروح جروحاً .. وكيف لي أن أبحث عن حلم وهو خيال .. مجرد كلمات بيني وبين هاجسي .. أهدرت كثيراً من الوقت لكي أستمع إليها .. وها هو يذهب بلا عودة .. ولا يأتي من أجلي .. ولا يتقدم خطوة واحدة .. إنه اللاشيء ذاته .. سراب .. وهم يجب أن ينقضي .

بالأمس هاتفني زوجي .. كنت في حاجة إلى تلك المكالمات كثيراً لكي تساعدني على استعادة رشدي .. نعم .. أنا أحب زوجي ولا يوجد شيء آخر يستحق كلمة أحبك غيره .. إنه دائماً يقولها لي في كل مكالمة هاتفية .. فكيف لي ألا أدرك معنى الكلمة .. كيف لي أن أخون شعوره بالبحث عن بديل .. لا .. هو لا يستحق مني كل ذلك .. فأنا يجب أن أغير وجهة نظري به .. إنه ليس بعيداً حتى وإن كان .. إنه هنا .. بقلبي .. كانت أنفاسه تمتزج بأنفاسي على هذا الفراش .. كيف لي أن أنسى كل هذا وأبحث من جديد عمن يشعر بي ويحتويني .. إنني أنثى تتمتع بالجنون أن استمررت على هذا المنوال ..

اليوم .. وبعد أن استيقظت من نومي .. أدركت معنى كل ما سبق من كلمات كتبتها الآن بخط يدي .. لقد تركت مكالمته الهاتفية أثر بالغاً بداخلي قبل أن أخلد للنوم لدرجة جعلتني أضع رأسي على وسادتي وأصبح بخيالي إلى ذكريات جميلة جمعتنا أنا وهو في أركان تلك الحجرة .. استحضرت ملامح وجهه في سقف غرفتي .. كان يبتسم .. ويقترب مني لدرجة أنه أصبح بجواربي .. مديده إلى وجهي وقبلني وأنا لا أفعل أي شيء إلا أن أنظر إلى عينيه الجميلتين .. كان بداخلها شوق وحنين لا يوصف مهما حاولت أن أصفهما عبر كلماتي .. كان صوته هادئاً كالعادة وأنفاسه دافئة .. ما أجمل تلك الحروف التي تخرج من بين شفثيه وهو يقول لي بصوت هامس:

حببتي .. أعلم أن فراقني طال .. وطال صبرك وتحملك وعناؤك .. أعلم أن شوقك بلا حدود .. وحنينك فاق كل القيود .. تنتظريني كل ليلة لكي أقبلك وأقول لك .. أحبك .. لكنني لم آت إليك حسب الموعد المرجو أن أكون فيه .. أعلم أنك فوق صفحاتك تعنفيني وتودين أن تقتليني أو تأسريني أو بين ضلوعك تحبسيني .. أعلم أنك تحبيني .. ساعيني .. واعلمي أن شوقي يا نبض قلبي يخبرني بما يدور في داخلك .. ومن حقك أن أعترف بتقصيري تجاهك .. أعترف أنني جاهل .. أحمق .. لكن أقسم لك أنني رجل غيور .. ولست كما تصفيني رجلاً ذا مشاعر متجمدة .. أقسم إليك أنني أعشقك قدر الأرض وما فيها والسماء وما تحتوها .. وأعترف أنني جاهل في توصيل ما أشعر به تجاهك .. جاهل في وصف مشاعري .. جاهل حقاً

ولست مجمداً .

هنا .. دون أن أدري مددت يدي ووضعتها على فمه وطلبت منه أن يصمت ويضمنني بشدة بين ذراعيه .. وفعل .. وأغلقت عيني ولن أشعر بأي شيء آخر إلا في الصباح ..

دق هاتفي ليوقظني من أجمل حلم جمع بيني وبين زوجي منذ أن سافر للعمل في إحدى دول الخليج .. إنها صديقتي في العمل توقظني كالعادة .. وكالعادة أجبت وتحدثنا عما ستناوله في الإفطار لكي تحضره وهي في طريقها إلى مقر عملنا واتفقنا وانتهينا وقمت لتحضير نفسي .. لكن بهجة الحلم لم تزل من داخلي .. ظلت مستمرة معي في كل أركان المنزل .. حتى سألت روح زوجي التي كانت ترافقني بكل لحظة عن ملابسني التي سوف أرتديها وأنا ذاهبة إلى عملي .. اختارت روحه معي أجمل وأرقى الملابس .. بل ونوع العطر الذي تعطرت به .. ليس هذا فحسب، بل كانت روحه ترافقني في طريقي إلى العمل وتحرسني من تلك العيون التي تحملق بي أثناء سيرتي .. إلى أن وصلت إلى مقر عملي .. تركتني بعد أن تأكدت أنني في أمان ..

بداخل الشركة لاحظ الجميع بهجتي من تلك الابتسامة التي تكسو وجهي .. ربما لم يعتادوا عليها منذ زمن طويل .. لكن بالنسبة لهم فهذا يوم جيد .. أنني أشعر بالسعادة والبهجة تكسو ملامح وجهي .. لدرجة جعلت إحدى زميلاتي في العمل تقول لي:

- بسم الله ما شاء الله! وشك النهارده منور يا ميران .

- بجد؟! ربنا يخليكي .
- ويخليكي كده داياً سعيدة ومبسوطة .. بس تعالى بقي هنا قولي لي .. إيه سر السعادة اللي إنتي فيها النهاردة؟
- ملهاش أي سر .. أنا سعيدة من غير أي أسرار .
- علي أنا برضه .. طب عيني في عينك كده .
- أهوه .
- يعني مفيش أخبار حلوة هنسمعها قريب .
- أخبار حلوة .. زي إيه .
- يعني .. جوزك جاي في إجازة قريب .. إنتي هتسافري له .. كده يعني يا ميرو .

لم أجد شيئاً أمامي أفعله غير تلك الابتسامة التي تعبر عن مدي سعادتي .. الحمد لله .. لقد استشعرت أن سر سعادتي هو زوجي دون أن أخبرها .. يبدو أن روحه ما زالت ترافقني وهي من همست لها عن هذا السر .. أكدت لها أن زوجي بالفعل هو سر سعادتي وسيبقى دائماً وأبداً كذلك .. لكنني نفيت أن يكون هناك أي شيء مما استنتجته عن قدومه أو سفري إليه .. وانتهى حديثنا وهي تدعولي أن ينهي الله وحدتي ويعيده لي في أقرب وقت ممكن .. وذهب كل منا إلى عمله ..

بداخل مكنتي جلست أنهي بعد التقارير الهامة .. والتي يجب أن ترفع إلى مديري اليوم ولا يجب أن تنتظر الغد .. إنها مصالح عملاء يجب أن تقضى .. لا أعلم ما هو سر النشاط الذي دب بداخلي .. كان عملاً كثيراً للغاية ..

ومتعباً وشاقاً .. خصوصاً وأن زميلتي التي يجب أن تنهي معي هذا العمل حصلت على إجازة مرضية وتركت لي هذا الكم الهائل من التقارير لأقوم به بمفردي .. وذهبت أعمل بكل جهدي .. لا أفكر في شيء غير ما أقوم به .. للحقيقة وأنا أقدم على هذا العمل استحضرت مقولة زوجي الذي دائماً كان يملئها علي .. كل ما كانت المهمة الموكلة إليك صعبة وكبيرة كلما كان تركيز وجهك مضاعفاً .. لا تفكري في أي شيء إلا إنجاز مهامك حتى تثبتني أنك متميزة عن الآخرين .. وتستحقين ما أنت فيه بجدارة ..

وبالفعل هذا ما كان .. أنهيت عملي في الوقت المحدد له وأرسلته إلى مديري والذي أصيب بحالة من الذهول وأنا أدخل عليه حاملة بين يدي ملفات كثيرة كادت أن تخفي معالم وجهي من كثرة ما بها من تقارير وأعمال تم إنجازها .. وما إن عرف أنني أنهيت كل هذا إلا وقدم لي الشكر على ما صنعت .. عندها استشعرت بالفخر يملأ كل جوارحي وهو يعظم من شأني .. وأنا أقول له بيني وبين نفسي لا تشكرني بل اشكر زوجي الذي علمني كل ما يجبر الآخرين على احترامي ..

أنهيت يومي ورجعت سريعاً إلى مسكني لكي أبلغ روح زوجي بما حدث .. وأقص عليها ما نلت من تكريم مقابل إتقاني لعملي من مديري .. وفي الحقيقة إن كل هذا الفعل يعود إليه ..

ما أجهل أن ترث ممن تحب أفضل صفاته فيما يحب!
أحبك يا أعز وأغلى ما أملك .
زوجتك المخلصة .

اليوم الرابع والعشرون

السعادة لا تدوم كثيراً .. يبدو أن الهم والحزن هما من أهم ما يميزنا نحن الإناث .

فأمس وأول أمس كنت كأمية تسكن قصرها التي تجده كل ما تتمنى .. لكنني اليوم أعود إلى حجرة سجنني التي اعتدت العيش بداخلها .. كان الصباح هادئاً بلا أي عواصف ولا أي شيء يثير القلق والخوف من اللحظات القادمة .. لم يتصل زوجي .. لكنه ظل بجواري ليلة أمس بأكملها .. لم أشعر للحظة أنه بعيد عن أحضاني .. إلى أن غلبني النعاس .. لم يأخذني عقلي الباطن إلى أي أحلام كانت سعيدة أو كما هي معتادة .. فكان استيقاظي دون أدنى مشكلة تؤرقني أثناء نومي .. وكذلك يومي بأكمله منذ أن ذهبت إلى عملي إلى أن رجعت مرة أخرى .. كان كل شيء يسير على ما يرام .. حتى انتهيت من تحضير طعامي وجلست لكي أتناوله .. وأثناء ذلك سمعت صوت نغمة الرسائل الخاصة بهاتفني لتعلن استقباله رسالة جديدة .. الأمر في تلك اللحظة طبيعي للغاية .. ذهبت لألقي نظرة على ما وصلني .. وما إن شاهدت رقم الهاتف المرسل منه الرسالة إلا وامتلكني

حالة من التوتر .. إنه نفسي الرقم الذي أرسلت منه الرسائل أثناء تواجدي بالنادي منذ آخر مرة كنت بها هناك .. خفق قلبي وأنا أقرأ كلمات رسالته .. التي تؤكد أن صاحب الرقم المجهول هذا يعرفني جيداً ويكاد يكون موجوداً بداخل عقلي ويعلم ما أفكر فيه وما أقوم به للتو .. إنه يطلب مني بعد أن أنتهي من تناول طعامي أن أذهب إلى النادي .. لقد اشتاق إلى رؤيتي حسب ما جاء في رسالته لي .. إنه أمر يدعو إلى الجنون .. لا .. إنه الجنون بذاته .. من ذلك المجهول الذي يعرف كل تحركاتي لدرجة جعلته يعلم أنني أتناول طعامي الآن؟ إنه قريب .. ربما يكون في أحد الأماكن المجاورة لي .. ربما يكون يسكن في تلك المساكن المقابلة لي .. نعم إنه كذلك .. لا بد أن يكون كذلك .. فكيف له أن يعلم أنني أتناول طعامي الآن .. في تلك اللحظة تحديداً .. من المؤكد أنه يشاهدني .. قمت متوجهة نحو النافذة أنظر تجاه كل النوافذ التي تقابل مسكني .. ربما أجده في أحدها يقف وينظر لي .. يتابعني بكل شدة وتركيز .. من المؤكد أنني سأجده في إحداها .. توجهت إلى نافذة أخرى .. أبحث عنه بين النوافذ .. لكنني لم أجده .. رجعت من حيث أتيت وألقيت برأسي على ذلك الكرسي وأغلقت عيني بيدي لكي أخفي ما أصابني من هم وحزن وأنا أتساءل:

ماذا حدث؟ من هو؟ أين هو؟ كيف عرف أنني أتناول طعامي في تلك اللحظة؟ ماذا يريد؟

في تلك اللحظات همس لي هاجسي وطلب مني أن أنزل إلى النادي لكي أتعرف عليه .. إنه ينتظر رؤيتي في النادي .. لا .. لن أذهب .. لم أركض

خلف جنون؟ لكن .. لماذا لا أذهب؟ سأذهب وسأتعرف عليه .. إنه أغبي من أن يدخلني في تلك الحيرة .. لقد أخبرني عبر رسالته دون أن يدرك أنه يسكن في أحد المساكن المجاورة لي والتي تتساوي نوافذها بنوافذي .. نعم .. هو هكذا بالفعل .. إنه قريب جداً وسوف أصل إليه .. لا من أجل أن أتمتع معه بالحب والشوق وكل هذا .. لا .. بل سأذهب لكي أتعرف عليه وأعنفه وأخبره أنه شخص غير مرغوب به داخل حياتي .. ليس ذلك فحسب .. بل سأوبخه كثيراً على اقتحامه لحرمة مسكني .. وأحذره لو تهادى في هذا الأمر سوف ألحق به عقاباً لا يقوى على تحمله .. نعم .. يجب أن أفعل ذلك .. همس هاجسي في أذني طالباً اللطف به .. إنه عاشق .. لكني أيضاً لن أستمع إليه .. بل طلبت منه أن يصمت نهائياً ويتركني وشأني ولا يتدخل في أمري خصوصاً في هذه المشكلة .. وبالفعل كان لي ما طلبت وانصاع لأمري .

وبالفعل توجهت إلى غرفة نومي وقمت باستبدال ملابسي .. وتوجهت إلى الخارج في طريقي إلى النادي .. ركبت تاكسي وتوجهت .. لكن ربما أحياناً يمنعك القدر من الوصول إلى ما تتمنى في الموعد الذي ترجوه .. تعطل بي التاكسي .. وطلب مني السائق أن أستقل غيره لأن الأمر يبدو أنه سوف يأخذ وقتاً كبيراً في إصلاحه .. وهذا ما كان .. حاولت إيقاف تاكسي لكن الوقت يمر سريعاً دون قدومه .. لدرجة جعلتني أتساءل عمن منعذ مرور التاكسي من تلك المنطقة .. فات ما يقرب من ربع ساعة والقلق والتوتر جعلني أشعر أن ما فات علي وأنا أقف في هذا المكان أكثر من ربع عام كامل .. ولكن الحمد لله أخيراً جاء تاكسي وأقلني من هذا المكان ..

لكن الأحداث تتصاعد بسرعة جنونية لتزيد من حالة القلق والتوتر التي تملكني .. إنها رسالة جديدة منه يخبرني فيها بأنه سينتظري إلى آخر لحظة في عمره .. اشتد غضبي لدرجة جعلتني أنطق قائلة: يا رب تموت وترجيني يا أخي.

هنا التفت السائق لي وهو يسأل:

- هو حضرتك بتقولي حاجة يا ست هانم؟

- لا يا أسطي .. بكلم نفسي.

هز رأسه وهو يتمتم ببعض الكلمات التي ما إن سمعتها رغم انخفاض صوته بشكل كبير .. إلا وابتسمت ساخرة على حالي .. إنه قال وهو يراقبني في المرأة:

- ربنا يشفي .

يا ليتها تكون دعوة مستجابة أيها السائق العجوز .. كنت أتمنى أن أقول له أن يدعو هذا الدعاء مرة أخرى لكن من أعماق قلبه دون أن يسخر مني .. نعم .. أنا أصبحت مجنونة .. أبحث عن مجهول .. بل .. يطاردني مجهول .. لا .. الأمر أصبح أصعب مما يتحملة البشر .. يجب أن أكف عن التفكير في هذا الأمر .. يجب ألا أنساق خلف تلك الأفكار الساذجة التي تدعو إلى الجنون .. لا .. إنها أحداث مرتبة للغاية .. كيف لها أن تكون وهماً من صنع خيال .. إنه يرأسني ويغلق هاتفه مثل المراهقين تماماً .. إنه يجب أن يعرف قدره .. إنه لا شيء .. ربما يكون أقل من اللاشيء بكثير .. يجب أن أصل إليه لكي أخبره بذلك كله .. لن أتوقف عن تعنيفه أو اختيار كلماتي له ..

لن أهتم بأي مشاعر يحدثني عنها هاجسي .. وأي مشاعر هذه التي تبيح له أن يفعل بي كل هذا .. إنه مجنون .. إنه أكبر مجنون على وجه تلك الأرض .. ولن أسمح له أن يتهدى في تلك التصرفات أكثر من ذلك ..

وبالفعل وصلت إلى النادي .. كانت حالتي يرثى لها .. إنني أفتش عن وجهه بين الجميع أخلق في كل من أجده أمامي .. نعم .. كل ملامح وجهي تدل على ثورتي وغضبي العارم .. جلست وأنا في قمة غضبي .. أنتظر أن يأتي .. أن يحاول الاتصال .. أن ألاحظ أي حركة غريبة ممن حولي تجعلني أتعرف عليه، لكن دون فائدة .. لا أحدهم يهتم بوجودي غير هذا العامل الذي يقدم لي عصيري المفضل .. ربما كنت في أشد الحاجة لهذا الكوب لكي تقلل برودته من تلك النار التي تشتعل بداخلي ..

جلست كثيراً دون فائدة ولا جديد .. مما جعلني أوبخ نفسي بشدة .. بل بكل قسوة .. إنني حقاً أنثى مجنونة .. ما هذا الذي أفعله .. هل أسير خلف هذه المهاترات .. يجب أن أرحل الآن دون أي مبررات تجعلني أنتظر أن يأتي ذلك المجهول .. لن أنتظره .. سوف أرحل ..

وبالفعل رجعت إلى منزلي وأنا في قمة غضبي وغيظي من نفسي ومما أقوم به .. أسأل نفسي كثيراً: لماذا فعلت ما فعلته؟ لماذا توجهت إلى هناك ومن أجل من؟ طرحت الكثير من التساؤلات دون أن أجد الإجابة الصادقة والمقنعة .. وكان لزاماً علي أن أنهي كل هذا الصراع بداخلي وأخلد إلى النوم دون أن أفرط في التفكير وإدانة نفسي بالركوض خلف مجهول لا يستحق أن يأخذ مني كل هذا الاهتمام.

اليوم الخامس والعشرون

إلى من يهमे الأمر .. ارحمني يرحمك الله!

ذهب الأمس بكل ما فيه من أوجاع وألم وتوبيخ وما شابه ذلك .. كم كنت أتمنى أن ما حدث بالأمس لم يحدث بالأساس .. ربما كان حلماً .. ربما كان هاجساً .. ربما كان أي شيء يبعد عن الحقيقة التي تؤلمني كثيراً.

لكن ليس كل ما نتمناه يتحقق .. تلك هي الحقيقة رغم أنف الجميع .. القدر لا يعلو عليه أي آمنيات ولا تكهنات .. إن ما حدث أمس كان حقيقة موجهة وحلقة جديدة في مسلسل أنا والمجهول التي يبدو وكأن حلقاته سوف تمتد لتنافس حلقات المسلسلات التركية التي أجلس متابعتها على شاشات التلفزيون دون أن تنتهي .

زاد وجع الأمس وجعاً تلك الرسالة التي استقبلتها على هاتفي في الصباح .. فعند استيقاظي من النوم كانت الأمور هادئة بعض الشيء إلى أن استبدلت ملابسي وتوجهت إلى عملي ..

كالعادة ركبت التاكسي وما إن تحرك أمتاراً قليلة إلا ووجدت رجلاً في عقده الثالث يشير إلى التاكسي بشكل جنوني .. يكاد أن يقف أمامه ..

مما دفع السائق إلى التوقف .. وإذا به يفتح باب التاكسي الأمامي ويركب وهو يتحدث بهاتفه المحمول ويخبر من يحدثه أنه قادم بأقصى سرعة .. ثم نظر إلينا قائلاً:

- أنا آسف .. بس الظروف صعبة جداً .. آسف يا هانم .. أنت طريقك إيه يا أسطى؟

- على طول يا أستاذ .

- طيب كويس جداً .

لم أستوعب ما يحدث من حولي .. إنه أشبه بالمغامرات البوليسية .. شخص يحاول أن يصل إلى مبتغاه بأقصى سرعة دون احترام ومراعاة الآخرين .. ماذا لو لم يكن اتجاه التاكسي هو نفسه اتجاه ذلك الرجل .. هل كان سيطلب مني النزول في نهر الطريق والتوجه هو حيثما يشاء .. لكن لا يهم لقد حدث ما حدث وما علي إلا تقبل الأمر .. لفت انتباهي أنه يهتم بهاتفه المحمول بشدة .. ربما يكتب رسالة .. حاولت ألا أعير الأمر اهتماماً لأن ذلك فضول غير مبرر .. لكن ما زاد فضولي هو إغلاقه للهاتف بعد أن انتهى مما يفعل .. ونظرته لي بهدوء شديد جعلتني أتخلى عن فضولي وأهرب بعيني من مواجهته .. وما إن مرت اللحظات إلا وسمعت صوت نغمة رسائل هاتفي لتعلن عن استقبال رسالة جديدة .. كدنا نصل إلى مقر عملي .. أخرجت هاتفي من حقيبة يدي لأجد نص الرسالة التالية:

- أسعد لحظات العمر بجوارك .

إنه نفس الرقم المجهول .. يبدو أنه مصمم على أن يصيبني بالجنون .. وذلك الرجل الذي اقتحم السيارة ويركب بجوار السائق .. إنه يبادلني بنظرات غريبة جداً .. بدأ هاجسي يوحى لي أنه هو صاحب الرقم المجهول .. نعم .. إن نظراته توحى بذلك .. زاد شكى عندما رجعت بالذاكرة لدقائق معدودة مرت .. وهو يغلق هاتفه وينظر تجاهي .. ثم إنه استقل التاكسي بالقرب من مسكني .. ربما تكون حالة التوتر والذعر التي ادعاها عند ركوبه معنا التاكسي ما هي إلا حيلة ليكون بجواري .. لم يتبق إلا تقاطع الشارع القادم فقط وأكون قد وصلت إلى مقر عملي .. طلب الرجل من سائق التاكسي التوقف حتى يتمكن من النزول .. كان ذلك بعد أن تبادلنا النظرات التي تحمل في طياتها معاني كثيرة .. نعم .. كانت عيني تحاول أن تسأله وتواجهه بكل ما يدور بذهني في تلك اللحظات .. وكانت عيناه يملأها الضعف والسكران التام .. دفع أجرته وغادر التاكسي .. ودفعني فضولي أن أنزل خلفه وأتوجه إليه .. أسأله عما يدور بذهني وأحصل منه على الإجابة القاطعة التي أريدها .. وبالفعل دفعت أجرتي إلى سائق التاكسي ونزلت أنا أيضاً .. كانت المسافة بيني وبينه ليست بالبعيدة .. لكن سرعته التي كان يسير بها جعلته أبعد مما أتخيل أنا .. حاولت أن ألحق به .. لكنني فقدته وسط المارة ..

تملكني يأس شديد .. خصوصاً حينما شعرت أنني على بعد خطوات مما أريده وأبتغيه .. فقدت الأمل وغيّرت من وجهتي إلى اتجاه عملي .. كان ما حدث منذ قليل يؤثر بشدة على نفسي .. ويتضح على ملامحي أن

هناك شيئاً ما يشغلني .. حاولت أن أخفي كل ما أنا عليه من أوجاع وهموم حتى لا يتعرف أي شخص من زملائي في العمل على ما يعكر صفو حياتي .. أو على الأقل يسألني أحدهم عن سر ما يزعجني .. لكنني فشلت أن أخفي ذلك أيضاً .. وكأن الفشل في الحصول على ما نريد هو سر الحياة اليوم .. سألتني إحدى صديقاتي بعد أن استشعرت أنني أخفي خلف ابتسامتي شيئاً ما :

- مالك يا ميران .. في إيه؟

- ها .. لا مفيش حاجة .

- ما تحاوليش تقنعيني إن سكوتك وسر حانك ده كله ومفيش حاجة .

- يعني .. تعبانة شوية .. ما نمتش كويس بس .

لم أستطع أن أقنعها بكلماتي .. لكنها رفضت أن تفرض نفسها أو تضغط علي أكثر من ذلك .. وحاولت أن تعبر لي عن قلقها علي بدافع الصداقة التي بيننا ليس أكثر .. وأنها لا تعني بسؤالها الفضول أو الدخول في شئوني الخاصة .. وما كان علي إلا أن أشكرها على صدق مشاعرها .. وتوجهنا بعد ذلك إلى عملنا ..

أثناء جلوسي على مكثبي طرحت سؤالاً هاماً على نفسي .. إلى متى سوف أتحمل كل هذا العناء بمفردي؟ ربما يجب أن أطرح الأمر على إحدى صديقاتي وأستشيرها فيما يجب علي فعله .. لكن كيف سأطرح عليها الأمر .. هل سأقول لها إني أعاني من الوحدة وهناك رجل في حياتي يشغل بالي غير زوجي .. لا .. لا يصح أن أفعل ذلك .. يجب أن يبقى

الأمر سرّاً بيني وبين نفسي .. لا يصح أن أشرك أي أحد في هذا الأمر .. خصوصاً أنه أمر شائك للغاية ويحمل معاني كثيرة .. بل ويفتح مجال الشكوك والظنون .. وأنا في غنى عن هذا الأمر .. يكفيني ما أنا عليه الآن من أوجاع وهموم ..

لكن هذا ليس حلاً .. بل هو تفاقم يؤدي إلى تفاقم وتزايد الأزمة التي أعيشها .. لا .. يجب أن أستعين بإحدى صديقاتي المخلصات .. ترى .. هل أستشير سمّاح في هذا الأمر؟ لا .. ربما تخبر زوجها .. وإن حدث ذلك سوف تتغير وجهة نظره التي كونها عني .. وليس بعيداً أن يبني بينه وبينني سوراً من العداة .

اشتد الأمر وزادت الحيرة .. وانتهى يومي في العمل دون الوصول إلى الحل المناسب أو اختيار الشخصية التي يجب أن أحصل منها على النصيح والإرشاد في هذا الأمر بالغ الحساسية ..

رجعت إلى المنزل دون فائدة .. حاولت أن أنسى الأمر في أعمال منزلي .. قمت بنقل محتوياته من أثاث وإكسسوارات من مكان إلى آخر بقصد التغيير والخروج من تلك الحالة التي تملكني .. وأثناء قيامي بذلك العمل جاءني فكرة .. ألا وهي .. ماذا لو قمت بتغيير رقم هاتفي .. أظن أن ذلك سوف يحد كثيراً من تلك المعاناة التي أعانيها .. وسأنهي من سلسلة الرسائل المجهولة التي تصلني .. نعم .. إنها فكرة صائبة .. انتهيت مما أقوم به وخرجت من حالة اليأس التي كانت تملكني هذه بتلك الفكرة التي توصلت إليها .. نعم .. سأقوم بتغيير رقم هاتفي ..

لكنني لن أستطيع القيام بهذا الأمر إلا بعد أن أخبر زوجي به .. إذن سأنتظر مكالمته حتى أخبره .. والآن يجب أن أخلد إلى النوم قليلاً .. ربما يهاتفني زوجي في الساعات الأولى من الصباح كعادته .. سأحصل على قسط من الراحة حتى يحين فعل ذلك .

اليوم السادس والعشرون

انتظرتك بالأمس واليوم وإلى أن ينتهي العمر .. لعلك تشعر بما في داخلي وتنقذني مما أنا فيه .. أرجو أن تهاتفني في أقرب لحظة ممكنة! أنتظر حتى أخلي مسؤوليتي من تهمة الخيانة التي تكاد أن تحدث من حين لآخر .

وإن لم تأت فلا تلق علي أي مسؤولية .. واعلم أنك السبب الوحيد فيما آلت إليه الظروف ..

مر يومي دون عناء .. اللهم إلا عناء انتظار مكالمة زوجي لأخبره قراري بتغيير رقم هاتفي .

منذ زمن بعيد لم أنتظر مكالماتك الهاتفية .. الآن أنا في أمس الحاجة إليها .. هناك لفة بداخلي غير مسبوقة في هذا الاتجاه .. لك أن تتخيل شعوري بهذا الأمر العسير الذي أعيش فيه بدونك .. هناك من يلهث خلفي بكل جنون لدرجة جعلتني أصاب بالجنون .. أشك في كل شيء حولي .. أحملق بنظراتي في كل الرجال بحثاً عن رجل يشعل أحلامي .. يطاردني حتى في منامي .

أرجو ألا تفهم حديثي إليك بشكل خاطئ .. فأنا لا أقوى على ذلك أيضاً .. يكفيني ما أعيش به .

أود أن أصرح لك ببعض الكلمات .. ربما تشعر أنني أعنفك فيها .. لكن عليك أن تتحملني مثلما أنا أتحمل عناء ما أشعر به .. أنت من أخذني في طريق البحث عن رجل مجهول .. نعم أنت .. تجاهلك وعدم شعورك بي كأنني جعل مني مرافقة كأي في السادسة عشرة .. ينفطر قلبها من كلمة هامسة .. أتذكر متى قدمت لي تهنئة عيد الميلاد .. بعد فوات الأوان بأوان .. هل تذكر آخر مرة قدمت لي فيها هدية عيد الميلاد .. لا أظنك تتذكر ذلك أيضاً .. إن كل ما أحدثك عنه الآن النسبة لك مجرد شكليات .. لا تفسد للود قضية .. هذا بالنسبة لك .. أما أنا .. لا .. إنها ضروريات وليست شكليات يا عزيزي .. إنها الأشياء التي تدل على أنك تتذكرني وتعيرني اهتمامك وتبرهن أنني أستحوذ على قلبك وعقلك وكل تفكيرك . آه .. ليتني لم أتزوجك .. ربما كان حالي أفضل مما هو الآن .. ربما كنت أعيش مع من يدرك كم المشاعر والأحاسيس التي تحتاج كياني الآن كالإعصار الذي يضرب بكل شيء داخلي .. أنت لا تهتم بأي شيء في حياتك إلا العمل .. فهو الوسيلة الوحيدة التي تراها مناسبة جداً لجمع المال والنجاح والترفع على عرش الشهرة في مجالك كأكبر مهندسي الشرق الأوسط .. هذا طموحك المعهود منذ البداية .. أما أنا .. آخر شيء يمكن أن تفكر به .. أنا مجرد دقائق معدودة عبر مكالمات هاتفية لا تكتمل .. مكالمات من باب البروتوكولات ليس أكثر .. أنا آخر شيء يمكن أن تدرك أنه

في أشد الحاجة إليك .. أنا لا شيء في حياتك .. وإن لم تدرك أنني على شفا حفرة من النار وأحتاج إلى يديك لكي تنقذني منها .. سوف أسقط وأحترق بلا شك .. إنني على حافة الهاوية .

اليوم منذ أن استيقظت من نومي وأنا أحرص على غلق هاتفي في الصباح .. أعلم أنك لم تتصل في ذلك التوقيت .. لكنني أخشى أن أستقبل رسالة جديدة من ذلك الرجل الذي يعشقني ولا أعرفه .. يلاحقني برسائله بعدما فقد الأمل في ملاحتي عبر الهاتف المنزلي .. لأنني أحرص أيضاً على عدم توصيل سلك الحرارة إليه .. نعم .. تعمدت ذلك حتى لا يحاول الاتصال مجدداً على الهاتف الأرضي .. وأقسم لك أنني لا أعرفه .. وأيضاً لا أنكر أنني بحثت عنه .. في بداية الأمر أخذني فضولي وحنيني لمعرفته .. لكنني الآن تطرق فكري في البحث عنه إنما يكون ذلك من أجل شيء واحد فقط .. هو أن أعنفه وأوبخه حتى يكف عن ملاحتي .. أخشى أن أعود مجدداً لأفكر فيه .. أخشى أن يأخذني حنيني وأنصت إلى هاجسي وأذهب خلف قلبي لأبحث عنه وأبادله نفس الشعور الذي يشعر به .. لكنني في نفس الوقت لم أعد أتحمل ما يدور بداخلي .. هناك صراع يشتد عن آخره .. حرب شرسة بين قلبي وجوارحي .. اتحدت كل مشاعري معهم ضد عقلي الذي يرفض تماماً أن يذهب خلفهم في رحلة البحث عن مجهول .

أتدري إلى أي حد وصل بي الأمر؟ أتدري كم هذا العناء الذي أعيش به؟ كم هذا العذاب الذي يجلد جوارحي كل ليلة فوق فراشي وأنت

لست موجوداً به .. أتدري الآن لماذا أستحضر روحك ترافقني في نومي .. أنت لا تدري أي شيء .. أنت لا تعلم شيئاً .. حتى إن قلت لي أعلم وأدري .. لم تستطع أن تدرك حجم حزني .. ألمي .. همي .. ضعفي .. قلة حيلتي .

اعذر جهلي لو خانتني الألفاظ واشتد تعينفي لك .. فما أصابني في بعدك أقوى وأشد وأقسى من كل ما عنفتك به .

أنا أعيش وحيدة .. كل ليلة أحاول أن أستحضر روحك لكي تؤنسني .. لكن دون جدوى .. وكأنك أصبحت بلا روح .. لا تشعر بشيء .. ماتت بداخلك كل أجهزة الاستشعار .. ربما توقف قلبك عن النبض .. أو ربما تكون نسيت أن لك زوجة تنتظر أن تعود إليها حتى ولو من خلال مكالمة هاتفية .

أتدري ماذا يحدث الآن؟

إني أبكي .. تتساقط دموعي فوق أوراقك وكأنها غيث يسقي تلك الكلمات السابقة .. أو ربما تتساقط على مشاعرك تجاهي التي ذبلت لتعيد لها النمو وتأخذها من جديد لتثمر حيناً .. أو ربما تنعي قلبي على مشاعرك التي ماتت .. وتمحوها من على وجه أوراقك .. لا أعرف بالتحديد .. الأمر كله يعود إليك .. كل ما أعرفه أنني أبكي حزناً مما أصابني في بعدك عني ..

كم أتمنى أن تعود بين لحظة وأخرى .. كم أتمنى أن أرتقي بين أحضانك .. كم أتمنى أن تكون معي الآن وتمد يديك الناعمتين إلى عيوني لتجفف

دموعها .. عد قبل أن يقتلني الحنين .. وتخنقني الهواجس .. عد بشوقك
ولهفتك وحبك لتجديني في انتظارك قبل أن تدفعك الظروف أن تعود رغماً
عنك لتزفني إلى مثواي الأخير ..

أقسم لك إن لم تعد لي ولو حتى بمكالمة هاتفية سوف أفعل ما لا أريد
أن أفعله .. سأترك عقلي يسير خلف جوارحي ومشاعري وهواجسي ..
سأذهب إلى ذلك الرجل الذي لا أعرفه وأرتمي بين أحضانه وأخون كل
وعدي لك .. ولا تؤلّمني .. فأنت الجاني .. أنت من فعل كل هذا .. أنت
من قتل بالهجر قلبي .. فلا تلومني ..

سأظل على عهدي حتى الصباح .. أنتظر كلاً أخبرك أنني أحبك .. وأنت
كل شيء في حياتي ولا شيء غيرك يملكني .. وأخبرك أيضاً أنني انتصرت
على هواجسي ولن أذهب خلف جوارحي للبحث عن بديل لك في بعدك.
أحبك .. أرجو ألا تتأخر .

إلى هنا يجب أن أتوقف عن الكتابة .. لقد أخرجت كل ما أشعر به من
غضب فوق أوراقتي .. والآن .. يجب أن أخلد إلى النوم .. دون عناء ..
دون غضب .. دون كراهية .. أنا لا أكره زوجي .. بل أعنفه بعض الشيء
على تجاهله لي .. نعم تلك هي الحقيقة ..
أنا لا أكرهك يا أغلى ما في الوجود .. أنا فقط ألوّمك على تجاهلك
لمشاعري .

أحبك إلى أن ينتهي بي العمر .. أحبك .

اليوم السابع والعشرون

هذا قدرني علي أن أتحمله وأستجيب إليه .. مهما كان ومهما سيكون ..
يجب ألا أحمل نفسي فوق طاقتها.

أظن أنني قدمت كل ما يجب علي أن أقدمه من توضيحات .. وضعت
كل السدود والموانع الحصينة اللازمة حتى أحول بيني وبين ذلك المُرغم
المُتيم .. حفاظاً على زوجي وذلك العقد المبرم فيما بيننا .

كما توقعت تماماً .. في الساعات الأولى من صباح اليوم هاتفني .. ربما كان
يشعر بتلك الحالة السيئة التي وصلت إليها .. ربما روحه التي أستحضرها
كل مساء أبلغته أنني في قمة غضبي وثورتي قادمة لتعصف بكل شيء من
حولي .. ربما أدرك أن هناك أشياء أخرى غير العمل والنجاح وجمع المال
يجب أن يهتم بها .. في الحقيقة إنه احتواني في الوقت المناسب قبل الانفجار
.. نعم هو فعل ذلك بتلك الكلمات التي حقاً أصبحت بالنسبة لي مجرد
كلمات لا تعبر عن واقع .. لكنها كانت مطلوبة .. حتى أعقد هدنة بيني
وبين نفسي .. حتى أخفف من شدة الضغط الذي أحمله على عاتقي ..
كنت في حاجة إليها حتى أصطنع له مبرراً جديداً يجعلني أغفر له كل ما

سبق من تجاهل ولا مبالاة نحوي ..

كان صوته الدافئ رغم برودة المشاعر وجمود الأحاسيس .. رغم كل ذلك جري بيننا الحديث:

- ألووو .

- ألووو .

- إزيك يا حبيبتي؟

- الحمد لله .. إنت أخبارك إيه؟

- أنا مش مهم .. طمني بس إنتي عليكي .

- أنا محتاجة لك .

- عارف .. ساحبيني .. أنا مقصر معاكي .. بس هانت .

- كل مرة بتقولي هانت .. ومش بتهون .. نفسي ترجع بقى .

- صدقيني هانت .

- أنا عايزة أغير رقم تليفوني .

- ليه؟

- يعني .. من باب التغير .. الملل هيموتني وإنت بعيد .

- خلاص يا حبيبتي .. غيري الرقم وابعتي لي الرقم الجديد في رسالة .

- أوكي .

- بحبك .

- وأنا كمان .

ربما يعلم الجميع ماذا حدث الآن .. دائما ما ينقطع الخط بعد تلك

الاعترافات المثيرة .. لا أعلم لماذا .. وكأنها عادة هاتفية .. لكن لا يهم .. كل ما كان يهمني في ذلك الوقت هو أنني حصلت على ما أريده .. ليس بالطبع إذن طلب تغيير رقم الهاتف .. لا .. بل إنه هاتفني .. وهل كان باستطاعته أن يفعل غير ذلك .. بعد كل التهديدات التي وجهتها له بالأمس .. أظن أنه لم يكن أمامه مفر غير طاعة أمري.

في الحقيقة .. لم أكن أستطيع أن أنفذ تهديداتي إليه اليوم إن لم يكن هاتفني .. فأنا أضعف من ذلك بكثير .. وكيف لي أن أعاقبه على أمر ما وهو غائب .. هذا ليس عدلاً .. وأنا مهما يكن لا أميل إلى أن أظلم أحداً حتى ولو كان هناك ظلم واضح يقع علي منه .. وكيف لي أن أهدد زوجي بمعاقبته وهجره وخيانتة .. هذا مستحيل أن يحدث حتى وإن لوحث بهذا .. فأنا ما زلت أعشقه وأحفظ كرامته حتى وإن لم يكن معي الآن .

المهم ... رجعت بعد مكالمته لاستكمال نومي .. وبعد مرور ساعات قليلة استيقظت حتى أذهب إلى عملي .. إنه آخر أيام الأسبوع وغداً سأحصل على راحتي الأسبوعية .. أظن أنني سأخلد إلى نوم عميق ولن أستيقظ إلا لقضاء حاجتي الضرورية ليس أكثر .. المهم .. قمت بتحضير نفسي وارتديت ملابس وذهبت إلى عملي .. كالعادة .. قضيت يومي بشكل طبيعي في العمل .. إلى أن انتهيت منه .. وجاء موعد الذهاب .. أغلقت جهاز الحاسوب الخاص بمكتبي .. ورتبت أوراقى بداخل أدراج المكتب .. وأغلقتها وذهبت .. فغداً كما أشرت يوم العطلة ويجب أن أتأهب له بشكل خاص .. ربما سأذهب إلى الكوافير في الصباح وسأذهب

إلى النادي بعد تناول الغداء أو ربما سأذهب في نزهة للمحلات التجارية أو ما شابه ذلك .. لا أعلم إلى الآن ماذا سأفعل غداً .. لكن هذا ما كان يدور بتفكيري أثناء خروجي من الشركة .. إلى أن أصبحت خارجها .. وبدأت أفكر بشكل آخر .. ألا وهو.. ماذا سأفعل؟ الآن أول شيء يجب أن أقوم به هو التوجه إلى متجر الهواتف الخلوية الذي أتعامل معه لكي أقوم بشراء شريحة جديدة .. ويجب أن تحمل أرقامًا مميزة .. نعم .. ذلك بالطبع أمر في غاية الأهمية .. فالمرأة يجب أن تكون مميزة في كل شيء .. حتى أدق وأبسط التفاصيل .. وتلك الأشياء التي ترتديها أو تحملها .. لأن ذلك يحمل دلالة هامة للغاية .. ألا وهي أن المرأة التي تهتم بكل شيء في مظهرها تعيش حياة مرتبة وسعيدة .. وأنا أحاول دائماً أن أكون هذه المرأة .. حتى لو لم أكن سعيدة بيني وبين نفسي .. وهناك ما يؤلمني ويحزنني .. لكن يجب أن أظهر عكس ذلك أمام الجميع .. فأنا على قناعة أنه يجب أن يشعر كل المحيطين بي أنني في قمة سعادتي ..

في ظل هذا التفكير العميق أثناء سيرتي في الطرقات كنت قد وصلت إلى المتجر واشتريت الشريحة التي أريدها بتلك الأرقام المميزة التي أرغب بها وقمت بتشغيلها على الفور .. وأرسلت إلى زوجي رسالة منها لكي أخبره برقم هاتفي الجديد .. ثم توجهت بعد ذلك إلى طريق عودتي للمنزل .. كانت هناك بعض الأشياء والمستلزمات الخاصة بالمنزل يجب أن أقوم بشرائها .. وبالفعل توجهت إلى السوبر ماركت الذي أتعامل معه ودخلت ثم ألقيت على صاحبه التحية وبادلني إياها .. وأخرجت من

حقيبة يدي ورقة بها ما أريده .. أخذها مني ونظر فيها وحسب تكلفتها .. وبدوري أعطيته ما طلب من أموال .. وطلبت منه أن يحضر ما طلبته إلى منزلي عن طريق عامل السوبر ماركت .. وبالفعل ذهبت .. صعدت إلى منزلي وقمت بتغيير ملابسني وجلست في انتظار عامل السوبر ماركت .. هناك أشياء أريدها لكي أحضر بها ما أتناوله من طعام .. بعد قليل حضر العامل يحمل بين يديه ما طلبته .. أخذتها منه وشكرته بعد أن أعطيته نظير خدمة توصيل الطلبات للمنزل .. تقبل شكري له ورحل .. وتوجهت إلى المطبخ لكي أقوم بتحضير وجبة الغداء ..

أثناء وقوفي في المطبخ وأنا أقوم بعملية تحضير الطعام أخذني خيالي إلى زمن مضى .. عاد بي لأكثر من ثلاثة أعوام .. إنها الفترة الأولى لي من الزواج .. كنت أقوم إلى المطبخ بسرعة .. أهتم بكل شيء .. أحافظ على طهي طعامي قبل أن يعود زوجي من العمل .. كان يأتي من عمله يجدي أقف بداخل هذا المكان .. يقف بجواري بعد أن يقبلني في جبهتي ويدي .. يا لها من أيام .. كم أتمنى أن تعود الآن .. كنت أدفعه مداعبة إلى خارج المطبخ لكي يقوم بتغيير ملابسه حتى أتمكن من تحضير السفرة .. كنت أعيش أياماً في غاية الحب والرومانسية .. الآن .. أبكي بداخلي وأرجو أن تعود ولو ليوم واحد .

اختصاراً للحزن .. انتهيت من تحضير الطعام وتناولته .. وجلست أمام جهاز التلفزيون أتابع أي شيء يقدم علي شاشته .. بمعنى أدق .. كنت أشغل نفسي وروحي حتى لا أنخرط في حالة حزن وهم كبيرة .. أنا في

غنى عنها .. ظلمت على هذا المنوال لوقت كبير .. لا أفعل أي شيء إلا المشاهدة .. وساعدني في ذلك تغيير رقم هاتفي المحمول .. وقطع الحرارة عن الهاتف الأرض .. فلا يوجد أحد يحادثني أو يشغلني إلا هذا الجهاز الذي أرغمت نفسي على متابعته والغوص في أعماق درامة مؤثرة وليست حقيقية هرباً من تلك الأوجاع التي أعيشها بيني وبين نفسي ..

لكن الهروب لا يفيد .. فالمصير لا يتغير مهما كانت محاولاتك للتغيير .. لم تفلح .. فبمجرد أن توجهت إلى غرفتي بعد أن شعرت أنني يجب أن أخلد إلى النوم .. إلا وبدأت رحلة الألم والتعب النفسي .. رحلة العذاب والاشتياق والحنين .. رحلة الحب الذي دائماً ما يؤرقني .. إلى أن غلبتني دموعي وبكيت حتى أغرقت وسادتي بالدموع .. إنه الحنين .. نعم .. فمن منا يعيش بلا حب ولا حنين؟! من منا لا يبكي على فراق من أحب؟! بل من هو بالنسبة إليه نبض القلب .. لا أعلم ماذا حدث بعد ذلك لأنني وبكل بساطة استسلمت إلى حالة الضعف التي امتلكتني وجردتني من كل مؤشرات قوتي وقدرة تحملي .. إلى أن قمت وأمسكت بقلمتي وأوراقتي وسجلت ما حدث منذ البداية إلى تلك اللحظة .. والآن يجب أن أترك كل شيء وأذهب إلى عالم الأحلام لعلني أقابله وأشكو إليه حزني وقلة حيلتي .

اليوم الثامن والعشرون

لا تسأل لماذا يستيقظ بداخلي كل هذا الحنين إلى الماضي بالرغم من أنه ماضٍ!

الحنين شيء بداخلنا .. لا نستطيع أن نتحكم فيه ولا أن نخفيه عندما يطفو على سطح مشاعرنا .. والماضي شيء لا بد أن يأخذنا إليه الحنين .. لأنه وبكل بساطة .. أيام جميلة كنا أن نتمنى أن نعيشها وحققتنا تلك الأمنية .. وعندما يأخذك الحنين إلى الماضي تيقن أنك بحاجة إلى أن تعيش أمنية عشتها بالأمس ولا تستطيع أن تعيشها اليوم .. هذه هي الحقيقة بالمختصر المفيد دون تزيين أو تزييف.

لا أخشى أن أعترف أنني في بداية حياتي لم أكن أتوقع أن أصبح هكذا .. امرأة سيأتي عليها يوم ويقتلها الحنين .. هذا ما أصابني بالأمس .. أما اليوم فقررت أن أستمتع بعطلتي الأسبوعية .. استيقظت قبل الظهيرة .. أخذت حمامي وخرجت منه إلى تلك الغرفة .. جلست أمام المرأة لكي أمشط شعري .. أخذني الحنين إلى الأمس .. بالأخص أول ليلة قضيتها في هذا المنزل .. بين أحضان زوجي الحاضر الغائب .. تذكرت

كم المشاعر والحنين التي تربطنا .. تذكرت شيئاً هاماً للغاية .. طفل .
يااااااه .. كم هو صعب هذا الإحساس .. عندما تشتاق إلى طفل من
ذلك الرجل الذي أكن بداخلي له كل معاني الحب والشوق والحنين ..
لكننا تعاهدنا ألا ننجب إلا عندما تستقر حياتنا ونحسن من وضعنا
المادي .. ليتني استمعت إلى كلماته وأخذت برأيه في هذا الأمر .. كان
دائماً يقول لي إن لكل مخلوق على وجه الأرض رزقه عند الله .. دعينا
ننجب ودعي الله يرزق .. لكنني كنت أجهل من المخطئ في هذا الأمر ..
ليتني استمعت إليه وأنجبنا .. على الأقل لم أكن ألقى بنفسي في هذه الحيرة
والوحدة التي أعيشها الآن .. كنت سأجد ما يملأ حياتي ويأخذ كل
اهتمامي .. لكنني أعود وأقول هذا قضاء الله .. لعل المانع خير بأمر الله ..
ولأنني دائماً أشعر بالذنب تجاه نفسي وتجاه زوجي في هذا الأمر قررت أن
أغير الموضوع وأعود إلى ما أنا فيه .. ارتديت ملابسني وتناولت طعامي
واتصلت بـ«وليد» .. حتى أتوجه إلى الكوافير لأصفف شعري بشكل
مناسب .. كان الاتصال به في البداية صعباً والسبب أنه لا يعرف الرقم
الجديد مما دفعه للرد في المحاولة الثالثة .. وأخبرته أنني قادمة إليه وهو
أخبرني أنه في انتظاري .. توجهت إلى خارج المنزل واستقللت المصعد
الذي توقف في الطابق الثاني ليقبل المهندس ماهر ومعه زوجته المرتقة ..
تصافحنا واستفسرت عن صحة والدته إلى أن خرجنا من المصعد وتوجه
كل منا في طريقه.

استوقف لي البواب تاكسي وأنا أسأله عن أخباره .. لأنه كان قد غادر

إلى محافظته التي نشأ فيها منذ أربعة أيام تقريباً وذلك بسبب حالة وفاة بين أفراد عائلته كما أخبرني .. قدمت إليه واجب العزاء وركبت التاكسي وتوجهت إلى محل الكوافير حيث كان وليد بانتظاري .. وما إن دخلت المكان إلا وأجلسني على الكرسي وبدأ عمله دون تأخير .. تناقشنا في بعض الأمور العابرة .. سألته عن زوجته وعن صحتها .. وأخبرني أنها الآن حامل في شهرها السابع .. وتعاني كثيراً من آلام الحمل .. شرد بي خيالي للحظات .. رأيت فيها نفسي مكان زوجته .. ما هو شعوري أثناء ذلك ؟ أظن أن ألم الحمل صعب إلى درجة كبيرة .. لكنها آلام لا بد منها من أجل أن نعيش بعدها أجمل لحظات السعادة .. كانت ابتسامتي الحاملة تكسو وجهي وأنا شاردة في هذا الأمر .. انتهي وليد من عمله .. ونظرت إلى هيتي في المرأة بعد أن انتهى .. دائماً ما يدخل السعادة والسرور على قلبي وروحي بلمساته الساحرة التي يغزو بها شعري .. ولم أجد أمامي شيئاً سوى أن أشكره على ما فعله .. وتقبل شكري بسعادة غامرة وتركته وذهبت وأنا أشعر بأنوثتي الفاتنة .

والآن سأنتجه إلى النادي .. فهو المكان الذي يجب أن أكون فيه الآن لكي تكتمل سعادتي وأنا أتناول كوب العصير الخاص بي .. وبالفعل أوقفت تاكسي لينقلني إلى هناك .. ما أجمل شوارعنا دون زحام .. ما أجمل تلك اللوشوش البشوشة التي تدل على أننا شعب في غاية الجمال والحب والطيبة .. ما أجمل بائعة الورد والمناديل وتلك الألعاب البسيطة التي تقدم كهدية لطفل صغير .. إنها لحظات لا يجب أن تفوت دون تسجيل .. فالشارع

يمثل إلى حد كبير طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه .. إننا نتعاون ونتعاون ونحب بعضنا البعض دون مقابل .. برغم اختلافاتنا الطبقية إلا أننا متلاحمون جداً .. أحمد الله أنني أعيش وسط هذا المجتمع الحنون المتآخي . وصلت إلى بوابة النادي ودخلت .. كالعادة .. تبادلت السلام مع الجميع من أول العامل في الأمن إلى عامل النظافة وغيرهم ..

جلست على طاولتي المفضلة وجاءني عامل الكافيتريا بكوب العصير المفضل الذي أحبه .. وذهبت بخيالي - أثناء تناولي كوب العصير - وسرحت في هؤلاء الذين أشاهدهم أمام عيني .. إنهم مجموعات من الأسر المختلفة .. عائلات .. كل عائلة منهم عدد أفرادها مختلف عن الأخرى .. أجل ما يزينهم هؤلاء الملائكة الصغار الذين جاءوا معهم اليوم إلى النادي لكي يستمتعوا بقضاء أجازتهم الدراسية .. يا له من أمر مفرح ومحزن في ذات الوقت .. إنني في قمة سعادتي عندما أشاهد ابتسامة هؤلاء الأطفال .. وسعادتهم وهم يلعبون ويركضون خلف بعضهم .. يا له من شعور يجعل القلب يخفق من شدة السعادة .. أما المحزن أنني وحيدة بلا عائلة في هذا المكان .. لكن ماذا أفعل .. لقد ارتضيت الوضع لحين إشعار آخر .. أو بمعنى أدق يجب أن أتحمل ما أنا فيه لحين عودة زوجي من السفر .

هنا تطرق إلى ذهني سؤال هام للغاية .. إلى متى سأظل أنتظره؟ وإلى متى سيظل هو بعيداً؟ يجب أن يعود من أجل أن نكون تلك الأسرة التي طالما كنا نحلم بها قبل زواجنا .. إننا لم نتزوج من أجل أن نفترق .. سأتصل

به اليوم وأخبره أن يعود بأقصى سرعة .. نعم .. يجب أن يعود .. إنني أريد أن أصبح أمًّا .. حتى وإن كنت رفضت ذلك فيما مضى .. الآن أنا أعتذر عما مضى .. كنت جاهلة .. كنت عمياء .. كنت أي شيء مما سوف تصفني به .. لكنني الآن أريد أن أنجب طفلاً .. أريد أن أحمل .. أريد أن أشعر بعناء فلذة كبدي بداخلي وهو ينمو .. أريد أن ألعب معه .. أنظر إلى وجهه وهو يتسم .. يزحف .. يكبر .. يركض في كل أركان المكان .. أريد أن أشعر معه بالأمان .. أذوق كلمة أمي من شفثيه ..

آه .. كم هو مؤلم شعور الندم! كم هو قاس شعور الوحدة! كم هو جارح شعور الحنين!

الآن فقط يجب أن أعتذر عن حماقتي وجهلي .. الآن فقط أدرك أنني جزء كبير من ذلك العذاب الذي أعيشه منذ أن تركت زوجي يرحل .. وإن صدقت القول أنا من أمره بأن يرحل .. أنا من قادها غرورها إلى الجحيم الذي تعيش فيه الآن .. أنا من تستحق كل هذا العذاب .. بل أنا من تستحق الموت ثمناً للشراء المزيف ..

أدركت الآن أن الشراء الحقيقي هو تلك الابتسامة الصافية التي ترسم على وجه أي إنسان يداعبه طفله بكل عفوية .

يجب أن أترك قلبي وأوراقه وأخلد إلى النوم قبل أن أقرر الانتحار ثمناً لجهلي وتعنتي .

أصبح على أفضل مما أنا عليه .

اليوم التاسع والعشرون

هناك لغات كثيرة يستخدمها الإنسان للتعامل مع الآخر .. كل حسب وضعه الجغرافي والاجتماعي .. هناك لغات حية ولغات أخرى ميتة .. لكن هناك أيضاً لغتين للفرد الواحد يستخدمهما في حياته .. لغة العقل .. ولغة القلب أو الحس .. ومن خلال هاتين اللغتين ترسم لوحة للكلمات التي تخرج من فمه .. وتكون فكرة الآخر عنه .

بالأمس كنت أكتب وأتحدث بلغة القلب أو الحس .. نعم .. في الحقيقة عقلي كان في حالة غياب تام .. لا أحتكم إليه في تلك الأمور الموجهة لكل جوارحي .. والآن وبعد أن مرت عاصفة التعنيف التي وجهتها إلى نفسي وهدأ روعي .. وتدخل عقلي في الأمر لكي يحسم ذلك الصراع الذي شنته كل جوارحي وأحاسيسي علي .. أصبحت الأمور أفضل بكثير مما كانت عليه .

نعم .. من الجيد أن تحكم عقلك في أمور تختص بمشكلات تشعر أنها لا حل لها .. فالعقل دائماً يميل إلى الاتزان .. وعندما نتجاهل وجوده ولا نستعين به نصاب بخلل أكيد .. وذلك يعني الجنون .

لكنني ما زلت بعقلي .. ثم إن ما حدث بالأمس هو أكبر دليل أنني ما زلت في كامل قواي العقلية .. نعم .. فبرغم أنني كنت أشبه المجنونة التي لا تمتلك عقلاً نهائياً .. لكن ذلك يثبت أنني ما زلت أتمتع بكامل عشقي وحنيني لزوجي بل وأكثر من ذلك .. إنني تذكرت أن الهدف الرئيسي من الزواج هو تكوين أسرة سعيدة وإنجاب أبناء محافظين نوليهم بالرعاية الكاملة حتى يكملوا المسيرة من بعدنا.

يا له من جنون واعتداء بين على نفسي هذا الذي فعلته بالأمس! أين قوتي ومقدرتي على التحمل والعناء؟ أين الصبر الذي تعاهدت مع زوجي عليه؟ أين قوة عزيمتي؟ نعم .. كان يجب أن يسافر ويعمل ويكد من أجل أن نكون تلك الأسرة التي نحلم بها .. نعم .. كان لا بد ألا نستسلم إلى تلك العقبات التي واجهتنا في بداية حياتنا .. لن نجلس لكي نبكي على اللبن المسكوب .. وكيف لنا أن نستسلم ونحن ما زلنا قادرين على العطاء والاستمرار .. تلك هي الحقيقة التي يجب أن نؤمن بها .. يجب أن نكمل مسيرتنا ونخطط لحياتنا ونتحدى كل الصعوبات التي تواجهنا .. حتى نتمكن من بناء جيل قوي يستطيع أن يتحمل ويتحدى كل المعوقات التي تواجهه في المستقبل ..

أرشدني عقلي إلى معنى المسؤولية التي كنت على وشك نسيانها .. أرشدني إلى الحقيقة التي يجب أن نسلم بها جميعاً .. وما كان علي إلا أن أبتسم وأنا أخذ نفساً عميقاً أمام مرآتي في الصباح قبل أن أذهب إلى عملي .. ربما ذلك الحوار الهادئ الذي جرى بيني وبين عقلي كان مفيداً للغاية في تغيير ملامح وجهي الغاضبة مما حدث بالأمس .. أجهل ما في الأمر أنني لم أستيقظ على رنين

هاتفني .. وكيف لأحد أن يتصل بي غير زوجي فهو الوحيد الآن الذي يعلم رقم هاتفني الجديد .. وعندما ذهبت إلى العمل قابلني زملائي بلهفة شديدة .. في بداية الأمر كنت أجهل سرها .. لكنني علمت أن ذلك كله يعود إلى أنهم حاولوا الاتصال بي بالأمس وفي الصباح لكنهم فشلوا أن يصلوا لي ..

- إيه يا ميران في إيه؟

- إيه في آيه .؟

- إنتي قافلة تليفونك ليه؟

- تليفوني !! .. آه .. يعني .

- المهم إنتي بخير .

- آه الحمد لله .. أنا كويسة وبخير .. يلا نفطر بقى .

كان يجب أن أأخذ ذلك الموقف أمام الجميع حتى لا يعلموا أنني قمت بتغيير رقم هاتفني .. لكنني بعد أن تناولت الفطور أخذت صديقتي هاجر إلى مكتبي وأخبرتها أنني قمت بتغيير رقم هاتفني .. وأعطيتها الرقم الجديد وأنا أخبرها أنها الآن الوحيدة في البلد التي تعلم رقم هاتفني الجديد .. ودون أن أتوقع منها رد فعلها وجدتها تأخذني بين ذراعيها وتقبلني وهي تخبرني بأني أوفى صديقة لها .. إننا فعلاً كذلك .. فهي دائماً ما تكون عوني ورفيقتي منذ أن التقينا في ذلك المكان .. وقبل أن تغادر مكتبي إلى مكتبها أخبرتني أنها ستعزمني على الغداء اليوم بعد انتهاء العمل في المكان الذي أحده أنا .. وتركت لي حرية الاختيار .

شعور جميل أن تجد من يحب صداقتك إلى هذه الدرجة .. حقاً الصداقة

كنز لا يفنى .. أنهينا عملنا وتوجهنا إلى أحد المطاعم الشهيرة لكي نتناول غداءنا .. في الطريق تسامرنا .. كانت تريد أن تعلم سر تغيير رقم هاتفي .. هي المرة الأولى التي أخفي عليها شيئاً .. أخبرتها أنني أعاني من حالة ما لا أعلم مصدرها .. لكنني رأيت أن أفعل هذا مثل أشياء أخرى قمت بتغييرها وأخبرتها بما فعلته في أثاث منزلي .

أدركت كم الوحدة التي أعاني منها .. أخذت تحاول أن تخفف علي الأمر .. دون فائدة .. هل حقاً فهمت معنى الأمر جيداً الآن .. خصوصاً بعد أن قصصت عليها ما كنت أفكر فيه بالأمس .. ومدى ما كان لدي من رغبة جامحة في أن أكون أماً ولو لطفل وحيد .. لكنني داعتها بأني عندما يعود زوجي سوف أستقيل من وظيفتي وأكرس كل وقتي للإنجاب .. سأنجب أطفالاً كثيرين بلا عدد .. كان الأمر بالطبع يدعو إلى السخرية .. كنا نضحك من أعماق قلوبنا .. نعم إنها بالفعل مأساة حقيقية تلك التي نعيش فيها .. فهي أيضاً .. تزوجت من رجل لا تحبه .. ولم يستمر ذلك الزواج كثيراً ثم انفصلا .. مرت بظروف نفسية صعبة للغاية .. فهي لم تحلم يوماً أن تكون مطلقة .. وهي تدري نظرة الجميع إلى هذا النوع من النساء .. أخبرتني أثناء حديثنا أنها أيضاً كثيراً ما تجلس بمفردها وتفكر في هذا الأمر .. وأبلغتني أنني أفضل منها وعللت ذلك أن زوجي سوف يعود يوماً ما ليحقق لي كل ما أنا أتمناه .. لكن هي تعيش بدون أمل .. خصوصاً أنها فقدت الثقة في كل الرجال .. عندها أدركت أن حديثي جرحها .. وكان ذلك أثناء تناولنا الطعام .. وجب علي أن أغير الموضوع .. طرحت عليها فكرة أن نذهب

إلى السينما بعد أن ننتهي من تناول الطعام .. لكنها رفضت .. فاقترحت أن نذهب إلى احتساء القهوة في إحدى الكافيهات القريبة من المطعم .. وبالفعل طاوعتني في اقتراحي .. حاولت أن أتحدث معها عن الغد والأمل .. لكنني كنت أدرك أنها محاولات فاشلة .. فما أصابها من جراء زواجها الذي لم يستمر كثيراً ترك بداخلها أثراً بالغاً لا تقوى الكلمات على إزالته .. إنها في حاجة إلى معجزة .. إنها في حاجة إلى حب يملأ قلبها ويعوضها عما فاتها ..

صديقتي العزيزة الوقورة .. وجب أن أعذر إليك عن ذلك الضرر النفسي الذي وقع عليك من جراء حديثي عن الأسرة والحب والإنجاب وكل ذلك .. كان يجب أن أراعي شعورك وأنتقي كلماتي .. لكنني أيضاً أرفض تلك العزلة التي تعيشين فيها .. يجب يا صديقتي أن تحرّجي بقلبك إلى النور .. فأنت ما زلتِ في ريعان شبابك .. وبحاجة شديدة أن تترك قلبك لينبض ويشعر أنه ما زال على قيد الحياة .. افتحي صفحة جديدة للحياة فما زال في العمر بقية .. وما دام بداخلك نبض لا تيأسي ..

ولك أيضاً مني شكر واجب .. فحزنك اليوم ألهمني حباً فوق حبي إلى زوجي .. فلك مني خالص الحب وأعدك أنني لن أتركك تغرقين في بحر أحزانك .. أحبك كثيراً .. لكن ليس أكثر من زوجي .

والآن يجب أن أخلد إلى نومي .. فمن الغد سوف أبدأ رحلة صعبة للغاية من أجل الخروج بـ«هاجر» مما هي فيه .

أصبح على حب وسعادة وإشراق .

اليوم الثلاثون

ما أجهل أن تشعر أنك على قيد الحياة! تحب .. تعشق .. تشتاق .. تنهار من الفراق .. تنادي على من تحب لكي يعود .. تنتظر لقاء محبوب .. تسبح بخيالك بهيام فيمن تحب .. تعيش من أجله ويعيش من أجلك .. هذا حقاً أجهل ما في الحياة.

وأجهل ما في هذه الحياة بالنسبة لي هو زوجي .. نعم .. زوجي .. إنه رجل عظيم .. لا يوجد له شبيه في تلك الحياة .. فعندما أشعر أنني بحاجة إلى صديق صادق أجده يهاتفني دون أن أطلب منه ذلك .. حتى في أيام الغربة يشعر بي وبما يدور في مخيلتي .

كعاداته في أول ساعات الصباح هاتفني .. لم أذكر فقط لماذا يحادثني في ذلك الوقت تحديداً رغم أنه وقت ذو طابع خاص له .. إنه يحادثني قبل صلاة الفجر بقليل ثم بعد ذلك يقوم للصلاة .. يا له من إنسان رائع! لم يمنعه نومه ولا حبه ولا عمله ولا أي شيء آخر عن أداء فرائضه وواجباته تجاه ربه .. إنه حقاً نعم الزوج الصالح!

في مكالمته الهاتفية لي اليوم رأيته بشكل مختلف تماماً عن سابق عهده ..

والسبب بسيط للغاية .. إنني أحدثه تلك المرة وأنا بداخلي راحة نفسية شديدة .. بل وأدرك كم المعاناة التي يعانيتها من أجلي .. كان صوته عذبا صادقا كالعادة ..

- صباح الخير يا حبيتي .
- صباح النور يا حبيبي .
- أخبرك إيه؟
- بخير طول ما أنا بسمع صوتك .
- ياااه .. إيه الرضا ده علي الصبح .
- ودي حاجة وحشة ولا حاجة حلوة بقي؟
- لا إثبتي على كده .. ربنا يجعلك دايماً كده راضية عني .
- ربنا ما يحرمني منك يا حبيبي ويقربك ليا وأشوفك جوه عينيه على طول أغلى وأجمل وأعظم حاجة في الدنيا دي بحالها .
- الله أكبر .. خلي بالك لاحسن نتحسد على الصبح .
- ربنا يبعد عنا كل شر .
- آمين .. قولي لي .. عاملة إيه في حياتك .. عايشة إزاي من غيري .
- هو أولاً أنا عمري ما بعيش من غيرك لأنك معايا في كل لحظة بقلبك وبروحك وبنفسك الي بعشقه .. ولما الحاجات دي كلها بتفارقني ما باكونش عايشة .
- لا إحنا كده هنتحسد بجد .. طيب أخبار إخوانك إيه؟
- إلى هنا انتهت كل لحظات الحنين والغرام في المحادثة .. شعرت أنني

أصابني الخرس .. لم أعرف ما هي الإجابة التي يجب أن أجيبها على هذا السؤال .. تملصت بالطبع من الإجابة لأنني في واقع الأمر لم أحادث أياً منهم منذ شهر تقريباً .. وذلك يرجع إلى أسباب كثيرة .. منها سفر أخي الصغير إلى إحدى الدول الأوروبية .. واستقرار أختي مع زوجها في إحدى المناطق الساحلية .. كل منا يعيش حياته بالشكل الذي يرغبه .

لكنني أعترف أنني المقصرة الوحيدة في حقوق هؤلاء بحكم أنني الأخت الكبرى لهم .. أنا التي يجب أن أسأل عنهم .. ولماذا لم أفعل؟ لماذا أقصر في حقهم؟ لماذا لا أقوم بدوري وواجباتي تجاههم؟

أنا من فرض العزلة على نفسه وحكم بالسجن على نفسه طوال الفترة الماضية .. والجريمة الوحيدة هي تلك الهواجس التي كنت أتبعها .. ثم ماذا يفعلان هما الآن عندما يحاول أي منهما أن يتصل بي؟ بكل تأكيد لم يصل إليه بعد أنني قمت بتغيير رقم هاتفي .. كيف لي أن أنساهما إلى هذه الدرجة؟! كيف لي ألا أفكر بهما طوال تلك الفترة؟! كيف سيكون موقعي لو كان أحدهما حاول الاتصال بي ولم يجديني؟!

أنا مخطئة في حق الكثيرين .. وأول من أخطأت في حقه هو أنا .. الأمر الآن أصبح أكثر صعوبة مما مضى .. يجب أن أعيد ترتيب أوراقي قبل أن يقتلني التفكير .. يجب أن أتواصل مع الجميع وأخرج من تلك العزلة التي فرضتها على نفسي وكأني راهبة .

لولا ذلك الرجل العظيم ما كنت لأستيقظ من هذا الوهم .. لولاه ما كنت أدركت حجم العزلة التي أعيشها منذ فترة .. ولولاه أيضاً ما

كانت هذه العزلة وهذا العذاب .. إنه أمر محير للغاية .. من هو الجاني الآن ومن هو المجني عليه؟ هل عقلي وتفكيري أم جوارحي وأحاسيسي .. أم زوجي الذي قادني إلى ذلك كله؟ الأمر الآن يزداد تعقيداً .. كيف لي أن أتهم زوجي وهو الذي يذكرني بالسؤال عنهما؟! كيف لي أن أستمري في تلك العزلة إلى هذا الحد؟! لماذا قطعت كل وسائل الاتصال بالآخرين؟ وكيف لي أن أنسى دمي ولحمي؟! وكيف لي أن أعيش طوال هذه المدة دون اللجوء إليهم لسد حاجتي بالنيس والرفيق؟!

نعم .. إن احتياجي إلى زوجي لا يعوضه أي شيء آخر مهما كان مدي قربه لي .. لكن هناك أيضاً أناس آخرون ربما يقومون ولو بجزء قليل بهذا الدور .. أعلم جيداً أنه من الصعب تعويض غياب حبيب تخلص في حبك له .. لكن ربما الاختلاط وسط الآخرين يعوضك بعض الشيء أو على الأقل يقلل من حدة الشعور بالعزلة وعذاب الوحدة .

زوجي العزيز .. الصديق الحبيب .. يا من تمتلك الروح والقلب والفؤاد .. لا يجب أن أنقل إليك تحياتي على واجبك .. لكن أنقل إليك اعترازي وتقديري .. أنقل إليك شوقي وشغفي إليك .. أنقل إليك لهفتي لرؤياك وحاجتي لاستنشاق هواك .

أعتذر عن عزلتي في بعدك .. وقلة حيلتي وعدم إدراك مسئوليتي وأنا وحيدة .. أعترف أنني أمضيت وقتاً طويلاً في توجيه التعنيف إليك وإلى نفسي أيضاً بسبب الفراق والهجر .. لكنني أقسم لك بحق الله أنني لم أقدم على تعنيفك أو تعنيف نفسي إلا من أجل إرضاء جوارحي التي تحتاج

إليك لدرجة جعلتها تقسو وتطغى على كل جوانب العقل بداخلي ..
 أعذر ولك الحق في أي توبيخ قد توجهه إلي .. لكنني أعلم أنك أكبر
 وأطيب من أن توجه لي التوبيخ والتعنيف .. أعلم أنك أعقل بكثير مني
 .. دعني أعترف لك أنني أنثى متهورة .. متسرفة .. مشتتة .. دعني
 أعترف بخيبة الأمل التي أشعر بها .. إنها في الحقيقة خزي .. نعم إني
 أخجل من نفسي بعد مكالمتك لي اليوم .. شعرت أنك تهينني بذوقك
 وسمو أخلاقك الرفيعة ..

ما هذا الذي أكتبه الآن .. إنها كلمات غير منطقية وغير مقبولة بالمرة ..
 يجب أن أراجع عنها .. لا .. إنها الحقيقة .. إني مقصرة في حق الجميع ..
 ويجب أن أعترف بذلك .. يجب أن أكون على قدر كافٍ من الشجاعة
 وأن أعترف أنني لست على صواب .. بل كنت على خطأ .. ولن أحاول
 إخفاءه مرة أخرى .. يجب أن أعترف أن زوجي أرشدني إلى الصواب
 وعلي أن أعمل به ..

منذ تلك اللحظة .. أتعهد بأنني سألقي بتلك العزلة التي عزلت نفسي بها
 عن الجميع .. سأضرب بها عرض الحائط .. سأعود إلى سابق عهدي ..
 ودودة .. أصل الأرحام .. أساعد الجميع وأسأل عن الجميع .. يجب أن
 أكون تلك المرأة .. لقد مللت شعور الوحدة والعزلة والعذاب .. السجن
 الذي وضعت نفسي بين أركانها .. سأعمل على إيجاد نفسي من جديد ..
 سأعود إلى أصدقائي وأحبابي .. وأول ما سأهتم به هي أختي الصغيرة
 .. يجب أن أعود وأتقرب إليها .. وكذلك أخي .. يجب أن أطمئن عليه

وأعرف أخباره وأحادثه .. وهاجر يجب أن أساندها حتى تخرج من تلك
الحالة الحزينة وذلك السجن الذى تضع نفسها فيه هي الأخرى ..
في النهاية وقبل أن أخلد إلى نومي يجب أن أذكر شيئاً هاماً للغاية .
أحمد الله على نعمة هذا الزوج العزيز الغالي .
أصبح على خير .

اليوم الواحد والثلاثون

ربما تعيش فترة كبيرة على خطأ .. لكن عندما تدرك الصواب عليك أن تفعله دون تردد.

وأول خطوات الصواب أن تعترف بخطئك دون مجادلة .. ولا وضع أعذار واهية وغير مقنعة .. بل يجب أن تمتلك الشجاعة للاعتراف بأخطائنا. بالأمس أدركت حجم خطئي وضالة حجمي وعقم تفكيري وسذاجتي .. قدرتي الحقيقي ظهر عندما سألني زوجي عن إخوتي .. الذين هم أسرتي الأساسية ..

لقد لفت انتباهي إلى شيء هام للغاية .. أنني فاشلة .. نعم فاشلة ودون أي علامات تعجب أو دهشة .. وكيف لي أن أحلم بأسرة صغيرة وأسرتي الأساسية لم أهتم بها ولا أسأل عنها طوال هذا الوقت؟! كيف لي أن أصبح أمّاً مثالية وأنا أخت كبيرة ومن المفترض أن أكون قدوة لباقي إخوتي وأجلس طوال هذه المدة ولم أتطرق في السؤال عنهم؟! وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على فشل واضح واستهتار ليس له مثيل .

هذا ملخص مكالمة زوجي لي بالأمس .. وإن لم أعترف بذلك سوف أزيد

الأمر سوءاً .. وتكبر المشكلة وتتعدد .. وأنا الآن في غنى عن كل هذا ..
لذلك يجب أن أعيد ترتيب أفكاري التي على ما يبدو أنها متناثرة في كل
أركان المكان الذي أعيش فيه ..

إن ذلك السجن الإجباري الذي فرضته على نفسي جعل مني إنسانة بلا
أي قيمة .. ماذا أصنع في تلك الحياة .. أخذت شهراً كاملاً أبحث عن
مجهول جاءني يهمس يوم عيد الميلاد بكلمة من المفترض ألا أسمعها منه
من الأساس ولا أهتم بها نهائياً .. أين كرامتي كامراً متزوجة؟ كيف لي أن
أفكر في هذا الأمر؟ وما هو رد فعل زوجي عندما يعرف ما أنا كنت عليه؟
كنت ألومه على بعده وهجره وفراقه .. ونسيت أنني السبب في كل ذلك
.. أنا من دفعه إلى السفر .. أنا من تعاهد معه على النضال من أجل حياة
كريمة لأبنائنا .. أنا من حلمت بكل شيء وهو ما كان عليه إلا أن يحقق
تلك الأحلام ..

كم أنا امرأة ظالمة لا ترى ولا تحب إلا نفسها فقط!
لكنني الآن بدأت أخطو خطواتي الصحيحة .. فمنذ أن استيقظت من
نومي إلا وبدأت في إعادة بناء ما تم هدمه عن جهل في الأيام السابقة ..
فالיום إجازة رسمية من العمل .. بعد أن أخذت حمامي .. أمسكت بالهاتف
وتحدثت إلى هاجر .

- ألووو .

- ألووو .. صباح الخير يا ميران .

- صباح النور يا حبيبتني .. بقولك إيه .

- إيه؟! -
- فطرتي ولا لسه؟ -
- لا .. لسه بحضر الفطار أهو .
- طيب اعملي حسابي معاكي .. هاجي لك نفطر مع بعض وبعدين هانخرج .
- نخرج؟ .. هانروح فين؟ -
- لا .. نروح فين دي بتاعتي أنا .
- وما كان عليها إلا أن تتمثل إلى رغبتى .. وبالفعل ارتديت ملابسى وتوجهت إليها .. هي تسكن في إحدى المناطق الشعبية مع باقي أفراد أسرتها المكونة من أب وأم وثلاثة إخوة غيرها .. منذ أن طلقت وهي تسعى لكي تهرب من تلك الحالة النفسية السيئة التي لحقت بها بواسطة الانهماك في العمل .. بهدف أن تساعد أسرتها .. ولقد عقدت العزم على مساعدتها منذ أول أمس وبعد مكالمة زوجي لي زاد حماسي تجاه ذلك القرار .. سوف أبذل قصارى جهدي لأجعلها تنظر إلى الحياة بنظرة جديدة ومختلفة تماماً عن تلك التي هي عليها الآن .. في الطريق هاتفت أختي الصغيرة رويدة التي سبق وأن ذكرت أنها تعيش في إحدى المناطق الساحلية .. شعرت من نبرة صوتها بسعادة بالغة من جراء تلك المكالمة .. ووجب علي الاعتذار لها عما مضى .
- ألووو .
- أيوه مين؟ -
- أنا ميران يا رويدة .

- ميران .. إزيك عامله إيه؟ واحشاني .
 - وإنتي كمان يا حببتي .. طمني عليكي .
 - أنا بخير والحمد لله إنتي عاملة إيه؟
 - أنا الحمد لله بخير .. ومبسوطة أوي إني بسمع صوتك دلوقت .
 - مش أكثر مني يا حببتي .. وبعدين أنا زعلانة منك يا ميران .. بقى أهون عليكي ما تسألش علي الفترة دي كلها؟!
 - معلهش .. حقك علي ..
 - مش هتنفع حقك علي في التليفون .. إنتي لازم تبجي لي لحد عندي وتخديني في حضنك اللي وحشني أوي .
 - حاضر يا ستي .. آخر الأسبوع هتلاقيني عندك وهاخدك في حضني لإنك وحشاني أوي يا حببتي .
- كانت هذه المكالمات لها أثر شديد في نفسي .. لديها كل الحق في ذلك العتاب التي قابلتني به .. لكن ما أجمل أن تشعر بأن هناك من يشاق إلى رؤيتك لهذه الدرجة! اطمأنت منها على حال زوجها .. وعلمت أنها أقاما مشروعاً سياحياً في تلك المدينة التي يعيشون فيها الآن .. وأنها تدير معه ذلك المشروع الذي يدر لهما مكسباً جيداً إلى حد ما ، حسب وصفها ..
- شيء جيد عندما تغيب عمن تحب وتعود لتجده بانتظارك .. ليس ذلك فحسب .. بل الأكثر بهجة وسروراً أن تجد من تغيب عنه فترة وتعود إليه قد أخذ خطوة في حياته العملية وينجح في تحقيق أحلامه .
- كنت قد قاربت على الوصول لمنزل هاجر .. استوقفت التاكسي على أول

ناصية الشارع الذي تسكن فيه ونزلت وهاتفتها لكي تكون على استعداد لاستقبالي .. وبالفعل خرجت لكي تستقبلني .. وبعدها توجهنا إلى داخل المنزل .. صافحت أسرتها التي أعرفها جيداً وتعرفني أيضاً جيداً وذلك يعود لزيارتي لهم فيما مضى أكثر من مرة .. عاتبتي الأم على انقطاعي عنهم طوال المدة السابقة .. وبررت ذلك بظروف خارجة عن إرادتي .. تقبلوا ذلك وتناولنا الطعام .. ثم طلبت من هاجر أن ترتدي ملابسها سريعاً حتى نخرج لكي ننزهه في أي مكان .. في الحقيقة لم أكن حددت وجهتنا بعد .. لكن كان كل ما أرغب فيه هو أن نخرج في نزهة طوال اليوم .. وبالفعل انتهت هاجر من ارتداء ملابسها وودعنا الجميع وخرجنا من المنزل .. وأثناء خروجنا سألتني هاجر عن قبلتنا .. فقلت لها لا أعلم .. لكننا سوف نسير إلى حيث تسوقنا أقدامنا .. وما كان أمامها إلا أن ضحكت ساخرة ووصفتني بالجنون .. هزرت رأسي وأنا أؤكد لها صدق قولها .. ثم سرنا وتجولنا في معظم الشوارع التجارية الموجودة في وسط البلد .. رأينا كل ما هو جديد .. اشترينا بعض الأشياء التي نالت إعجابنا .. ثم توجهنا إلى أحد المطاعم الشهيرة وتناولنا الغداء .. وبعدها توجهنا إلى دار السينما .. لم أخطط لكل هذا لكنه جاء بعفوية شديدة .. وكأننا تركنا أرواحنا تفعل ما تريده .. وهو بالفعل ما حدث .. إلى أن انتهى اليوم وعاد كل منا إلى منزله وبدأخلة كم كبير من السعادة التي تعبر عن قضاء يوم دون هموم أو أوجاع .. ربما كنا في حاجة شديدة إلى هذا اليوم ..

والآن يجب أن أخلد إلى النوم فأصبح في الغد .. هو يوم جديد للعمل.

اليوم الثاني والثلاثون

من الجيد أن تترك كل أوجاعك وتأخذ قسطاً من البهجة والسرور غير المرتب وغير المنظم .. ومن الجيد أيضاً أن تدخل تلك البهجة على قلب شخص آخر في أشد الحاجة إليها ..

وأجمل ما في الأمر أن تتخلى عن تلك العزلة وتخرج من ذلك السجن الذي صنعته من لنفسك ويديك أنت .. أنتعجب من أناس يتقمصون كل الأدوار في آن واحد .. الجاني .. والمجني عليه .. والقاضي .. والسجان . ما كل هذا الذي نحن نعيش فيه .. الدنيا أجمل بكثير من كل هذا العذاب .. وللحب أنواع كثيرة .. فلماذا نبحت عن نوع واحد فقط ؟ لماذا نحجر على باقي الأنواع ونتجاهلها ؟ لماذا نضع أنفسنا تحت طائلة عذاب الضمير .. ونتهم الآخرين بالتقصير بل ومن أول المقصرين ؟

يبدو أنني أكتب حكماً اليوم .. وذاك أيضاً جيد للغاية .. فالحكمة أساسها العقل .. وعلى ما يبدو فإنني قد رجعت إلى عقلي واسترددت صوابي .. لكن كل ما أخشاه أن أشعر بأني حكيمة وأعلم كل شيء .. فهناك أمور كثيرة أجهلها .. ويكفي أنني كنت في قمة جهلي عندما عزلت

نفسي عن كل من يحبونني وجلست وحيدة في تلك الغرفة أنتظر المجهول .. أفكر فيمن لا يستحق التفكير .. أناجي حبيبي وأعنفه وأوبخه من أجل أن يهتم بمشاعري وأحاسيسي .. إنني حقاً كنت في قمة جهلي .. عقلي كان غائباً عني .. كان متعطلاً لا يعمل نهائياً ..

جميل هذا التوبيخ الذي أوبخه لنفسي .. لا ينقصني إلا أن أصفع نفسي بشدة عقاباً على ما سبق .. يبدو أنني بالفعل على أعتاب الجنون .. أضحك الآن من تلك الكلمات الساخرة التي أوجهها إلى نفسي .. لكن .. لا مشكلة إذن طالما أنا الآن أشعر بالبهجة والسرور .. أشعر أنني أعود للحياة بعد أن كنت فاقدة الوعي والإدراك .. ويعود ذلك كله إلى زوجي الحبيب .. فلولا ما كنت أنا الآن أفكر بهذا الأسلوب العقلاني والمنطقي ..

من الجيد أن تلتزم الهدوء وأنت تفكر حتى تصل إلى النتائج الصحيحة في الوقت المناسب .. وذلك أبسط الطرق للوصول إلى ما تسعى إليه .. فلا حقيقة ولا نتائج وسط التخبط والضوضاء .. يا سلام على هذه الحكمة التي أنظمها الآن .. لا .. يجب أن يقرأ الجميع تلك السطور عله يعلم قدر ما أنا فيه الآن من عقلانية .. ربما أنشر بعض تلك الكلمات عبر حسابي الخاص على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك ..

وبمناسبة فيس بوك .. اليوم بعد أن انتهيت من عملي رجعت إلى المنزل وتناولت طعامي كالعادة .. ثم أرسلت رسالة قصيرة إلى أخي شريف على هاتفه الدولي .. حتى نتواصل مع بعضنا البعض عبر موقع التواصل

الاجتماعي فيس بوك .. وقمت بفتح جهاز الحاسب الآلي (اللاب توب) ودخلت على شبكة الإنترنت .. وفتحت الحساب وجلست أتصفح كل ما هو موجود عبر الصفحة الرئيسية .. لا جديد .. الأمر كله متعلق بالسخرية على الأحداث الجارية .. كنت أتابع وأقرأ فقط من أجل إهدار الوقت لحين تواجد شريف على الشبكة .. وبالفعل بعد مضي ما يقرب من نصف الساعة تواصلنا .. اطمأنت عليه .. فهو الصغير الذي هاجر إلى الخارج بعد أن حصل على شهادة تعليمه العالي من إحدى جامعاتنا .. ذهب لكي يطلع على كل ما هو جديد حسب رغبته التي نقلها لي قبل سفره .. يبدو أننا أسرة تعشق السفر .. زوجي وأخي وأختي .. حتى أنا أسافر بخيالي كل ليلة إلى حيث الأحباب .. المهم .. أخبرني أخي أنه يعيش حياة مستقرة هناك ويعمل في واحدة من أكبر شركات الإلكترونيات والتكنولوجيا هناك .. وبالرغم من أنني أعلم ذلك منذ البداية لكنه كانت لديه رغبة بأن يخبرني بذلك .. لا أعلم لماذا .. قلت له مداعبة : إنني عندما كنت على قيد الحياة وسافرت أنت إلى تلك الدولة التي أنت فيها الآن كنت أعلم أنك سوف تعمل في تلك الشركة .. وعلى ما أتذكر أن زوجي هو من ساعدك في الحصول على تلك الوظيفة .. فلماذا تصر على أني أجهل كل ذلك .. لكنه زاد في مداعبتي قائلاً: إن ما أخبرني به كان من باب التذكرة ليس أكثر .. فنحن منذ مدة لم نتحدث وكأننا كنا مسافرين .. في تلك اللحظة امتلكتني الدهشة مما يقوله .. على أي أساس قال هذا الكلام .. أخي يبدو أنه تعرض لعزلة أكبر مني وحن جنونه دون

شك .. فهو بالفعل مسافر خارج البلاد .. وهذا ما أردت أن أوضحه له .. وما إن قلت له ذلك إلا وانفجر في نوبة ضحك هستيرية كاد عقلي يوقن أن أخي بالفعل قد أصابه مكروه في عقله .. فهو من يومه طائش .. لكنه قال لي إنه يداعبني .. وبرر كل ما سبق بأنه كان يحاول أن يسترجع بينه وبين نفسه ذكريات الماضي وبدأ يذكرني ويأخذني معه إلى ما هو يفكر به .. عندما كان صغيراً كان يتبع نفس الأسلوب في الحديث الذي يجعلك لا تفهم أي شيء نهائياً .. ليس ذلك فحسب .. بل يجعلك تظن أنك في قمة غبائك .. وراح يسرد لي بعض المواقف التي جمعتنا سوياً .. وأخذني إلى عالمه وأدخلني عبر شبكة الإنترنت إلى آلة الزمن لكي نستعيد أيام طفولتنا ..

ياااه .. كيف لذاكرته أن تحتفظ بتلك الذكريات التي مضى عليها سنوات وسنوات لدرجة جعلتني أشعر بالفعل أنني كنت مسافرة وأجهل كل ما يتحدث عنه .. ياااه .. ما أجهل أن تجد من يحتفظ لك بذكرياتك القديمة! وما أجهل أن تتواصل مع من تحب!

أخذنا وقتاً ليس بالقليل نقلب في صفحات الماضي والذكريات الجميلة التي جمعتنا .. ثم أعادني إلى الحاضر وهو يخبرني بأنه كاد يتصل بي اليوم أو الغد على الأكثر .. لكنني أنا من عجل بالاتصال .. أصابتنني الدهشة .. وأنا أسأله عن سر ذلك الاتصال فمنذ أن سافر وهو لم يتصل بي إلا عندما يكون في المطار لأستقبله .. وهو لم يمكث كثيراً .. ربما شهران على الأكثر .. لكنه أخبرني بشيء آخر لم أكن أتوقعه في تلك الفترة نهائياً .. إنه ينوي

الزواج .. خبر مبهج صحيح .. وأخبرني بكافة التفاصيل .. إنه سوف يتزوج من فتاة أصولها أوروبية واعتنقت الإسلام على يديه .. وسوف يعقد قرانه عليها في السفارة .. آخر الشهر .. ويطلب مني الحضور .. فرحت كثيراً بهذا الخبر الذي أذاعه علي عبر الإنترنت .. وباركته .. ووعدته بالحضور حتى لو كان في آخر الدنيا .. وانتهت محادثتنا على وعد بالتحدث قريباً وفي أقرب فرصة قادمة .

لا أعلم كيف أصف شعوري الآن بعد هذا الخبر المبهج حقاً .. إنها من أسعد لحظات حياتي .. لكن يجب أن أخلد إلى النوم الآن .

اليوم الثالث والثلاثون

لا يوجد ثمن للسعادة .. فلا تغامر من أجلها .. إنها قادمة لا محالة .. كل ما عليك هو أن تنتظر ولا تدع الأمل يذهب بعيداً عن خاطرك . وما قيمة الحياة بلا أمل ؟ لماذا نحيا إذن طالما نحن مستسلمون لليأس والإحباط ؟ ما فائدة الأمل طالما أغلقنا أعيننا عن كل ما هو جميل ومحيط بنا ؟ لماذا ننظر إلى الحياة من اتجاه واحد فقط ومظلم دائماً ؟ هناك الكثير والكثير من الاتجاهات المختلفة التي تشع بالنور لكننا لا نبصر إلا ما يحزن ويخزي القلوب .

بالأمس أدركت قيمة الحياة الحقيقية .. الحياة التي لا تقف على جانب واحد فقط .. أدركت المعنى الحقيقي لكلمة الحب .. ذلك الشعور الجميل الذي لا يجب أن يذهب عنا نهائياً .. فلا بد أن نعيش من أجله إلى أن نفارق الحياة .. أدركت بالأمس أن الحب لا يقتصر على حب رجل أو زوج أو عشيق وحسب .. بل هناك أشكال عديدة للحب .. حب الصديق حب الأخ .. الأخت .. العائلة .. الحياة .. أدركت أنني أكون بلا قيمة من دون هؤلاء .. أدركت أيضاً أن هؤلاء دائماً في انتظاري لكي

يفرغوا ما بداخلهم من حب في قلبي لكي تمتلئ حياتي بالسعادة .. لذلك قلت إن السعادة لا يوجد لها ثمن .. السعادة هي راحة بال .. طيب خاطر .. ذهن صافٍ .. لا تشغل بما لا يستحق أن تشغل به .. لا تبحث عن سراب وهناك حقائق ملموسة تستوجب منك البحث عنها ..

كانت سعادي لا توصف بذلك اليوم الذي قضيته مع صديقتي هاجر .. ما أجمل تلك الابتسامة الصافية التي كانت تكسو وجهها ونحن نتسامر .. أو أثناء مشاهدتها للفيلم الذي كان يعرض بداخل السينما .. شعرت كم كانت في حاجة إلى تلك الضحكة التي كانت تضحكها بالأمس .. وكأنها لم تضحك من أعماق قلبها منذ ما يقرب من قرن مضى .. كانت تلك الابتسامة وهذه الضحكة التي رسمت على شفتيها وملأت ملامحها هي سر سعادي .. والتي اكتملت في المساء عندما حدثني أخي شريف وأخبرني بما هو قادم من أجله .. وعلى ما أظن أنه لا يوجد ابن آدم على وجه الأرض بأكملها ينام وهو سعيد ثم يستيقظ لكي يحزن إلا إذا كان معتوهاً أو فاقد العقل .

وكل ما حدث بالأمس طغى على مجريات الأحداث اليوم .. فعندما توجهت إلى عملي في الصباح رأيت هاجر أخرى .. غير التي أعرفها تماماً .. لدرجة جعلتني أدقق النظر فيها حتى يطمئن قلبي أنها هي .. نعم .. هي هاجر لكنها إنسانة أخرى تماماً غير التي عرفتها بداخل هذا المكان منذ ما يقرب من أربع سنوات .. طوال هذه المدة لم أرها ترتدي أجمل مما ترتدي اليوم .. لم أرها تهتم بمظهرها بقدر ما هي عليه الآن .. لم أرها

بشوشة إلى هذا الحد .. وكأنها خلعت قناع الحزن و ثياب الهم وأشعلت بهم النار وارتدت ثياب الأمل والفرح .. لم أشعر يوماً بكم هذا الحب الذي تكنه لي وهي تحتضنني وتقبلني كعادتها في الصباح مثل هذا اليوم .. نعم .. أنا في قمة ذهولي .. ولم أخف ذلك عندما سألتني:

– اِيه يا ميران مالڪ؟ بٽبٽي لي ڪڍه ليه؟

- هالالا...!!

- مالک متنحه کده ليه؟

- هو إنتی إنتی .. ولا ده سیلیکون ولا إیه؟

- إيه الكلام الغريب اللي إنتي بتقوليه ده يا ميران بس على الصبح؟

- إنتی الی ایہ النیولوک الجمیل أوی الی إنتی فیہ ده؟

- بعد .. عجبك؟

- يا بنتى أنا ما عرفتكيش غير من ريحة برفانك .

- اِشْمَعْنِي يَعْني؟

- علشان هي دي الحاجة الوحيدة الى نسييتي تغيرها .. بس مش مشكلة

أهي أى حاجة من رحتك القديمة علشان نعرف نستدل على أثرك .

- إيه .. إنتی بتقولى إيه یا میران؟!

في حقيقة الأمر لم أكن أدري إن كنت أدعبها .. أم كان حديثي كله من منطلق الذهول وعدم تصديقي لما تشاهده عيناى .. ثم أدركت الأمر وتوجهت إليها بالسؤال مباشرة:

- لما إنتى حلوة أوي كده يا بنت يا هاجر بتخبى الحلاوة دي وراوش

البومة الي إنتي كنتي بتلبسيه ليه؟

كان سؤالي غاية في الإحراج بالنسبة لها .. وراحت تسوق تلك المبررات الغبية التي لا أوّمن بها نهائياً .. بررت وجه القبح التي كانت ترتديه بأنها مطلقة ونخشى نظرات الناس إليها .. وما إن سمعت تلك الكلمات إلا ووبختها على ما قالته .. كيف لها أن تفكر بهذا الأسلوب الجاهل المتخلف الرجعي .. خصوصاً وهي ما زالت في ريعان شبابها .. وحقاً هي أجمل مما كانت تدعي وتظهر .. لكنها في نهاية الأمر أنثى تتمتع بالغباء مثلها مثل كثيرين غيرها .. يظنون أن الطلاق هو نهاية المطاف .. لا أيها البلهاء .. الحياة لم تقف عند ذلك .. فالزواج كما يقول المثل الشعبي قسمة ونصيب، والطلاق أيضاً ما هو إلا قضاء وقدر .. كثيراً ما يكون هناك اختلاف وفروقات كثيرة بينك وبين زوجك .. ربما تقرب بينكما الأيام والعشرة وتتحدان لكي تقللا من تلك الفروقات .. وربما تختلفا فتتباعدا فيما بينكما المسافات ولا تصلا إلى نقطة حوار وتفاهم فيما بينكما .. لكن في النهاية هو القضاء والقدر .. الذي يجمع بينكما .. هو أيضاً من يحكم بينكما بالفراق إن استلزم الأمر .. وكل ما يهم في ذلك أن تكوني مقتنعة أنك أديت ما عليك من واجبات وحقوق في ظل تلك الفترة التي قضيتها سويّاً .. وسوف تستمر الحياة بعد ذلك .

تناقشنا في هذا الأمر كثيراً لدرجة أننا لم ننجز ما يجب أن ننجزه من عمل اليوم .. لكن لا يهم .. المهم أننا توصلنا إلى نقطة تفاهم واستطعت أن أقنع هاجر بحقيقة الأمر .. وهي أيضاً أخبرتني أنني كنت سبباً في ذلك

التغير الذي طرأ عليها .. وقصت لي ما حدث بينها وبين نفسها بالأمس بعد أن عادت من تلك النزهة .. وأخبرتها مداعبة أنني لو كنت أعلم أن هذه النزهة هي التي سوف تكشف لنا عن هذا الجمال الساحر .. لكنك فعلت ذلك منذ أول يوم عرفتها فيه.

انتهى يومنا وتركنا الشركة وذهبنا معاً إلى منزلي بعد أن هاتفت أسرتها وأخبرتهم أنها سوف تتناول الغداء معي وقوبل الأمر بالموافقة .. تناولنا الغداء وجلسنا نتسامر إلى أن حان وقت رحيلها .. فقممت بتوصيلها حتى باب العمارة واستوقفت لها تاكسي وذهبت .. ورجعت أنا مرة أخرى إلى منزلي والسعادة تغمر قلبي .. إنني أنجزت ذلك التغير الذي أصبحت عليه الآن .. زاد شغفي ولهفتي في الاستمرار في العطاء والحب .. أمسكت بهاتفي وتحدثت إلى أختي رويده .. اطمأنتت عليها وعلى زوجها .. تبادلنا الحديث والضحكات وكأننا نجلس جميعاً في مكان واحد .. أخبرتها بما ينوي شريف فعله .. وأخبرتني أنه تحدث إليها عبر الإنترنت في الصباح وأخبرها بما جرى بيننا .. وفي نهاية المكالمة قطعت على نفسي عهداً أن أقضي معها إجازتي القادمة .. ثم قمت بتشغيل جهاز الحاسب الآلي ودخلت عبر حسابي الخاص على فيس بوك وتركت رسالة قصيرة إلى أخي كان مفادها .. (أحبك كثيراً .. حافظ على نفسك وأقم فرائضك .. وتوكل على الله في كل شيء .. سأحضر عندما تقرر ميعاد الزفاف).

وأخرى إلى زوجي:

(أحبك بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ .. وأحمد الله على أنني زوجة

لرجل مثلك .. فأنت أفضل النعم التي أنعم بها الله علي).
وما كان أمامي شيء آخر لكي أفعله إلا أن أترك قلمي وأوراقتي وأنام .
أصبح على مزيد من الحب والسعادة.

اليوم الرابع والثلاثون

لا شيء يبقي على حاله في هذه الحياة التي نعيش فيها .. كل يوم يذهب بما يحمله من سعادة أو حزن .. من فرح أو هم .. ويأتي يوم جديد .. لا تعلم ماذا يخفي لك .. لكن من الضروري جداً أن تتعامل معه بصدر رحب .. فإن كان سعيداً فلا تفرط في الفرح .. وإن كان حزيناً فلا تيأس وتكتئب .. وتيقن أنك يجب أن تعيشه مهما كان لونه .. وتيقن أيضاً أن الغد لم يأت إليك بمثل سابقه.

راسلت بالأمس كل من أحب .. أخي .. زوجي .. هاتفتم أختي وزوجها .. قضيت وقتاً طويلاً مع هاجر .. لم ينقصني إلا سماح زوجة مديري في العمل .. منذ مدة لم أحداثتها هاتفياً ولا ألتقي بها .. لذلك قررت اليوم أن نلتقي .

استيقظت كالعادة على هاتف هاجر .. ربما كان الأمر في بداية الأمر يزعجني أما الآن .. فهو شيء طبيعي .. فلا يوجد أقرب مني إليها لكي تحدثه في الصباح .. تقول إنها تتفائل عندما تسمع صوتي أول ما تستيقظ من النوم .. بالنسبة لي هو شيء أراه من باب المجاملة .. لكن بالطبع لم

أرفضه .. فهي مجاملة رقيقة على قلبي من صديقة عزيزة .
ارتديت ملابسني وتوجهت إلى مقر عملي .. وأنا في الطريق هاتفـت
سماح .. أعلم أنها الآن مستيقظة .
- ألووو .

- صباح الخير يا ميران .
- صباح النور يا سماح .. عاملة إيه يا حبيبتي ؟
- بخير الحمد لله .. إنتي عاملة إيه ؟
- أنا تمام الحمد لله .
- إيه يا بنتي مخفية ليه ؟
- ما إنتي عارفة الظروف .
- ربنا يكون في عونك .. طيب مش هاشوفك قريب .
- ما أنا بكلمك علشان أشوفك .. أصل إنتي وحشتيني أوي !
- والله وإنـتي أكثر .. بقولك إيه .. إيه رأيك لو نتقابل النهارده في
النادي .

- خلاص أوكي .. أول لما أخلص شغل هاكلـمك ونتقابل هناك .
- خلاص .. وأنا هاكلـم حسين وأقوله يتغدى بره بقى ولا يشوف حاله
النهارده بعيد .

وما إن قالت ذلك إلا وضحكت وطلبت منها مداعبة ألا تخبره بأنها
سوف تقابلني بعد عملي مباشرة .. فربما يصاب بحالة من الضيق
ويكافئني بثلاثة أيام خصم من الراتب .. وما إن سمعت ما قلته إلا

وداعبتني قائلة:

- طيب يبقي يبصلك كده وأنا أخزق لك عينيه .. وبعدها يطلقني عادي .

تبادلنا الضحكات .. وانتهيت من محادثتي لها .. كنت قد وصلت إلى مقر عملي .. وكالعادة تناولت الفطور مع زملائي .. ثم توجه كل منا إلى عمله .. وكان يجب علي أن أنجز عمل اليوم بالإضافة إلى عمل الأمس الذي لم أكمله بسبب حديثي الطويل الذي أجرته مع هاجر ..

لم أهتم بأي شيء آخر غير أن أنجز ما لدي من عمل .. كنت في قمة تركيزي .. وأثناء ذلك شرد فكري مع زوجي .. ورحت أطرح بعض التساؤلات الهامة على نفسي .. ترى .. هل تناول فطوره أم مازال ينسى هذا الأمر؟ فهو دائماً ما ينسى أن يتناول فطوره ويتذكر ذلك فقط أثناء عمله عندما يفقد قدرته على التركيز من كثرة الجوع .. لم أر مثله كثيراً .. فمعظم الرجال لا يفكرون وبطونهم خالية .. وقليل منهم من يفعل ذلك .. تذكرته ذات مرة حدثني في منتصف اليوم .. كان في قمة غضبه وهو يخبرني بأني زوجة فاشلة .. وعندما سألته عن السبب أخبرني أنني لم أهتم بأبسط واجباتي وهي أنني لم أحضر له الطعام قبل مغادرته للمنزل .. أصبت بحالة من الدهشة الشديدة حينئذ .. كيف له أن يتهمني بذلك الاتهام وأنا كنت كل صباح أقوم من نومي قبله بساعة تقريباً حتى أحضر له ملابسه والحمام وكذلك الطعام .. وهو كان ينجز كل شيء أقوم بتحضيره ما عدا أن يتناول الطعام وكانت حجته أنه لا يستطيع أن يتناول

أي طعام قبل أن يحرك كل أعضاء جسده ويؤهبها للعمل .. عندها يتناول الطعام ويهضمه بشكل جيد .

كان له أسلوبه الخاص في الحياة .. ربما أكون قد تعلمت منه ذلك مع مرور الوقت .. فهو حقاً ملتزم ومنضبط إلى أبعد الحدود .. وذلك جيد للغاية .. تعلمت منه الكثير وخصوصاً في مسألة تنظيم الوقت .. لا أبالغ عندما أقول عنه بيني وبين نفسي إنه مرحلة تعليمية مستقلة بذاتها .

تطرق ذهني بعد ذلك إلى شيء هام .. ترى .. هل قرأ رسالتي التي أرسلتها له بالأمس؟ أود أن أفتح حسابي عبر الإنترنت الآن لكي أعرف ما هو رده عليها .. ترى هل سيدرك قيمة حبي وشوقي وحنيني إليه؟ هل سيرسل لي بأني أغلى شيء في حياته؟ ما هو شعوره وهو يقرأ كلماتي إليه؟ هل أحس صدقي بين الحروف؟ كم أتمنى أن يستشعر ذلك !

ذهب الوقت سريعاً .. وكأنه يركض من حولي .. لكنني أنجزت عملي أيضاً في ظل شعور بشوقي لزوجي وحنيني إليه لم يمنعني ذلك من إتمام عملي على أكمل وجه .

وما إن خرجت من مقر الشركة إلا وكانت سماح تحدثني عبر الهاتف .. وتخبرني بأنها سوف تتوجه الآن إلى النادي .. كانت هاجر بجواري عرضت عليها الأمر .. لكنها اعتذرت وأخبرتني بأنها يجب أن تعود إلى المنزل حتى تستطيع أن تراجع بعض الدروس مع أخيها الصغير .. تقبلت الأمر وذهب كل منا إلى وجهته .

وصلت إلى النادي في نفس التوقيت الذي وصلت سماح فيه ..

وكالعادة صافحت جميع العاملين وتوجهت إلى طاولتي المفضلة وكانت سماح تنتظرني عليها .. تناولنا الغداء وتسامرنا في أمور حياتنا الزوجية والأسرية .. بالطبع قدمت لها جزيل الشكر على ما قالته عني لزوجها .. وطلبت منها أن تشكر زوجها عما قاله في حق زوجي ..

إن السعادة التي شعرت بها وهي تصف لي حبي وإخلاصي إلى زوجي لا توصف .. وكذلك وجهة نظر زوجها في زوجي .. فمن الجيد أن يقيم العلاقة الزوجية بينك وبين زوجك أقرب الأصدقاء إليك.

انتهي اليوم وعاد كل منا إلى منزله بعد أن جاء زوج سماح إلينا لينقلنا بسيارته .. شكرتهما على ذلك اليوم الممتع وصعدت إلى منزلي .. وأمسكت بقلممي وأوراقي أسجل ما حدث .. وذهبت نحو جهاز الحاسب الآلي لكي أرى هل رد زوجي على رسالتي .. لكن يبدو أنه لم يجلس على حاسبه الآلي ولم يقرأ الرسالة .. بينما وجدت رسالة من أخي شريف .. وقال لي إنه في انتظار تحديد الوقت المناسب وسوف يرسل لنا الدعوات للحضور .. وأخيراً قبل أن أخلد إلى نومي أجريت مكالمة هاتفية بأختي رويده لكي أطمئن عليها وعلى زوجها .. وبالفعل هذا ما حدث .

انتهت كل أحداث اليوم ولم يتبق لي إلا أن أخلد إلى النوم .
أصبح على صوت حبيبي .

اليوم الخامس والثلاثون

يبدو أن هناك شيئاً ما قد حدث .. أخشى أن يكون قد أصابه مكروه لا قدر الله .. لكن ما يطمئن قلبي أنها عادته التي اعتادها في الفترة الأخيرة .. ربما يكون مشغولاً بإنجاز بعض الأعمال .. نعم .. ربما يكون كذلك . ثم ما هذا القلق والتوتر الذي يحتاجني ؟ يجب أن أهدأ قليلاً فالأمر كله لم يتجاوز يومه الثالث ..

في حقيقة الأمر أنا منشغلة بشدة عليه .. ربما لأنه غير تلك المعاملة التي كان يعاملني بها في الفترة الأخيرة .. أو لأن حنيني يأخذني بشدة إليه خصوصاً بعد أن رفضت أن أنصت إلى صوت هاجسي وتركت كل ما يقربني إلى الإنصات إلى هذا الهاجس .. ليس ذلك فحسب .. بل لأنني أقمت جداراً عازلاً بيني وبين أي شيء آخر يأخذني للتفكير في هذا الأمر . بالمختصر المفيد أنا قمت بتقييد مشاعري وتوجيه كل طاقتي إلى عشقه هو فقط .. لكنه لا يدرك ذلك ولا يقدر ما أنا أعيش فيه الآن وأعاني منه . منذ أن استيقظت في الصباح بعد وصلات نوم متقطعة وأنا أفكر في هذا الأمر .. لم يحدث قبل ذلك أن أستيقظ في الساعات الأولى من الصباح ،

وتحديداً في ذلك الموعد الذي يقوم فيه بالاتصال بي .. استيقظت واللهفة تأخذني تجاه الهاتف .. كان ظني أنه هاتفني ولكنني لم أستطع أن أرد عليه .. نظرت في الهاتف لأتأكد من ظني .. لكنها مجرد ظنون وهو اجس ليس أكثر .. لم يتصل .. كنت أحلم بذلك فقط .. ما ظنته كان من باب الأمل والتمني .. لكن هاجسي لم يتركني وشأني .. طلب مني أن أتوجه نحو الحاسب الآلي وأنظر إليه لعله يكون قد قام بقراءة رسالتي وأجاب عليها .. ولم لا؟ ربما يكون فعل ذلك واكتفى به ولهذا السبب لم يهاتفني إلى الآن .. في هذه المرة استمعت إلى صوت هاجسي وألقيت بالفراش بعيداً عني وتوجهت نحو الحاسب الآلي وقمت بتشغيله .. وبالفعل دخلت على حسابي الخاص عبر فيس بوك .. وما إن نظرت إليه إلا وامتلكني حالة من السعادة .. هناك سبع رسائل تم إرسالها لي .. إذن وبالتأكيد ستكون رسالته بينها .. أخذت أتفقد الرسائل التي استقبلتها .. هناك رسائل من أصدقاء وأخرى من أخي الصغير .. وهناك رسالة مجهولة الهوية .. لكن لا أظن أنها تخصه .. إذن هو لم يدخل على حسابي الخاص عبر فيس بوك بعد .. أو ربما دخل ولكنه لم يشاهد رسالتي .. عموماً لم أهتم بالأمر كثيراً .. أخذت قراراً بأن أغلق الجهاز وأعود إلى نومي وأجعل الهاتف بالقرب مني لعله يقوم بالاتصال بين لحظة وأخرى .. وأنا أهم للقيام بفعل ما قررت فعله همس لي هاجسي بأن ألقى نظرة على الرسائل .. لكن قلت لنفسي سأفعل ذلك في الصباح .. وبالفعل أغلقت الجهاز وتوجهت مرة أخرى إلى غرفة نومي ووضعت الهاتف بجواري.

ما أصعب أن تدخل عالم الانتظار فاللحظة في هذا العالم تمر بمثابة العام الكامل، والدقيقة تمر كالدهر .. والحيرة والتساؤلات في عالم الانتظار لا تنتهي وتتوالى بسرعة جنونية كالبرق .. أظن أنه عالم يصعب المكوث به كثيراً .. كان يجب علي أن أفعل شيئاً للخروج من تلك الحالة التي أعيشها .. أغلقت عيني وقررت عدم التفكير في أي شيء وكان ذلك عين العقل .. حاولت أن أخلد إلى النوم مجدداً لكن هاجسي لم يتركني وشأني .. ظل يجذبني إلى عالم التساؤلات والحيرة وكانت روحي تدافع عني وتتصدي له بكل قوة .. وكأنها حرب دائرة على جسد متنازع عليه بين هواجسي وبين روحي وصوت العقل يقف حائراً بينهما يريد أن يتدخل ليعقد الهدنة بينهما لكن لا أحد منهم يستجيب ولا يستمع نهائياً .. أما أنا فكنت بينهما كالقطيع أميل إلى كليهما حسب قوة الشد والجذب .. إلى أن فقدت الوعي لساعات معدودة .. بعدها استيقظت لكي أكمل حياتي بشكلها المعهود .. في بداية الأمر وتحديداً في اللحظات الأولى لي بعد عودتي للحياة .. كاد أن ينشب بينهما الصراع مجدداً .. لكنني رفضت وبكل قوة أن أنزلق إلى هذا خصوصاً وأني ما زلت لم أستوعب شيئاً حتى الآن إلى أن ألقى بالغطاء من على جسدي وتركت لهما الفراش وذهبت إلى الحمام لكي أحصل على دش ماء ساخن ليعيد لي طاقتي وحيويتي ..

انتهيت من ذلك وارتديت ملابسني وأنا أستقبل مكالمة هاجر الهاتفية لي التي اعتدت عليها .. وأخبرتها أنني في طريقي إلى مقر العمل .. نزلت من المنزل وأوقف لي البواب التاكسي وتوجهت إلى مقر عملي .. وما إن

وصلت إلا ووجدت مائدة كبيرة غير معتادة ومعظم العاملين يلتفون حولها بمن فيهم المدير ويتأهبون لتناول الإفطار الجماعي .. وقفت بجوار هاجر بعد أن أقيت عليها تحية الصباح وهمست لها متسائلة:

- هو في إيه؟

هزت رأسها وعقدت حاجبيها وهي تسألني:

- في إيه يعني إيه؟

- يعني الاجتماع الطارئ الي معمول على الفطور ده علي الصبح .

- آه .. أصل المدير النهاردة هو الي عازمنا .

- عازمنا .. بمناسبة إيه؟

- مش عارفة .. هو بيقول مكافأة .

هزرت رأسي والدهشة زادت أكثر بداخلي .. فمند زمن طويل ولم يحدث هذا الأمر في مقر الشركة .. مكافأة .. عموماً كل ذلك لا يهم المهم أنني تناولت الطعام لأنني كنت بحاجة شديدة إليه .. انتهينا وتوجه كل منا إلى عمله .. جلست على مكثبي وأنا لا أرى أي شيء أمامي غير زوجي الذي لم يحادثني من ثلاث ليالٍ .. أحاول أن أجده عذراً لذلك .. أحاول أن أطرح مبرراً يجعلني أظل على تماسكي وأحافظ على اتزاني تجاهه .. لكن للأسف كل ذلك دون فائدة .. لم تستطع كل المبررات والأعذار أن تغفر له ذنب تعديبي ولهفتي إليه .. لم أعد أتحمّل صوت حنيني واشتياقي .

أنهيت عملي وانتهى يومي ورجعت إلى المنزل ملهوفة لجهاز الحاسب الآلي لعلني أجده ما يحده من تلك اللفتة بداخله عبر حسابي الإلكتروني ..

لكن أيضاً كان هذا بلا فائدة .. حاولت ألا أفكر وأرفض كل ما هو قائم بذهني الآن .. ذهبت أضيع وقتي في أي شيء آخر مثل طهي الطعام وتناوله .. جلست أمام جهاز التلفزيون أحاول أن أبحث عن شيء به يجعلني أندمج بداخل محتواه لعلني أضحك .. أحزن .. أبكي .. أفعل أي شيء أستطيع من خلاله ألا أحزن على حالي .. لكن أيضاً دون فائدة .

وصل الأمر معي إلى درجة سيئة للغاية .. أخذني إلى زمن مضى .. دون أن أدري بدأت أفكر في ليلة عيد الميلاد مجدداً .. بدأت أستعيد ذكريات هذا اليوم بكل تفاصيله .. منذ البداية لتلك اللحظات التي لا تنسى .. وكأن قلبي يبحث عما يريد .. ولا أعلم ماذا أفعل .. لا أقوى على حجب حنين بداخلي نحو من يشعر بما أحتاج إليه .

آه .. لا أعرف ماذا أفعل الآن .. إنني في غاية التعب وقمة العذاب .. إنني بحاجة إلى ذلك الصوت الهامس مجدداً .. في حاجة إلى من يشعر بكوني أنثى .. أنا أنثى لا أمتلك في تلك الحياة إلا قلباً ومشاعر وأحاسيس .. أنا أنثى لا أفهم في تلك الحياة غير لغة الرومانسية والحنين والهيام .

يكفي هذا .. يجب أن أترك قلبي وأخلد إلى النوم قبل أن أقوم بتوجيه اللوم والتعنيف مرة أخرى إلى ذلك الرجل الملقب بالزوج والذي لا يعي قدر اشتياقي إليه .

اليوم السادس والثلاثون

كل الطرق تؤدي إلى ما نرغب به ... لكن مع اختلاف الوجوه التي سنقابلها .. وتلك المصاعب التي تمثل اختباراً حقيقياً للوصول إلى ما نريده!

ربما أحياناً نشعر بأننا مرضى نفسيون .. وذلك يعود إلى شعورنا بأننا دائماً نناقض أنفسنا في تصرفاتنا .. لكن وإن أردنا الحقيقة .. إننا بالفعل كذلك .. نعم .. الجميع مرضى نفسيون .. الجميع متناقض .. لكن كل حسب أهوائه .. كل حسب احتياجاته وشعوره .. كل حسب مدى استيعابه واتزانه .. وهذا أمر طبيعي للغاية .. فلا يوجد كائن حي على وجه الأرض يبقى على حال واحدة طوال حياته .. فمن منكم رأى إنساناً سعيداً مدى الحياة أو العكس .. من منكم لا يفرح .. لا يحزن .. لا ينخدع .. لا يكذب .. لا يصدق .. لا يشعر .. لا ينبض قلبه بحب .. لا يضعف .. من منكم بلا أخطاء؟ على ما أظن فإننا نتفق على أننا بشر لسنا معصومين ولذلك يجب أن نخطئ .. وما بين الخطأ وإدراك الخطأ جنون وإصابة بمرض نفسي ..

ما هذا التحليل العلمي الذي أكتبه فوق صفحاتي .. إنني كأني أكتب على سبورة جامعية محاضرة إلى طلابي الذين أقوم بتدريس مادة علم النفس لهم.. لا .. يجب أن أغير هذا الأسلوب في الكتابة .. أنا لست بمتخصصة لكي أكتب ما سبق ..

الهاجس الملعون لا يترك أي شيء إلا وتدخل به بكل فضول .. في تلك اللحظات يقول لي .. ليس من الضروري أن تكوني متخصصة لكي تكتبي شيئاً صحيحاً حتى ولو كان على أساس علمي .. لكنني لا أقدم بحثاً علمياً .. ليس شرطاً أيضاً .. أنت فقط تكتبين ما تشعرين به .. وحسب ثقافتك وتعليمك .. لا تهتمي بهذا الأمر كثيراً .

وبالفعل لم أهتم بأمر هاجسي .. وإلا فساكون قد بادرت بتوثيق شهادة جنوني من مستشفى الأمراض النفسية والعقلية بالعباسية .. ترى .. ما هو شعور زوجي إن عاد من السفر ووجدني أمكث في تلك المستشفى ؟ أظن أنه سيصاب بحالة من الذهول .. وماذا لو علم أن كل ما أصابني وأوصلني إلى تلك الحالة هو حبي وعشقي واشتياقي إليه ؟ أظن أنه سوف يصاب بحالة من الإحباط الشديد .. وسوف يدخن الكثير من السجائر وربما يتأثر ويحدث بداخله صراع نفسي وينتهي به الحال للمكوث بالسرير المجاور لي .. وينصح الأطباء أن يجعلونا في غرفة واحدة .. إن حدث ذلك سأستغل الظروف وأنجب طفلاً أهبل يحمل صفات الجنون الوراثي .. يا له من شعور رائع !

.....

ماذا كنت أكتب منذ لحظات؟ ولماذا توقفت وظللت أضحك بشكل هستيري؟ ماذا أصابني دون ضحك ولا سخرية؟ أنا أكتب فوق صفحتي ما يشبه خطة حياتي القادمة إن ظللت أنتظر دون فائدة.

لم يتصل زوجي .. لم أهتم بأي شيء آخر إلا بهذا الأمر .. منذ أن استيقظت وأنا شبه آلة .. تتحرك وتعمل فقط دون إدراك أو وعي .. حتى وأنا أعمل لم أتحدث إلى أي أحد من زملائي بالشكل المرغوب .. لم أطلب الكثير من المشروبات من عامل البوفيه .. لم ألتحم مع الجميع في المحادثات وتبادل الضحكات والمناوشات كالعادة .. لا أعلم لماذا وصلت إلى تلك الحالة؟ لكنني وصلت إليها قطعاً .. لدرجة أن هاجر استشعرت أن هناك شيئاً يزعجني فجاءت إلي تسألني:

- إيه يا ميران .. مالك فيه إيه؟

- مفيش .

- يا ساتر يا رب .. لأ فيه .. وفيه حاجة كبيرة أوي كمان .

- آه .. بس معلهش مليش نفس أتكلم .

- أجيب لك لمونة؟

- قولت لك مليش نفس أتكلم يا هاجر لو سمحتي .

- خلاص براحتك .. أنا أسفة .

ثم تركتني وذهبت .. ولم أستشعر أي ندم على ذلك الأسلوب الذي حدثتها به .. وكيف لي أن أشعر بشيء كهذا وأنا بداخلي بركان غضب شديد؟ وكل جوارحي يمتلكها إعصار يطيح بكل شيء حولي .. ومن

الأفضل ألا يتصدى له أي مخلوق الآن حتى زوجي ..
 زوجي .. أصبحت أكره هذه الكلمة التي تكبدني خسائر معنوية فادحة ..
 تلك الكلمة التي أصبحت كذلك الزلزال الذي ضرب مصر في أوائل
 التسعينيات وترك خلفه دماراً هائلاً .. إنه نفس الشيء عندما أتذكره الآن ..
 يدمر كل ما بداخلي من عواطف ومشاعر وأحاسيس .. يعصف بكل
 جوارحي وحنيني وهيامي .. وكأنه أصبح فيروساً فتاكاً يصيب القلب
 بعدم النبض، والحس بعدم الإدراك .

لا أريد أن أتوغل في ذلك الأمر كثيراً حتى لا أفكر في الانتقام .. وأنا
 أعلم نفسي جيداً .. ربما أخرج من عملي إلى المطار مباشرة وأحجز تذكرة
 سفري وأذهب إليه لكي أقتله وأنهى هذا الأمر نهائياً .. ولذلك يجب
 أن أتوقف الآن عن التفكير في هذا الأمر وألملم أغراضي وأذهب .. لقد
 انتهي وقت العمل الذي لم أنجز منه أي شيء وهذا شيء أيضاً لا يهم
 .. عند خروجي من باب مكتبي وجدت هاجر تنتظرنى ظناً منها أنني
 أصبحت الآن أهدأ قليلاً عما سبق لكنها اكتشفت أن ثوري لا زالت
 مستمرة وعارمة .. كانت تريد أن نذهب للتنزه لكنني رفضت بالطبع ..
 وتركتها وذهبت ..

سرت في الطرقات بعد أن أنهيت عملي وأنا لا أعرف إلى أين أنا ذاهبة
 .. أسير من أجل السير فقط .. أحاول ألا أشغل رأسي بأي شيء وكأني
 أود بشدة أن أصاب بحالة من اللامبالاة .. إلى أن شعرت بألم شديد في
 قدمي وأيضاً أدركني شعور الجوع .. نعم أصابني الجوع والتعب بشدة ..

لكن ربما تلك الحالة التي تملكني وتحاول أن تجعلني أرفض الشعور بأي شيء غير الذي أريده فقط .. حاولت أن أكمل سيري لكنني لم أستطع .. وأمام مطعم شهير انهارت كل إرادتي وتحطمت حالة العصيان البشرية التي تملكنتني أمام حاجتي إلى الطعام .. توجهت إلى الداخل وجلست على الطاولة وجاءني العامل ليلبي طلبي .. وعندما عاد لي إحساس الإدراك والشعور بأني كائن حي ولست آلة مبرمجة .. طلبت منه أن يجلب لي أشهى الأصناف لديه .. اقترح علي بعضها واخترت أنا من بينها .. وجاءني بها .. وبدأت في التهام الطعام .. نعم .. كنت ألتهم لا أتناول .. والفارق كبير كما هو واضح .. فالطبيعي لأي إنسان أن يتناول طعامه أما غير الطبيعي أن يلتهم الإنسان طعامه بشكل غير آدمي ولا إنساني .. أنا كنت كذلك .. ولن أهتم بهؤلاء الموجودين حولي وينظرون لي بدهشة وتعجب لدرجة جعلت إحداهن تهمس متحدثة إلى زوجها وهي تنظر لي:

- دي شكلها ما أكلتشي من سنة فاتت .

- ملناش دعوة إحنا .. كلي وخليكي في حالك .

أمرها بأن تفعل الصواب لأنه إن لم يكن يأمرها بذلك وتمادت هي في النظر إلي ربما كنت أنا من قام بتكسير عنقها .. كم أكره هذا النوع من النساء اللاتي خلقن من أجل الفضول والتطفل ليس أكثر .. المهم تناولت طعامي وخرجت بعد أن شعرت بأني فول تانك .. يا لها من كلمة تدل على أنني أصبحت عشوائية بشكل كبير! أقصد يعني أن معدتي امتلأت

عن آخرها .. وكان يجب علي أن أسير على قدمي لأطول فترة ممكنة حتى أهضم ما تناولته .. وبالفعل هذا ما فعلت .. لكن التعب امتلكني سريعاً ولم أقو على السير .. استوقفت تاكسي وتوجهت به إلى المنزل .. كنت أعاني صعوبة شديدة في كل حركاتي إلى أن وفقني الله وقمت بتغيير ملابسي .. ثم حاولت التحرك قليلاً فقامت بالتوجه إلى المطبخ وقمت بتحضير كوب شاي وتناولته وأنا أجلس أمام شاشة التلفزيون .. إلى أن انتهيت وتوجهت مرة أخرى نحو الغرفة لأكتب ما أكتب الآن.

والآن أشعر أنني بحاجة إلى النوم .. نعم .. يجب أن أخلد إلى النوم لأنني بمنتهى الصراحة والصدق أصابني الملل من كثرة التفكير .. لذلك سوف أقوم بتمزيق كل مذكراتي بكل ما تحتويها من مشاعر وأحاسيس موجهة إليه .. وإن دفعتني الظروف إلى الكتابة سأكتب قصصاً للأطفال أو كتب طهي أو أي شيء آخر.

اليوم السابع والثلاثون

عندما تموت الذكريات وتختفي أشلاؤها بين صراعات الأيام تبحث عما هو بديل ليحل محل ما هو ماااات.

نعم .. يجب أن أفعل ذلك بكل قوة .. فأنا ما زلت على قيد الحياة وفي كامل أنوثتي .. ولن أترك مشاعري وجوارحي لكل القيود التي أقيدها بها دون أن أستشعر بأي على قيد الحياة .. عندما يعود سوف أوجه له كل طاقتي ولكن الآن لمن أوجه إليه تلك الطاقة الكامنة .. أنا أريد أن أشعر بأنني أنثى .. أريد أن أعيش لحظات أنوثتي .. أريد أن أحب وأجد من يحبني .. أريد أن أشعر بأي ما زلت على قيد الحياة.

أعدك بالأأهم بوجودك في حياتي طالما أنت لم تهتم .. انتهى الأمر ولن أعود لأفكر وأطرح المبررات التي تجعلني أنتظر دون فائدة .. لكن أبحث عن أعذار تقودني إلى مصير هاجر التي تحبس نفسها بين جدران الماضي .. لم أصبح كهؤلاء السيدات الكثيرات المغلوبات على أمرهن .. أنا ما زلت صاحبة القرار .. أنا ما زلت شريكة في الأمر ولست تابعة لك .. إن أردت أن تأتي ولا تهدم كل شيء فعليك أن تفعل .. وإن ظننت أن

الوضع سيبقى على ما هو عليه فتقبل اعتذاري فأنت واهم .. لأنني وبكل بساطة ما زلت على قيد الحياة .. وما دمت كذلك فأنا لي حقوق كما علي واجبات .. لم أقدم أي تنازلات جديدة ويكفي ما قدمت .. أريد حقوقي إذن منك أو من غيرك صدقني لا يهم .. كل ما يهم الآن أن أحصل عليها .. أنا لا أنذرك أنا فقط أخبرك بما أنوي وأقدم علي فعله.

أعلم جيداً أن القرار الذي اتخذته الآن من أصعب قرارات الحياة .. الانفصال .. هو قرار لا يجب أن أُلجأ إليه في الظروف العادية .. لكنني وصلت إلى درجة الجنون من كثرة التجاهل .. وأكبر دليل على ما أقوله الآن تلك الكلمات التي كتبتها بالأمس .. لك أن تتخيل أنني وصلت بالتفكير لدرجة أنني أصبحت جليسة مستشفى الأمراض النفسية والعقلية .. لك أن تتصور ذلك .. لك أن تدرك أنني وحتى داخل المستشفى أفكر بك وأتمنى وجودك معي وإنجابي طفلاً منك حتى وإن كان مصاباً بتلك الأمراض النفسية التي ساقطني إلى هذا المكان ..

أنت لا تعي قدر ولا أهمية كل هذا .. أنا بالأساس لست موجودة فوق دفتر حساباتك .. كل ما يهمك هو إنجازك للعمل وإعلاء شأنك أنت لا أكثر .. وماذا أكثر من ذلك .. قل لي بالله عليك ماذا تتمنى بعد هذا .. تواصل نجاحاتك وأهدافك التي دائماً ترغب في تحقيقها .. تجمع المال بشكل جيد .. تمكث في شركة أنت الأمر النهائي لكل من فيها بمن فيهم مالکها .. وفوق كل ذلك لديك زوجة تتميز بالغباء المتمثل في التضحية والانتظار وعدم إدراك الواقع ..

دعني أبح لك بأمر يشغلني .. إنه ليس هاجساً .. إنه توقع كنت أرفض أن أفكر فيه لكن كل الظروف تدفعني إلى ذلك .. أشعر بشدة أنك قد تزوجت علي في تلك الدولة التي تعمل بها .. لا تنكر .. إن حس المرأة دائماً يصيب وقليلاً ما يجهل الحقيقة .. ومن أجل أن تتعرف على أسباب ذلك التوقع الذي - إن صح سوف - أمزقك بأسناني ولن يشفع لك أي شيء على وجه الأرض من ملاقة ذلك المصير .. دعني أولاً أخبرك عن الأسباب التي دفعتني إلى ذلك .. ترى .. رجل في مثلك يمتلك الكثير والكثير من المشاعر والأحاسيس التي لا يستطيع أن يخفيها .. بل إنه يتميز بذلك .. كيف له أن يعيش طوال هذا الوقت دون أن يقول كلمات رقيقة عذبة يعبر بها عن إعجابه بما يرى .. ولا تقنعي أنه لا يوجد على تلك الأرض التي تعيش بها الآن امرأة تستطيع أن تحرك مشاعرك .. وإن قلت ذلك لن أصدقك .. فأنا لست بهذا الكم من الغباء بالرغم من اعترافي به .. ثم بالله عليك .. إن حاولت أن تقنعي بأنك تحجب مشاعرك عن الجميع ولا تلتفت إلى صوت قلبك وحسك وعشقك للأنثى كما أقسمت لي سابقاً .. بالله عليك مرة أخرى .. هل تظن أنني سوف أصدقك أنه لا توجد أنثى فتنت بك طوال هذا الوقت .. لا تحاول أن تقنعي بذلك .. فأنا أعلم جيداً أن نساء هذا المجتمع الذي تعمل به الآن يعيشون الجمال وخصوصاً من الرجال المصريين .. وأنت تدري ماذا أقصد بالتحديد .. وأعلم أن الحياء في هذا المجتمع قد مر مرور الكرام عليهم وكسحابة صيف عابرة .. فلا تحاول أن تقنعي بعكس ذلك .. وإن حاولت لن

أصدقك .. وإن صدقتك سأصبح امرأة مجنونة ومحبولة وتستحق كل ما يجري لها الآن ..

واختصاراً لوجع القلب والأحاديث التي تهدر الوقت دون فائدة .. يجب أن أقولها لك بدون تزييف ولا تجميل .. وأن تحمل كلماتي كل عبارات الصدق والصراحة الكاملة .. أنت لا تعيرني أي اهتمام .. وهناك من يأخذ منك كل ما أستحقه أنا .. أنت تخونني .. ولا تحاول أن تنكر هذا .. وإن كان توقعي هذا خاطئاً .. فما هي مبرراتك لكل هذا الجمود والجحود لمشاعرك تجاهي .. كيف لك ألا تشاق إلى حضني الذي كنت لا تفارقه بالأمس القريب .. كيف لك أن تستيقظ يوماً دون أن تقبل يدي وخدي وعنقي وعيني ورأسي؟ لا تلمني فأنت من علمني معنى كلمة رومانسية .. وكيف لك أنت تحرمني منها بعد أن عودتني عليها؟ وكيف لي ألا أشتاق إلى كل هذا العشق والحنين الصارخ؟!

أنت لا تقدر كم اشتياقي للحظة واحدة بين يديك .. أنت لا تعي كم حاجتي إلى أن أترك جسدي بين ذراعيك .. أنت تتجاهل كم هذا الحنين الطاحن الذي يضرب كل جوارحي .

يبدو وكأنني لم أعد تلك الأنثى التي ترغب فيها وتتمنى أن تكون بين يديها بقية عمرك مثلما كنت تقول لي بالأمس القريب .. يبدو أن الغربة غيرت أشياء كثيرة كنت أحبها فيك .. أو ربما كشفت لي عن وجه آخر لك كنت لا أراه قبل ذلك .. ربما يكون توقعي خاطئاً .. لكن الأمر الواقع يقول إنني أصبحت شيئاً ليس ذا قيمة ولا أهمية في حياتك .. لذلك يجب

أن يذهب كل منا إلى مصيره بعيداً عن الآخر .. يجب أن نفرق كلياً ..
ولن يؤثر ذلك كثيراً .. فالفراق والهجر والبعد قد اعتدنا عليه .. أظن
أنك لن تحزن ولن تغضب ولن يصيبك مكروه فالأمر ليس بمؤثر إلى
درجة تصل بك إلى هذا الحد ..

أما أنا فأعدك بأني سوف أصفح لك عن كل ما ارتكبته في حقي من جرم
.. وكل ما قدمته لي من عذاب .. أعدك بأني سوف أنسى كل ما مضى ولن
يبقي لك بداخلي إلا الذكريات إن استطعت استحضارها .. ولن أهتم
بأمرك مرة أخرى .. ولن أعنفك ولن أوبخك .. بل سأهتم بأن أجد حياة
جديدة أعيش بها مع غيرك .. أحاول أن أضمد جراحاتي التي تسببت أنت
فيها .. لكن سأضمدها بعيداً عنك ..

وأخيراً يجب أن تعلم شيئاً هاماً للغاية .. لست وحدك من يمتلك
مشاعر وحب وأحاسيس تجبر الأنثى على عشقه .

اليوم الثامن والثلاثون

أبعث إليك برقية شكر واعتزاز وتقدير على عدم الاهتمام أو التقدير ..
ويكفيني ما أصابني فيما مضى ولن ألتفت إلى أمرك مجدداً .. أشكرك على
كل ما فعلته بي من جراح .. من عذاب .. من لهفة .. من حيرة .. أشكرك
إلى أن تنتهي كلمات الشكر والتقدير لأنك استطعت أن تجعل مني امرأة
ذات مشاعر متحجرة فترة كبيرة لا يستهان بها .. أشكرك على أنك جعلتني
في نهاية المطاف أنثى بلا قيمة في حياتك .. زوجة مع إيقاف التنفيذ.

وهل هذا يجوز ؟ هل يصح أن أكون هكذا ؟ أنت لا تستحق مني كل
ذلك .. ارحل الآن قبل أن تزيد الجروح جروحاً .. فأنا لم أعد أتحمل أكثر
من ذلك.

هذا هو آخر قراري .. لن أبقى على هذه الحال أكثر من ذلك .. يجب أن
أتغير .. يجب أن أسلم بأن كل شيء قسمة ونصيب ولكل شيء نهاية مثل
عمر الإنسان تماماً ..

أصبحت أنام دون أن أنتظر أن يحدثني أو يرسلني عبر الإنترنت .. الأمر
أصبح شبه منته .. استيقظت دون أن أهتم بأمره .. أسير بداخل منزلي دون

أن أنظر إلى أي شيء يمكنه أن يذكرني به .. حتى وإن نظرت لا أذكره .. ولن أذكره طالما لم يذكرني .. أصبحت معدومة الإحساس تجاهه .. هذا هو الوضع بالمختصر المفيد .. بل أكثر من ذلك بدأت أزيل كل السدود والموانع التي صنعتها من أجل ألا يخترق أحد غيره حياتي .. قمت بإعادة توصيل سلك الهاتف الأرضي .. قمت بتشغيل الشريحة القديمة التي كنت أستقبل عليها رسائل العاشق المجهول في هاتف جديد وتركت الشريحة الجديدة كما هي .. باختصار شديد بدأت أعود للحياة من جديد وأخرج من سجن الوحدة الذي فرضته على نفسي دون أن أرتكب أي ذنب .. وهل الإخلاص للزوج ذنب .. يبدو أنه كذلك طالما لم يقدر هذا الزوج كم هذا الإخلاص .. عموماً انتهى الأمر .

أنا الآن في رحلة العودة إلى ميران التي أعرفها .. لن أهتم بشيء على وجه الأرض إلا أنا .. أنا ومن بعدي الطوفان .. هذا كل شيء .. أما هو فعليه أن يتحمل نتائج أخطائه وتجاهله لي ..

سعيدة لأنني بدأت أهتم أكثر بمظهري وأجلس فترة أطول بكثير مما سبق أمام المرأة .. ليس ذلك فحسب بل أصبحت أقع في حيرة شديدة في اختياري لألوان مستحضرات التجميل التي سأضعها على وجهي وتلك الإكسسوارات التي سأرتديها .. بمنتهى الصراحة بدأت أعود إلى سن المراهقة لكي أشعر بأني أنثى .. وما المانع في ذلك؟ يجب تعويض نفسي عما فاتني .. لن أقف مكتوفة الأيدي أمام تحطيم قلبي وموت مشاعري وإحساسي .. سأطلق لجوارحي البساط لكي تستمتع بالحياة وبكل ما فيها

.. هذا هو ما يجب أن أفعله .. وهو يفعل ما يشاء فلن أهتم بأمره بعد اليوم وليكن ما يكون.

نزلت إلى الشارع متوجهة إلى عملي وأنا أشعر بكامل أنوثتي .. دل على ذلك نظرات الجميع تجاهي .. كم هو مثير عطري! كم هو جذاب! الجميع يلتفت تجاهي وكأنني أميرة تسير وسط شعبها بكل كبرياء .. كم أعشق ذلك الشعور! حتى سائق التاكسي الذي أقلني إلى عملي كان يود عدم حصوله على أجره .. لكنني بالطبع رفضت .. وما إن دخلت إلى مقر الشركة إلا والتفت الجميع صوبي .. وبدأت نظرات الإعجاب تتوجه نحوي كسهام تخترق قلبي .. إن صدقت القول تملكني شعور بالكسوف والخجل لم أشعر به منذ زمن بعيد .. يا له من شعور رائع هذا الذي أستشعره الآن! يزيد بداخلي البهجة والسرور .. يجعل مني أنثى ذات مواصفات خاصة .. تستطيع أن تجذب كل شيء حولها .. بل تؤثر في كل شيء حتى ذلك الجهاد المتمثل في الحوائط والمكاتب الخشبية .. حتى النساء اللاتي يشاركنني العمل .. تأثرن أيضاً بسحري الذي دخلت عليهن به .. نعم .. إنها أنا .. أردت أن أتغير وأترك كل ما هو مؤلم وموجع ففعلت .. وهل هناك ما يمنعني من ذلك؟ إنها قوة إرادتي أنا .. ولا أحد غيري يستطيع إن يقوم بتغييرني .. أنا من أراد أن يشعر بأنه ما زال على قيد الحياة .. تلك الحياة التي كانت في الفترة السابقة مجردة من المشاعر والأحاسيس .. حياة بلا معنى .. بلا لون .. بلا أي شيء يدل على أنها حياة .. الآن أصبح كل شيء له معنى .. أنا من أردت ذلك .. أنا من أصنع ذلك التغيير .. ومن غيري يستطيع؟!

أيها السادة .. تلك رسالتي إليكم جميعاً .. أنتم من يمتلك بيده مصيره لا أحد غيركم يوجه قبلتكم .. عليكم أنتم أن تختاروا قبلتكم التي تتوجهون إليها بكامل إرادتكم .. لن نصبح عبيداً بعد أن أصبحنا أحراراً .. انتهى عصر الذل والخنوع لمن يمتلك قلوبنا وعقولنا وأرواحنا .. انتهى ذلك العصر تماماً بلا رجعة .. وأنا الآن أول من يقوم بالتغيير .. من أراد فيكم أن يتغير ويختار مصيره بيده فليفعل .. ومن أراد أن يظل عبداً بلا قيمة فليبق .. كنت أتحادث بيني وبين نفسي وأخطب وكأنني زعيمة .. كانت نظرات الجميع لي تدل على ذلك .. المهم .. حاولت هاجر أنت تعرف سر هذا التحول غير الطبيعي من وجهة نظرها.

- إيه الحلاوة والجمال والشيابة دي كلها!

- أي خدمة علشان ما تفكريش إن إنتي وبس الي حلوة .

- لا .. إنتي عارفة إني معترفة من البداية إنك أجمل وأحلى مني بكثير ..

بس تعالى هنا قولي لي .. إيه سر التألق الي إنتي فيه ده؟

- ولا أي حاجة .. حبيت أخرج من حالة الكآبة الي كانت هتموتني من

يومين .. بس .. هو ده كل الموضوع .

يبدو أنها لم تقتنع لكنني أنجزت الحوار وتوجهت إلى مكتبي لكي أباشر عملي .. كان العملاء الذين يجلسون أمامي اليوم تصيبهم حالة غريبة جداً لدرجة أن من يجلس لا يود أن يقوم من أمامي ويظل يتحدث في أشياء كثيرة وتفاصيل لم أتعرض إليها منذ أن بدأت عملي في هذا المكان، لدرجة أنهم أحياناً كانوا يسألونني عن أشياء ليس لها علاقة بأساس الموضوع

الذي جاءوا من أجله .. كنت أتقبل الأمر وأبتسم في وجوههم من أجل قضاء وإنجاز العمل .. وأنا أدرك بيني وبين نفسي أنهم معذورون ، فالمرأة عندما تكشف عن جمالها يصبح لها قوة لا تقاوم .. وهذا ما أصابهم .. المهم .. انتهيت من عملي الذي حققت به أكبر إنجازات وتعاقدات جديدة منذ أن توليت العمل إلى اليوم .. لدرجة أن مديري أصيب بحالة من الدهشة من كثرة التعاقدات التي أتمتها بمفردي اليوم .. وأبدى إعجابه الشديد بي معللاً بإنجاز اليوم بشدة سحري كأثنى وجمال منظري وقوة جذب عطري دون أن يبدي أي حرج فيما يقول .. تقبلت مجاملته الصريحة وتوجهت إلى خارج الشركة .. وقررت أن أتناول الغداء خارج المنزل .. عرضت الأمر على هاجر فوافقت وذهبا .. سرنا في الشوارع نتنزه بعد أن تناولنا الطعام .. كانت نظرات وكلمات الإعجاب تنزل علينا كالمنزل لكننا لم نهتم بذلك .. وما إن أدركنا التعب إلا واستقلت كل منا تاكسي وتوجهت به إلى منزلها .. ما إن وصلت إلى منزلي إلا وقمت بتغيير ملابسي وجلست أمام جهاز التلفزيون قليلاً وأنا أتناول الشاي حتى أدركت رغبتني في النوم .. توجهت إلى غرفة نومي وأمسكت بقلمتي وأحضرت أوراقتي لكي أسجل ما جرى ...

يبقي شيء آخر .. لن أموت إلا مرة واحدة .. وعلى أن أستغل كل لحظة أعيشها وأحولها إلى سعادة حتى أموت .

اليوم التاسع والثلاثون

صباح بلا أي متاعب .. دون هم أو حزن أو أوجاع .. صباح دون رجل يشعر بأنني ما زلت على قيد الحياة أو في أمس الحاجة إليه .. صباح دون وجع قلب وهم ولهفة .. صباح جميل وشعور أجمل أن تستيقظ من النوم ولا تجد ما يعكر صفوك .. لا تفكر في شيء يزعجك .. لا تهتم بأي شيء في هذه الحياة إلا سعادتك .. ابتسامتك .. أظن أن النسكافيه الذي أتناوله الآن له تأثير في هذا الأمر .. ربما يكون هذا حقاً .. أظن أنني أداعب نفسي من أجل مزيد من الابتسامات الصافية التي تزيد من البهجة والسرور .

وللمرة الأولى منذ أن عرفت هاجر وأصبحنا أصدقاء .. أنا من يتصل بها ويوقظها من النوم .. كادت لا تصدق عينيها كما قالت لي عندما نظرت إلى الهاتف ووجدت أنني المتصلة .. وفي الحقيقة يجب أن ألتمس لها العذر .. فليس من الطبيعي أن تتعود على شيء لمدة كبيرة وفي ليلة تتغير دون أن يبدو عليك أي تأثير بهذا التغير .. المهم أنهيت مكالمتي لها وقمت بالجلوس أمام مرآتي لكي أصف شعري وأعدل من هيئتي .. أصبحت أمكث كثيراً أمام المرأة لكن هذا أمر طبيعي ربما ألجأ إليه في ظل حالتي

المعنوية التي أعيشها الآن ..

توجهت إلى العمل وفي الطريق جاءني رسالة على هاتفي الذي يحمل الرقم القديم .. ظننت في بداية الأمر أنها رسالة ممن أنتظره .. ربما لهفتي إلى من يشعر بما في داخلي هي التي دفعتني إلى ذلك .. ربما .. لكن من المضحك أنني أفتح الرسالة لكي أجدها رسالة من الشركة تنبهي بموعد سداد الفاتورة .. لم أجد أمامي سوى تلك الضحكة الساخرة التي لفتت انتباه سائق التاكسي الذي نظري عبر المرأة والدهشة تملأ ملامح وجهه ولسان حاله يقول: ما تلك المرأة المجنونة التي تركب معي ..

المهم وصلت إلى مقر عملي وكانت هاجر قد وصلت قبلي ولا أعلم كيف حدث ذلك بالرغم من استيقاظي قبلها .. الغريب أنها دائماً تكون من أول المتواجدين في المكان وتقوم بتحضير الفطور لنا دون أن تشعر بالملل أو بالتحفظ في أي شيء مما تقوم به لنا .. إنها إنسانة جميلة على أي حال ومن الفخر أنها صديقتي .. تناولنا الطعام واتجه كل منا إلى مكتبه .. وأثناء قيامي بعملي رن هاتفي مجدداً .. أمسكت بالهاتف لكي أجيب .. إنه رقم مجهول .. لكنه ليس ذلك الرقم المجهول الذي أعلمه .. إنه رقم جديد .

- ألووو .

- أيوه مين .

- الأستاذة ميران معايا؟

- أيوه مين حضرتك ؟

- مش مهم حضرتك تعرفي أنا مين .. المهم إنك تعرفي إنك حاجة مهمة جداً وغالية أوي في حياة شخص عزيز علي وهو دلوقتي محتاج لك أوي .
- ويا ترى مين الشخص ده بقى؟

هنا انقطع الاتصال .. حاولت أن أعيد الاتصال بهذا الرقم .. لكنني لم أستطع غير سماع صوت الرسالة المسجلة التي تخبرني بأن الهاتف الذي تحاول الاتصال به ربما يكون مغلقاً أو خارج نطاق الخدمة .. يا له من أمر يدعو إلى القلق والتوتر .. ترى من هو المتصل؟ ومن هو ذلك الشخص الذي في أشد الحاجة إلي؟ ترى هل ما حدث منذ قليل كان يحمل حمل الجد أم أن المتصل يحاول أن يبث بداخلي حالة من القلق والتوتر والحيرة ليس أكثر؟ حاولت كثيراً الاتصال بهذا الرقم لكن دون فائدة .. ظل عقلي مشغولاً بهذا الأمر إلى أن انتهى يومي العملي وتوجهت إلى منزلي مرة أخرى .. وبين الحين والآخر أحاول أن أتصل به .. لكنني لم أسمع إلا تلك الرسالة المسجلة .. من هنا جاءتني حالة تأكيد أن المتصل حاول أن يبث بداخلي حالة من القلق والحيرة والتوتر التي ليس لها أي أساس من الصحة .. وإن كان صدق في قوله .. لماذا ترك هاتفه مغلقاً طوال هذا الوقت .. إنه يهذي ويحاول أن يعكر صفوي ليس أكثر .. لكنني لن ألتفت إلى تلك المحاولات التي لا تجدي بالمرّة .. ثم إن كان الأمر صحيحاً .. لماذا لا يكشف عن هويته؟ لماذا لم يخبرني عن هوية ذلك الشخص الذي في أشد الحاجة إلي حسب قوله؟ أظن أنني أضيع وقتي في التفكير في هذا الأمر .. والأجدى ألا أنشغل به نهائياً ..

بالفعل أخذت قرارى بعد التفكير فى الأمر وقمت متوجهة إلى المطبخ بعد أن تملكنى شعور غريب بالجوع .. أحضرت طعامى وتناولته وأنا أجلس أمام شاشة التليفزيون .. وأثناء ذلك جاءنى اتصال هاتفى جديد:

- ألووو .

- ألووو أيوه يا ميران .

- إزيك يا رويده عامله إيه؟

- أنا بخير الحمد لله .. إنتى عاملة إيه؟

- كويسة الحمد لله .. مالك فيه حاجة؟

- لا يا حبىبتى .. أنا بس باتطمئن عليكى .. بقالك كام يوم مش بتكلمينى .

- معلىش يا حبىبتى .. ظروف الشغل بقى .

- ربنا يكون فى عونك .

وأخذنا نتبادل الحديث والحوارات قرابة النصف ساعة .. اطمأنت على حالها وعلى حال زوجها وكذلك عملها .. وأثناء حوارنا سألتنى عن زوجى .. كان السؤال عادياً .. وكانت الإجابة أيضاً عادية .. واستشعرت أننى لا يروق لى الحديث عنه .. سألتنى هل يوجد بيننا مشكلة أو ما شابه ذلك .. لكننى حولت دفة الحديث إلى شيء آخر .. ربما تكون مفاجأة تزفها أختى الصغيرة لى .. لكن تحديد نوعها هو الذى يمثل شيئاً صعباً بالنسبة لى .. إنها تخبرنى بأنها حامل فى شهرها الثالث .. هذا يعنى أنها بعد ستة أشهر سوف تنجب مولودها .. إنه خبر فى غاية الروعة وشدة

القسوة ..

باركت لها وشاركتها سعادتها وداعتها بعض الوقت وأنهيها المكاملة .. ذهبت هي لكي تكمل فرحتها مع زوجها وتركتني بين مشاعر مختلطة لا أدري ماذا أفعل .. هل أترك نفسي لمشاركة أختي الصغيرة فرحتها وسعادتها أم أندب حظي وأنعي نفسي على هي؟

في حقيقة الأمر لن أستطيع أن أخفي حزني وهمي وعزلي التي أعيش فيها .. أشعر أنني كلما ذهبت بعيداً عن ذلك الهاجس تجرفني الظروف إليه .. أشعر وكأنني كتب علي الشقاء والعذاب والوحدة بين أركان تلك الغرفة .. وكلما حاولت أن أخرج من ذلك السجن لا أستطيع .. كل شيء يدفعني إليه مجدداً .. ربما ليس من الصواب أن أقول هذا الآن لكن تلك هي الحقيقة التي يجب أن أسلم بها ولها .. أنا أعيش في سجن .. لا طفل .. لا زوج .. لا حنين .. لا حب .. لا أي شيء غير عذاب في عذاب .. ضمير يجلد .. روح تسلب .. إرادة أشبه بالمعدومة .. كلما حاولت الخروج من ذلك النفق المظلم أجد من يقف حائلاً بيني وبين الخروج .. أخيراً وبكل صدق .. الحياة أصبحت قبراً والأحزان تكفيني . أصبح على خير .

اليوم الأربعاء

إنها الحياة .. دائماً ما تصنع منا أمواتاً ونحن على قيد الحياة .. أجساد بلا روح .. قلوب بلا نبض.

قليلاً ما تختلف النظرية .. قليلاً ما نكون أحياء على قيد الحياة بداخل أجسادنا أرواح وقلوبنا تنبض .. قليلاً ما نضحك من أعماقنا بلا حزن ولا هم ولا عذاب .. يبدو أن ذلك هو المتاح .. وكأن الفرح والسعادة والراحة مجرد هدنة قصيرة أو استراحة مقاتل في انتظار بدء حرب جديدة مع الحياة التي يعيشها.

بالأمس أخبرني أختي الصغيرة خبر حملها .. كنت قد بادلتها الفرحه والسعادة ودموع عيني تنهمر على حالي .. أنا الأكبر .. أنا من تزوجت أولاً .. أنا من يجب أن تنقل لها هذا الخبر قبلها .. لكن ما حدث هو العكس تماماً .. وكأني أسبح عكس التيار .. وكأني أحطم كل القواعد والنظريات الافتراضية المتعارف عليها.

بداخلي حزن لا يوصف .. كنت قد ألمحت في كتاباتي سابقاً عن مدى شعوري بل شغفي بفكرة الإنجاب .. كان لرؤيتي لهؤلاء الأطفال الذين

يلعبون ويلهون بداخل أسوار النادي مفعول السحر .. ربما تغلبت على هذا الشعور في الماضي بتلك الأسباب التي ذكرتها وحملت نفسي الجزء الكبير منها لكنني الآن أرفض كل ذلك ولا أقبل أن أحمل نفسي أعباءً جديدة .. أنا في نهاية المطاف أنثى ودائماً ما تكون الأنثى على خطأ بحكم ما يسمى بالدلع أو الدلال .. نعم .. كنت كذلك عندما طلبت من زوجي تأجيل فكرة الإنجاب .. لكنني الآن أدركت حجم الخطأ الذي وقعت فيه .

قالتها كوكب الشرق فيما مضى وأقولها أنا الآن: تفيد بإيه يا ندم وتعمل إيه يا عتاب!

يبدو أنني أسخر من حالي أكثر مما يجب .. علي أن أكون رحيمة على حالي أكثر من هذا .. وكما قالت أيضاً كوكب الشرق: يا حبيبي كل شيء بقضاء .. حقاً كل شيء بقضاء ... يبدو أنني أهذي لكن الأمر طبيعي جداً فمن الضروري أن أهذي بعض الشيء حتى أستطيع أن أستعيد توازني.

فأنا منذ أن استيقظت أحاول أن أتغلب على هذا الشعور .. كم هو مؤلم حيث جعلني أفتقد الكثير من تركيزي لدرجة أنني لم أهتم بأي شيء مما كنت أهتم به على مدار اليومين السابقين .. بل إنني لم أستطع أن أنام بالشكل المعتاد والمرجو .. أنا وبكل صدق أشعر بحالة من الاختناق الشديد ربما تتحول إلى حالة اكتئاب .. فالصراع بداخلي وصل إلى ذروته .. عندما توجهت إلى عملي في الصباح لم أقم بالاتصال بصديقتي هاجر

كما هو معتاد منذ يومين .. ولم أهتم بمداعبتها عندما قامت هي بمهافتي .. الأمر كله بالنسبة لي أصبح عادياً .. ليس ذلك فحسب .. بل إنني لم أشعر بمذاق الطعام الذي أتناوله في الصباح معهم .. وعندما جلست على مكثبي لكي أقوم بعملتي .. لم أهتم بمحتوي الأوراق التي بين يدي ولم أبد أي تعليق على أي شيء كالعادة .. لم أتجاوز كثيراً مع العملاء .. كان كل ما يعني أن أنجز عملي دون الالتفاف إلى أي شيء آخر .. ليس ذلك فحسب .. بل إنني قمت بفعل شيء لم أقم بفعله منذ فترة بعيدة من الزمن .. لقد قمت بإغلاق هاتفي منذ أن جلست على مكثبي داخل الشركة ولم أهتم بمن يتصل .. وكأني لا أرغب في أن أسمع صوت أحد على الإطلاق .. على ما يبدو أن ذلك يدل على تلك الحالة السيئة التي وصلت إليها .. عموماً جيد جداً أن أغلق هاتفي لكي أستمتع بقليل من الراحة وعدم الإزعاج .. وما هو العائد من فتح ذلك الهاتف إلا وجع القلب والرسائل المجهولة وكذا تلك المكالمات التي لا تدعو إلى التفاؤل وتزيد العقل والقلب حيرة .. يكفي ما يجري في تلك الأيام الماضية.

بعد عودتي إلى المنزل جلست بعض الوقت وأنا في حيرة من أمري .. ما زال التفكير في شأن الإنجاب والحياة عموماً يستحوذ على كل جوارحي .. يبدو أنني أعشق الهم والحزن أو أنه يعشقني .. المهم أنه يلاحقني ولا أستطيع التخلص منه .. أخذت قرارتي بالخروج من ذلك السجن الذي سوف يؤدي بحياتي .. بالفعل ارتديت ملابستي وخرجت من منزلي وأنا لا أعلم قبلي التي سوف أتوجه إليها .. كان ذلك لا يهم بقدر ما يهمني

الخروج .. ربما يكون هروباً من الواقع أو التفكير .

سرت في الشوارع كهؤلاء المجانين الفاقدين للوعي .. أحاول أن أنسى أنني بداخلي جرح عميق من الفراق والهجر والعذاب .. أحاول أن أتغلب على الأوضاع التي تضرب بقلبي وعواطفني .. أحاول أن أكون امرأة أخرى غير التي تكتب تلك الكلمات الآن .. لكن كل محاولاتي باءت بالفشل فلم أستطع نسيان ما أتمنى نسيانه .. بل زاد الأمر صعوبة عندما ساقنتني أقدامي إلى شاطئ النيل حيث كنت أجلس أنا وزوجي فيما مضى عندما كنا في بداية علاقتنا .

في هذا المكان كنا دائماً نحلم بغد مشرق مبهج يحمل لنا في طياته الكثير من البهجة والسرور .. كنا نحلم بأسماء أبنائنا عند إنجابنا لهم .. كيف سنقوم بتربيتهم .. كيف سيكون منزل الزوجية .. ما هي الألوان التي سوف ندهن بها الحوائط .. كل ذلك كنا قد تحدثنا به في هذا المكان .. والآن أين هي تلك الأيام؟ إنها سارت من الماضي .. لا أثر لها .. لا دليل على وجودها .. ولم يبق منها إلا ذكريات ترفض أن تعود لنحقق ولو جزءاً بسيطاً منها .. لا أعلم ما هو الذنب الذي أذنبته من أجل تلك المعاناة الشديدة التي أعانيها الآن .. فقد أحببت .. لا أكثر .. بداخلي قلب ينبض وروح تعشق وتسبح في بحور هيام .. بلا أوهام .. تلك هي الحقيقة التي يجب أن أصادق نفسي بها .. إنني أعيش في أوهام ماضي .. فزوجي لم يعد يحبني وأحلامي لم تتحقق .. وأنا أعيش حياة بلا هدف ولا قيمة .. أنا أصبحت رمزاً للمرأة المحطمة المكسورة التي ليس لها أي

وجود .. يجب أن أكف عن هذا التفكير الآن .

رجعت إلى منزلي بعد أن تملكني التعب وازداد الهم والحزن والألم ..
وكان الدنيا أصبحت سجنًا كبيراً وجلادي هو ضميري وعقلي الذي
يأخذني إلى الماضي والذكريات .. لا أعلم كيف أنهى من هذا الأمر ..
فكل شيء يزداد صعوبة ولا أستطيع أن أقاوم تفكيري .

توجهت نحو الحمام لأضع رأسي تحت الماء البارد حتى تكف عن
التفكير .. بل هداني تفكيري أن أملأ البانيو بالماء البارد وأغوص بداخله
من أجل أن تسترخي أعصابي التي كانت على أشدها .. وبالفعل قمت
بذلك .. أغلقت عيني وبدأت في تنظيم أنفاسي وأنا أستمتع بالماء البارد
الذي تحول إلى عامل مساج وبدأ في عمله للتو ليكسبني شعور الاسترخاء
الذي كنت في أشد الحاجة إليه .. استغرق الأمر وقتاً كافياً لدرجة أنني
ظننت للحظة أنني على وشك أن أذوب من كثرة جلوسي في الماء .. فقمت
وارتديت ملابسني وخرجت إلى غرفتي وأمسكت بقلممي وأوراقي لكي
أكتب ما كنت أشعر به من الألمس إلى تلك اللحظة .

ويبقى أن أقول شيئاً هاماً للغاية:

لا يوجد قلب بلا نبض وجوارح وأحاسيس .. ولا يوجد عقل دون
تفكير وتدبير .. ولا تستطيع أي أنثى مهما كانت قوتها أن تعيش بلا حب .

اليوم الواحد والأربعون

لا تستلم لليأس مهما حاول التملك منك!
يجب تحطيم كل القيود من أجل الوصول إلى الحرية .. فلا توجد حرية
بلا قيود ولا يوجد معنى للحياة بلا حرية ..
الخروج من النفق المظلم يحتاج إلى قوة عزيمة وصبر يوازي صبر أيوب
.. ومن الحكمة أن ندرك قيمة وأهمية العقل حتى نصل إلى ما نبغي .
أما إذا كانت أزمته عاطفية فعليك أيضاً بأن تصغي إلى صوت العقل
ولا تتعجل الأمور ولا تسيئ الظن بمن تحب .
تلك الكلمات قرأتها في أحد المقالات بإحدى الجرائد التي وقعت تحت
يدي اليوم وأنا في مقر عملي .. أنا لم أعتد قراءة الجرائد .. وما فائدتها
بالنسبة لي؟ فأنا لا أهتم بما يجري وما يحدث .. وليس لي شأن بالسياسة
ووجع الرأس وتلك الحروب الباردة بين أحزاب المعارضة والسلطة ما
دمت أعمل وأجد قوت يومي .. ثم إن معظم الأخبار أعرفها من خلال
الإنترنت .. لكن ما لفت انتباهي في الجريدة هي تلك الكلمات التي ربما
تكون كتبت اليوم من أجلي أنا .. ربما يكون كاتبها يشعر بما أنا فيه من هم

وحزن .. ربما يسمع صوت أنين قلبي .

أخذت أتصفح الجريدة التي يوجد بها باب خاص بالمرأة ومشاكلها .. بدأت في القراءة .. هناك أوجاع كثيرة ومشاكل جمة تواجهها المرأة في هذا المجتمع .. بين السطور سبحت في قصص أرسلها أصحابها لتتشر في الجريدة .. إنها قصص حياتهم الخاصة .. معظمهن يعانين من التجاهل لمشاعرهن .. يبدو أن نساء هذا المجتمع يعانين بشدة فقر المشاعر وتبادلها تجاه الرجال .. أو يبدو أن الرجال فقدوا حاسة الحنين للمرأة وكأنها ذات دور مهمش في تلك الحياة .. بين حروف القصص استشعرت حزناً دفيناً دفع هؤلاء النساء إلى كتابة أوجاعهن .. فهناك امرأة لم تبلغ عامها الخامس والعشرين أرسلت إلى المحرر تشكو حالها وما أصابها .. إنها تزوجت من شاب يكبرها بعامين فقط .. كانت تربطها قصة حب منذ خمس سنوات .. جاهدت من أجله وحاربت كل أعضاء أسرتها بالكامل من أجل الزواج منه .. وبالفعل تزوجت منه رغماً عنهم .. وتحملت الكثير من المتاعب في بداية الأمر من أجل إتمام الزواج .. لدرجة أنها تغاضت عن أحلامها في مسكن جيد يرقى لمستوي المعيشة .. وارتضت أن تعيش معه في غرفة وصالة وحمام بسيط .. ذقت الأمرين من أجل سعادتها حسب وصفها .. كانت تتناول وجبة واحدة في اليوم لعدم توافر ثمن باقي الوجبات .. قاطعها أهلها بعد زواجها مباشرة .. لم تهتم بذلك .. ارتضت أن يكون هو كل أهلها وأسرتها الصغيرة التي تحلم أن تكبر يوماً بعد الآخر .. مر عام وأنجبت أول أطفالها .. اشتد الأمر عليها .. يعمل زوجها شهراً

ويجلس دون عمل شهراً آخر .. الحياة تزداد صعوبة والأمور تزداد تعقيداً .. تتحمل من أجل صغيرها .. تحاول أن تشد من أزر زوجها .. استمر الوضع على ما هو عليه إلى أن أنجبت مولودتها الثانية .. زادت الأعباء .. كثرت المصاريف .. بدأت المشاجرات .. زادت التوترات إلى أن انتهت العلاقة فيما بينهما بالانفصال .. ذهبت إلى أسرتها نبذوها .. حاولت العودة مجدداً لكن كل المحاولات باءت بالفشل .. والآن هي لا تجد من يأويها وصغارها من برودة الشوارع .. تلقي بأعبائها على أصدقاء الأمس .. يتقبلونها يوماً أو يومين أو ثلاثة على الأكثر ثم ينبذونها ولهم كل الحق؛ فهم لا يقوون على تحمل أعبائها لمدة أطول من ذلك .. وكان هذا جزاء حبها لزوج لا يعي معنى الحب .. ولا يدرك معنى المسؤولية.

حقاً إنها قصة موجهة تثير المشاعر وتدمي القلوب .. ليتني أعرف طريقاً لها كنت جئت بها إلى منزلي لتعيش معي هي وصغارها .. لكن على ما أظن أنني لا أستطيع أن أفعل أكثر مما فعلته إلا وهو أن أحزن لها وأدعو الله أن يخفف عنها آلامها ومحنتها التي تمر بها.

لم أكن أظن أن هناك أناساً بهذه القسوة على أطفالهم وزوجاتهم .. كيف لرجل أن يترك زوجته وصغاره إلى هذا المصير .. إنه حقاً رجل منعدم المشاعر .. الحمد لله على أنني لم أكن في مكانها .. ربما لم أستطع تحمل كل هذا العناء .. ربما أقدمت على الانتحار والخلاص من كل هذا العذاب .. شعور موجه عندما تضحي بكل غالٍ من أجل من لا يستحق التضحية والإخلاص .. ليت قلبها لم يعرف الحب يوماً.

لم أتحمل قراءة كل القصص التي كانت بالجريدة بعد أن قرأت تلك القصة المؤثرة .. اكتفيت فقط بقراءة مقتطفات .. كلهن أشد قسوة ومرارة عما قبلهن .. يبدو أن كل النساء معذبات .. قلبي ينفطر لهن .

أنهيت عملي وتوجهت إلى منزلي وأنا أشاهد صورة رسمتها في خيالي لتلك الفتاة التي راسلت الجريدة .. تخيلت ملامح وجهها والحزن يملأه .. أظن أن قلبي تعلق بها لدرجة كبيرة .. حاولت أن أنسى كل ما سبق .. أخذني حنيني إلى التفكير في زوجي بعض الشيء .. ربما يكون علي أن أكون أكثر تسامحاً معه .. ربما عليه أن يكون أكثر إحساساً بي .. مر الكثير من الوقت ولم يفكر في الاتصال بي .. لن أتطرق إلى التفكير بهذا الأمر .. أظن أنني انتهيت منه .. أظن أنني لا ينبغي أن أفكر في الأمر من الأساس .. ها أنا جالسة كما لو لم يتغير شيء .. وعندما يأتي سيجدني كما أنا .. وحتى إن لم يأت سابقاً .. كما أن الأمر الآن أصبح لا يمثل عبئاً كما كان سابقاً ..

لن أبحث عن ذلك المجهول الذي تخلصت منه ومن اشتياقي إليه هو أيضاً .. نعم .. أنا الآن أكثر قوة مما سبق وأستطيع أن أتحمل وأتغلب على كل هذه المصاعب والمتاعب .

الأمر أصبح متتهياً .. أنا لن أشتاق إلى أي شخص مهما كانت الظروف والدوافع حتى إن كان زوجي الذي يربطني به رباط مقدس .. أعلن أنني قد قمت بتجميد كل مشاعري وجوارحي وأحاسيسي .. أذف إلى أوراقي خبر توقف قلبي عن النبض لحين إشعار آخر .. ولا مكان للدموع بعد

اليوم .. ويجب أن أطوي تلك الصفحة الآن قبل أن تنهمر دموعي ..
يا لضعف الأنثى! لا تقوى على التحمل حين أن تنتهي من قرار صارم
يقضي بجرح مشاعرها .. في النهاية هي أنثى أضعف وأرق ما خلق الله .
للهروب من هذا المأزق الذي وضعت نفسي به توجهت إلى هاتفي
وحدثت أختي الصغيرة لكي أطمئن عليها وعلى صحتها .. فهذا الأمر
إن كان ضرورياً بالأمس فهو الآن ضروري للغاية .. يجب ألا يمر يوم
دون أن أطمئن على صحتها .. ليس هي وحسب بل يجب أيضاً أن أطمئن
على أخبار جنينها الذي بدأ يتشكل بداخلها .

شعور جميل لا يوصف .. المهم .. أخبرتها أنني سوف أنتهي من عملي
غداً .. وأستقل الحافلة المتوجهة نحو تلك المنطقة الساحلية التي تقطن
بها .. وأقضي معها عطلتي الأسبوعية .. وقع عليها الخبر بسعادة شديدة
للعناية لدرجة جعلتها تصرخ وتطلب من زوجها أن يفرغ نفسه منذ الآن
لاستقبالي .. يا لها من مجنونة تلك الصغيرة! كم أعشقها وأشعر بالذنب
تجاهها .. أحبك بدرجة الجنون أيتها الأخت الجميلة .. وودعتها وأغلقت
الهاتف .. والآن يجب أن أغلق دفترتي لكي أخلد إلى النوم .

اليوم الثاني والأربعون

لا يوجد أجمل من أن تطلق خيالك العنان ليصل إلى السماء، وتشرّد في فضاء صحراء صافية .. تشعر حين ذلك أن الجميع يسير في اتجاه وأنت تسير في اتجاه آخر تماماً .. لا علاقة له بمن حوله .. وهناك لحظة فارقة .. يصفو فيها ذهنك من كل الأوجاع .. تنزع في تلك اللحظة ثيابك التي ترتديها وتستبدلها بأخرى .. تجعلك خارج نطاق هذا العالم .. تذهب إلى عالم آخر تماماً بعيداً كل البعد عن الأرض وتجذ فيه من تحب وما تحب فقط .. تكون في تلك اللحظة بمثابة السلطان .. تأمر .. تنهى .. تصنع من وحي خيالك ما تحب .. تهدي تلك الأشياء الثمينة لمن تحب .. تزرع الخير في عالمك الجديد .. تنبذ الشر والخلافات .. إنه عالم أشبه بتلك المدينة الفاضلة.

إلى أن تأتي اللحظة وتعود إلى عالمك مجدداً .. هي لحظة أيضاً ذات أثر بالغ .. وغالباً ما تسقط دمعة من عينك فيها وأنت تأخذ نفساً عميقاً وتحدث نفسك قائلاً: ليت ذلك الحلم يتحقق .

هذا الشعور دائماً يراودني وأنا في أي طريق طويل أثناء سفري ..

أعشق هذا الشعور بشكل لا يوصف .. إنها حالة من الراحة الوجدانية التي طالما أبحث عنها .. ولا أجدها إلا في تلك الرحلة خلال الساعات القصيرة من وجهة نظر سائق الحافلة .. الطويلة جداً من وجهة نظري ومن مثلي بداخل الحافلة .. كم نود ألا تنتهي سريعاً .. لكن وكما ذكرت سابقاً لا شيء يدوم على حاله .. فكل يوم بل كل دقيقة تجد هناك مستجدات.

كان يومي منذ البداية مرتباً ومنظماً للغاية .. كل شيء له موعد محدد لا ينبغي أن أتخلف عنه .. كل خطواتي كانت محسوبة ومحددة .. استيقظت قبل موعد عملي بوقت كافٍ جعلني أقوم بتحضير حقيبة سفري .. وضعت بداخلها كل ما أحتاج إليه في تلك الرحلة من ملابس ومستلزمات تجميل وما شابه ذلك .. وكان أهم ما في الأمر هو ذلك الدفتر الذي أسجل به الآن يومي .. نعم .. لا بد أن يصاحبني في كل مكان أذهب إليه .. فهو الآن أصبح رفيق دربي ... ومن المستحيل الاستغناء عنه مهما كانت الأسباب .

انتهيت من تحضير حقيبتي وقمت بتصنيف شعري وتحسين مظهري ثم توجهت إلى العمل .. وما إن وصلت وتناولت الفطور بين الأصدقاء والزملاء إلا وتوجهت نحو مكتبي بسرعة لكي أنجز عملي على أكمل وجه وفي أسرع وقت .. بعد أن قمت باستئذان مديري بالذهاب مبكراً ساعة عن موعد العمل الرسمي وشرحت له أسباب ذلك ووافق لي على طلبي .

انتهيت من عملي وخرجت من مقر الشركة واستوقفت تاكسي متوجهة إلى المنزل لكي أحضر حقيبة سفري، أثناء ذلك كنت قد قمت وأنا في الطريق بالاتصال بشركة النقل البري لكي أحجز مقعداً بداخل الحافلة المتوجهة إلى تلك المدينة الساحلية التي تقطن بها أختي الصغيرة .. وما إن وصلت للمنزل وصعدت إلا ونزلت مباشرة بعد أن قمت بجلب الحقيبة .. واستوقفت تاكسي مجدداً وتوجهت به إلى المحطة التي ستنتقل منها الحافلة .. وهناك حصلت على تذكرتي بعد أن دفعت الرسوم المالية المطلوبة .. وتوجهت إلى داخل السوبر ماركت المجاور للمحطة وقمت بشراء بعض مستلزمات الطريق ثم عدت مرة أخرى إلى المحطة في انتظار التأهب للإقلاع.

تحركت الحافلة لتخرج بنا من المدينة متوجهة إلى الطريق الصحراوي الذي يربط بين العاصمة وبين تلك المحافظة المتوجهة إليها الآن .. وما إن مر وقت قليل من التحرك إلا وسمعت صوت هاتف يرن.

- ألووو .

- ألووو .. أيوه يا رويده.

- إيه يا حبيبتى .. اتحركتي من عندك ولا لسه؟

- آه يا حبيبتى .. الأتوبيس اتحرك من حوالى نص ساعة .

- طيب أوكي .. أول ما توصلي الرست كلميني علشان أخلي هيثم يتحرك لك على طول.

- طيب يا بنتي ما تسيبيه يشوف شغله وأنا آخذ تاكسي وأجي لك ..

أنا عارفة الطريق كويس .

- يا سلام يا أختي .. طيب ودي تيجي .. لما توصلي الرست يا ميران كلميني من فضلك .. وبعدين أنا كده كده هاتابعك على الطريق .
وما كان أمامي إلا أن ألتزم بما تطلبه مني وأطيعها من أجل إ راحتها فهي أيضاً يجب ألا تتعرض إلى أي ضغوط من أجل تجنب مخاطر الحمل كما أبلغتني .

بدأت الحافلة في الخروج من المدينة للطريق الصحراوي .. الوقت الذي قطعناه ليس بكبير .. أجريت أثناء ذلك مكالمة هاتفية أطمئن من خلالها على هاجر وأخبرها بأنني قد تحركت كما طلبت مني ..
ومن أجل التغلب على الوقت والشعور بالملل بدأت في سماع الموسيقى عبر هاتفي وذلك من خلال وصلة سماعة الأذن .. ومن خلال الهاتف الآخر بدأت أتصفح حسابي الشخصي عبر فيس بوك ..
ربما أكون الآن أستخدم كل الوسائل المتاحة التي تضيع الوقت دون أي إرهاق ..

لم أتصفح حسابي عبر فيس بوك منذ مدة .. ربما يعود ذلك إلى تلك الرسالة التي أرسلتها إلى زوجي وانتظرت رده لكنه لم يرد .. لا أود الخوض في أمور تؤلمني كثيراً .. المهم أنني وجدت رسالة من أخي كان يطمئن على حالي ويطمئني على أحواله .. تركت أنا الأخرى رسالة له أطمئنه عني وأطمئن عليه وأخبره بأنني في طريقي إلى رويده لأقضي معها العطلة الأسبوعية .. تصفحت بعض الأخبار وآخر ما هو مدون

والتعليقات الساخرة والهامة أيضاً .

لم يمر كثير على ما أفعله إلا ووجدت نفسي بداخل الرست .. لم أكن أصدق أنني قطعت نصف مسافة الطريق بهذه السرعة دون أن أشعر .. يا لها من مقومات شديدة المفعول لإهدار الوقت تلك التي أستعين بها!

أخرجت هاتفي وأجريت مكالمة هاتفية بأختي الصغيرة وأخبرتها بمكاني حتى لا تغضب ويكون زوجها على استعداد للتحرك .. وبعد أن انتهيت توجهت إلى الحمام لأغتسل ثم خرجت وتناولت فنجاناً من القهوة الساخنة .. وبعدها عدنا إلى الحافلة لكي نواصل رحلتنا .

بدأت الحافلة في التحرك ولم أستعن هذه المرة بكل الوسائل المتاحة لإهدار الوقت كما حدث .. فلم ألتفت إلى فيس بوك .. واكتفيت فقط بأن أستمع بالطريق وأنا أستمع إلى الموسيقى .

شرد بي خيالي وأنا أنظر إلى السماء عبر النافذة في عالم ممتلئ بالحنين .. نعم .. لقد تذكرته .. تمنيت أن يكون معي الآن يصاحبني في تلك الرحلة .. تذكرت أيضاً كم مرة قمنا بها بتلك الرحلة مع بعض .. كنا دائماً نقضي عطلتنا السنوية هنا في تلك المدينة التي أنا ذاهبة إليها الآن . إنها المرة الأولى لي في تلك المدينة من غيره ... ياااه .. كم كنت أتمنى ألا تأتي من غيره .. كم أنا مشتاقة إليه ! ترى ما هو سر غيابه .. لماذا لم يسأل عني إلى الآن ؟ هل من المعقول ألا أخطر بباله لهذه الدرجة ؟ لن أغفر له كل هذا العذاب الذي أعيشه بدونه .

لم أستطع أن أعبر عن كل ما بداخلي تجاهه .. الوقت حاصرني وقاطعني بوصول الحافلة إلى المحطة .. اكتشفت أن زوج أختي هاتفني كثيراً ولكني لم أجب .. اعتذرت له وأنا أهاتفه وأبلغه بوصولي .. استقبلني وأقلني إلى مكان إقامته هو وأختي التي ما إن رأني إلا وارتمت في حضني كطفل صغير رأى أمه.

اليوم الثالث والأربعون

ما أجمل أن تعيش لحظات بين أناس يحبونك ويبادلونك كل سبل الحنين! أنت في تلك اللحظة إنسان آخر مختلف تماماً عما كنت عليه قبل أن تصل إلى من تحب .. أظن أننا في أشد الحاجة إلى تلك الحالة دائماً.

روعة وحفاوة الاستقبال التي وجدتتها من أختي الصغيرة بالأمس ومن زوجها لا توصف بأي كلمات .. إنها حقاً شيء رائع وشعور ما بعده شعور .. ما أجمل أن يحتضنك أقرب شخص إليك غير زوجك .. إن علاقة الحب التي تتكون بداخلك إلى أخوتك لا تقارن بأي حب آخر حتى وإن كان هذا الحب هو حب الزوج والطفل وأي شيء آخر .

لا أظن أنني بحاجة إلى أكثر من ذلك .. فمنذ أن وصلت إلى منزل أختي وهي تكاد تحملني من على الأرض وتضعني فوق رأسها .. وما إن رأت في يدي حقيبتني إلا وعنفنتني بقسوة .

- أنت إيه اللي في إيدك ده يا ميران؟

- إيه ؟ لبسي !

- وإنتي جاية بلبسك ليه .. هو مفيش هدوم هنا؟

- وإيه اللي هاخليني أجيب من هنا وأنا عندي هدومي .
 - هدومك دي تلبسها في بيتك هناك .. إنما وإنتي هنا عندي كل حاجة لازم تكون تحت أمرك .

منطق غريب ذلك الذي كانت تتحدث به رويده .. هل من الطبيعي أن أقوم بشراء ملابس جديدة وأنا هنا؟ لماذا يعني كل هذا؟ لكنني اكتشفت أن كل ما تقصده أنها لا تريد أن أتحمل عناء حمل الحقيبة التي في يدي .. يا لها من مجنونة تلك الصغيرة! لكن هي دائماً هكذا تفكر بأسلوبها الخاص ولا تهتم بأي شيء آخر .

تناولنا العشاء في ذلك المطعم السياحي الذي يمتلكونه .. إنه حقاً مكان فاخر للغاية .. ما أجمل الديكور الذي أشرفت هي على تصميمه! فبرغم من دراستها للسياحة والفنادق هي وزوجها إلا أنها صاحبة خيال عالٍ في تلك الأمور المتعلقة بالديكور والرسومات وما شابه ذلك .. يبدو أننا عائلة مبدعة ومتعددة المواهب ..

بعد أن انتهينا من تناول العشاء جلسنا على الشاطئ الخاص بالمطعم وأخذنا نتحدث ونتسامر في أمور حياتنا اليومية .. أخبرتني أنها منذ أن امتلكت هي وزوجها ذلك المكان لم تفكر في أي شيء سوى أن تجعله أفضل المطاعم السياحية الموجودة بالقرية جميعاً .. وبالفعل نجحت وكان ذلك من أحد أهم الأسباب التي منعتها من التواصل طوال الشهرين الماضيين بيني وبينها .. كما أخبرتني عن كم المتاعب والمشاكل التي واجهتهما في بداية الأمر .. ولولا تدخل والد زوجها في

الموضوع ما كان هذا المشروع .. فوالد زوجها رجل أعمال ذو ثقل .. وكان هناك تعنت شديد من قبل الأجهزة الرقابية في بداية الأمر وعدم إصدار التصاريح اللازمة بالمطعم .. ولكنه تدخل في الوقت المناسب لينهي تلك المشكلات التي كادت أن تعصف بحلم حياتها كما تعبر لي..

كنت فخورة وأنا أستمع إلى قصة كفاحها وكم المعاناة التي عانتها من أجل تحقيق حلمها .. كنت أستشعر السعادة تخرج من بين حروفها التي تنطقها .. كم أنا سعيدة الآن لسعادتها! الحمد لله لقد اطمأن قلبي عليها بالشكل المطلوب .

وما أجمل تلك اللحظة التي عاشتها عندما علمت أنها حامل .. كادت أن تجن حسب وصفها من كثرة السعادة .. الشعور الذي كانت تتحدث به وهي تحكي لي الحدث يدل على أنها كانت في قمة سعادتها وما أجمل من تلك اللحظة!

حقاً هناك لحظات تمر علينا لا نستطيع أن نصفها ولا أن نعبر عنها ولا أن ننساها .. وأعظم تلك اللحظات هي لحظات السعادة التي نتمنى في بعض الأحيان ألا تمر وأن يتوقف الزمن عندها ..

وسريعاً ما انتقلنا بالحديث إلى تلك اللحظات التي لا نريد التحدث عنها أو التوقف أمامها .. أو بمعنى أدق التي لا ينبغي أن تأتي من الأساس .. إنها لحظات الجراح .. جاء دوري في الحديث عن زوجي والاطمئنان علي أحوالي .. يبدو أنني لم أستطع الهروب من تلك

الضغوط النفسية الشديدة التي جاءت من أجل التخلص منها هنا .. أخبرتها أن كل شيء على ما يرام .. والأمور تسير في مجراها الطبيعي .. ودفعني الظروف للكذب عليها وأنا أخبرها أننا نتحدث كل يوم تقريباً وأنه يحملني السلام إليك أنت وزوجك وكذلك التهاني بالحمل .. ثم انتقلت بالحديث إلى موضوع آخر حتى لا يفتضح أمري وتشعر بأني أكذب عليها ويرجع ذلك في حقيقة الأمر إلى أنني لا أجيد الكذب .. لكن لم يكن أمامي أي حيلة غير ذلك في الرد على تلك الأسئلة التي وجهتها لي .

مر الوقت بنا سريعاً وقربنا على منتصف الليل وأنا مهلكة من التعب أود أن أستريح وأسبح في نوم عميق لكنني أيضاً أود أن أستمع إلى تلك القصص التي تقصها أختي الصغيرة لي .. ما أجمل أن تستمع إلى مغامرات النجاح التي مر بها أقرب وأعز الناس إلى قلبك .. فكنت أنا دائماً أقوم بدور الأم والأخت في وقت واحد .. كنت أقرب من حولها إلى قلبها .. كانت دائماً تخبرني بكل صغيرة وكبيرة في حياتها .. أول قصة حب مرت بها .. أول لحظات جرح عاشتها .. كنت أنا من يمسك بيدها ويعلمها كيف تكتب الحروف فوق صفحاتها .. أذاكر لها دروسها .. أصف لها شعرها .. أحتضنها وأنام .

لم تنس يوماً كل ذلك .. لم تغيرها الأيام مثلما يحدث من الآخرين .. جاءنا زوجها لشاركنا الحديث والحوار وليستعيد أيضاً ذكريات الماضي وكيف كان لي دور في علاقتها التي استمرت إلى الآن ..

تذكرت كل هذه الأحداث وأنا أضحك أثناء جلوسنا ولكنني أتذكرها الآن وأنا أبكي أثناء كتابتي .. أبكي وأنا أندب حالي وحظي وهم عذابي وأوجاعي .. أبكي لأنني كنت أسعد إنسانة وهي تتزوج زوجها والآن أصبحت في قمة التعاسة وأنا أخفي على الجميع همي وحزني .. أعيش بمفردي في انتظار من أحب أو من أظن أنه يحبني .. لكن يا ترى هل ما زلت أنا كل ما له في هذه الحياة أم أن الحسابات تغيرت والظروف اختلفت .

عموماً يكفي حزناً فأنا هنا من أجل الهروب من تلك الأحزان لا من أجل أن تزيد وتكبر .
أصبح على خير فغداً يوم حافل بالمغامرات .

اليوم الرابع والأربعون

من الجيد أن تستمتع بأوقاتك حسب أهوائك وأمنياتك .. وما أجمل من أن تستعيد ذكريات الماضي في لحظات جميلة لا تعوض كثيراً!
أظن أنني محظوظة بتلك العطلة التي أقضيها الآن أمام شاطئ البحر الذي يقوم بدوره ببث السحر والبهجة داخل الروح .

بعد نوم عميق استغرق ما يقرب من نصف يوم كامل استيقظت وأنا لا أدري ولا أشعر بأي شيء من أوجاع ولا تعب .. ولأن هذا هو المعتاد والنظام السائد لهذه المدينة فلم يكن ذلك شيء غريب أو غير متعارف عليه ..

أيقظتني رويده بعد عصر اليوم لكي نتناول الفطور .. إنه أمر غير متعارف عليه في قاموس حياتي .. فأنا دائماً أعيش بمواعيد محددة ومعلومة .. هناك نظام أسير عليه منذ أن التحقت بالوظيفة بل وقبل ذلك .. فمنذ أن تزوجت وأنا أستيقظ في الصباح لكي أوقظ زوجي وأقوم بتحضير ملابسه وأغراضه من أجل الذهاب إلى العمل .. ومن ساعتها وأنا أرث عنه ذلك النظام الذي أرى أنه صحي للغاية .. لكن ظروف أختي

وزوجها وظروف عملها تختلف كثيراً عني .. وكذلك طبيعة العمل تختلف تماماً .. فهم يعملون في مجال السياحة .. وكل رواد المكان يأتون إليه بعد أن يقضوا يومهم وينتهوا من عملهم .. أما أنا وزوجي فمجال عملنا مختلف تماماً فهو يتعلق بالساعات الأولى في الصباح .. حيث ينزل زوجي لمباشرة أعمال البناء ومتابعة العاملين معه في ذلك الأمر .. وأنا أيضاً عملي ينصب على التخطيط الهندسي وحجز الوحدات السكنية التي تقوم الشركة بإنشائها .. فمن الطبيعي أن يحدث ذلك في الصباح الباكر وبمواعيد محددة .

المهم تناولنا الطعام وأخذتني رويده إلى نزهة لم أكن أتوقعها أو أتخيلها .. فقد ذهبنا إلى صيد السمك .. يا لها من متعة في قمة الروعة! لم أفعل ذلك منذ أكثر من عشر سنوات .. ربما كانت هذه إحدى هواياتي وأنا وهي وأثناء سنوات النضج .. ورثنا تلك الهواية عن والدنا رحمة الله عليه .. كان دائماً يصطحبنا معه أثناء جلوسه أمام الشاطئ وهو يصطاد السمك .. كانت له جملة شهيرة للغاية .. كان يقول لنا .. من أراد أن يصل إلى مراده يجب أن يجلس على هذا الشاطئ ويمسك بتلك الصنارة ويطلق العنان ويحلم كثيراً بكل أمل حتى يتحقق مراده .

كانت له حكمة في تلك الجلسة وهذه الكلمات لم نكن نعرفها إلا فيما بعد .. الصبر هو إحدى ميزات الصيد ولكن هناك فوائد أخرى كثيرة ومتعددة لم نكن نعلمها في ذلك الوقت .. لكننا مع الممارسة ومرور الوقت بدأنا في اكتشاف وتفسير معاني كلمات والدنا لنا .. كان أخي شريف في

تلك الفترة صغيراً لا يعي معنى الكلمات لكنه كان يجلس بجوار أبي الذي يحتضنه بين ذراعه ويقول له: انظر يا بني بعيداً إلى آخر مدى بصرك وافتح صدرك واستنشق تلك النسمات التي يرسلها إليك البحر عبر أمواجه ثم أغلق عينيك واحلم وقص علي ما تحلم به فيما بعد إن أحببت .. لكنني أفضل ألا تقص علي شيء وتحتفظ بحلمك لنفسك .. لكن عليك أن تعاهدي أنك ستحققه يوماً ما مهما طال الأمد .. أظن أنه لا توجد كلمات تعبر عن ذلك أو توضح المعنى الذي كان يريده والدنا من تلك الكلمات .. لقد تعلمت الكثير والكثير منه وأنا أجلس بجواره على الشاطئ .. كان بمثابة الأب والمعلم والحكيم رحمة الله عليه .. تعلمت منه أن صيد السمك ليس بهواية إنما هو أشبه بدروس .

دورس الحكماء والراهبين .. كلمني كيف أصبح في جمال الطبيعة وكيف يكون لدي إصرار على الوصول إلى هدفي وكيف تكون الثقة بالله عز وجل .. علمني أن رزقي لن يأخذه أحد غيري وأنه موجود وما علينا إلا السعي من أجل الوصول إليه .. علمني أيضاً كيف يكون الطموح والأحلام والأمل .. علمني أنني لا أحزن عندما أجلس طيلة اليوم دون أن أحصل على سمكة واحدة ..

كانت له ابتسامة تملأها السحابة والحب في أشد الظروف والأوقات .. تذكرنا ذلك كله أنا وأختي الصغيرة أثناء جلوسنا على الشاطئ ونحن نقوم بالصيد .. تذكرنا شريف وهو يرقص فرحاً بتلك الأسماك التي يصيدها له والدنا .. تذكرنا تلك الحفلة التي نعدها ونجهز لها من أجل

تحضير ذلك السمك الذي قمنا بصيده على مائدة الطعام .. الجميع يكون في حالة من الترقب والتأهل من أجل الفتك به .. رغم أنه كان لا يكفي وكانت والدتنا تأتي بالمزيد من المتجر لكي نشبع .. ورغم ذلك كنا نتشاجر على تلك الأسماك التي كان والدنا يصيدها لنا .

تذكرنا كثيراً من الماضي أنا ورويدة أثناء جلوسنا وتبادلنا الحديث والسمر .. إلى أن تطرقنا إلى أخينا الصغير الذي كبر وأصبح رجلاً مقدماً على الزواج الآن .. ليس ذلك فحسب بل إنه أصبح واحداً من النبغاء الذين يعملون في مجال البرمجيات والتكنولوجيا .. أظن أننا اكتسبنا علماً صغيراً وعبقرياً جديداً في هذه العائلة .. تبادلنا الضحكات وأخذنا الحنين إلى سماع صوته .. ولم أتردد وقلت بالاتصال به:

- ألووو .

- ألووو ميرو .. أخبارك إيه واحشاني جداً ؟

- إنت أكثر يا حبيبي .. طمني عليك عامل إيه واحشني أوي .

- أنا تمام والحياة هنا جميلة أوي ومش ناقصني غير أني أشوفك إنتي

ورويده .

- طيب يا حبيبي خد رويده عايزة تسمع صوتك وتسلم عليك .

- بجد إنتي وصلتي لها .. طيب إدهالي .

- ألووو .. شيري حبيبي .

- رودي .. أخبارك ؟

شعور لا يوصف .. ومن يملك أن يوقف نهر دموع عينيه فليفعل .. أما

أنا فلم أستطع .. تبادلنا الحديث على أمل اللقاء القريب .. تعاهدنا جميعاً أن نلتقي نهاية الشهر لحضور حفل زفافه وسوف يعود معنا إلى القاهرة ليقتضي شهر العسل حسب رغبة زوجته الأوروبية .. وأنهيها المكاملة ولم ينته الحنين بل زاد لينافس تلك المياه التي يحدها الشاطئ الذي نجلس أمامه ..

داهمنا الوقت وكان يجب أن نعود إلى المطعم .. أو على الأقل رويده كان يجب أن تباشر عملها .. طلبت منها ذلك وبالفعل ذهبت وجلست أنا أستمتع بجمال المنظر الذي دائماً ما يجعل مني مخلوقاً جديداً بلا هموم ولا أوجاع .. فأنا دائماً أحب أن ألقى بهمومي وأوجاعي بين تلك الأمواج لتأخذها بعيداً وتعود لي بدلاً منها بالفرح والتفاؤل والأمل .

انتهى يومنا مع نهاية عملهما وتوجهنا إلى المنزل بعد أن تناولنا الطعام وصعدت إلى غرفتي لأسجل أول أيام عطلتي مع أختي الصغيرة التي أعشقتها بجنون ..

لم يتبق لي إلا أن أقول شيئاً بسيطاً للغاية:

لا يوجد أجمل من أن تلقي بهمومك وأوجاعك في عرض البحر .

اليوم الخامس والأربعون

لا بد من الرحيل .. لا بد من مواجهة المصير .. لن تتوقف الحياة على جرح نافذ في القلب بيد من تحب .

اليأس طريق الضعفاء .. والجهل لغة الأغبياء .. أما المجد فهو الهدف والسبيل الوحيد للبقاء على أمل أن يأتي نور الغد المشرق من نافذة الحياة الخافتة.

تلك هي الكلمات التي كانت تدور في مخيلتي أثناء عودتي إلى القاهرة في الساعات الأولى من صباح اليوم .. نعم .. لم أكن أود العودة ولكنها قوانين الحياة التي نخضع إليها .. كان لا بد أن أعود حيث مكاني الطبيعي .. منزلي .. عملي .. حياتي التي أعتبرها حياة .. أو ربما لكي أستمتع بتلك الرحلة التي أعشقها دائماً .

رحلة الصعود إلى العالم الآخر في تلك الحافلة التي تقلني من تلك المدينة الساحلية إلى تلك المدينة التي أقطن بها .. كثيراً ما تكون تلك الساعات القليلة التي أقضيها في تلك الحافلة هي أجمل ساعات حياتي .. بل إن صدقت القول هي بالفعل أجمل وأهم لحظات حياتي .. والسبب واضح

للغاية .. هو ذلك العالم الذي أشرد إليه .. تلك المملكة التي أقطنها بعيداً عن الأرض بكل ما فيها من صراعات وأوجاع وما شابه ذلك .. أظن أن تلك اللحظات لا تختلف كثيراً عن تلك اللحظات التي أعشق أن أقضيها أمام شاطئ البحر .. كلاهما أشعر معه بأني في عالم آخر منعزل تماماً عن الأرض بكل ما فيها .. ما أجمل هذا الشعور الذي لا يوصف!

ما أجمل أن تلقي بكل همومك وأوجاعك وما يؤلمك خلف ظهرك وتذهب إلى عالم آخر يبني أسواره بين خيالك! وأن تفتح عينيك لتشاهد هذا العالم في الفضاء الصافي من خلف النوافذ الزجاجية الخاصة بالحافلة التي تقلك .. لن أعود إلى وصف تلك الحالة التي أعيشها مجدداً لأنني وبكل صدق لا أستطيع أن أعبر عما أشعر به في تلك الساعات القليلة التي أتمنى ألا تمر .. بل أحياناً أتمنى أن أبقى بقية العمر بداخل الحافلة وتسير دائماً دون توقف في مدينة أحلامي التي أشاهد بها كل ما أتمنى .. أشاهد بها صورة إلى طفلي الذي أحلم أن أنجبه بالغد القريب .. أشاهد ابتسامته .. وبكائه وشوقه وهفته لي .. أشاهد زوجي وهو يحتضني ويكرمني ويفتخر بي في كل مكان يذهب إليه أمام جموع الناس .. أشاهد سلسلة من النجاحات .. إنه عالم لا يوجد به فقير أو محتاج .. عالم لا يوجد به طفل عارٍ ولا امرأة تعيش دون عائل .. عالم بلا نزاع ولا صراع ولا دماء تسفك من أجل أي شيء مهما كانت عظمتة وقوته .. إنه عالم الأحلام الذي من المستحيل أن يتحقق يوماً ما ..

دائماً أتساءل .. ترى .. هل سيأتي يوم على البشر ليصبحوا مثل ما أنا

أراهم في عالم الخيال؟ لا أظن .. فهم مهما كانت صفاتهم حميدة لكنهم بشر يغويهم شيطانهم أحياناً وتغلبهم أنفسهم كثيراً .. هذا ما تعلمته من تلك الحياة وعلى مدار عمر قضيته أبحث بداخل أعماق النفس البشرية عن تلك الراحة الوجدانية .

لكن هذا لا يمنع أن الوقت القصير الذي قضيته مع أختي كان كافياً للغاية لمحو تلك الآثار النفسية والروحية وتلك الآلام التي عانيت منها طوال الفترة الماضية .. نعم .. كنت في أشد الحاجة إليها .. كنت في أشد الحاجة إلى أن أولد من جديد كما أشعر دائماً عندما أجلس أمام الشاطئ .. ترى لم نكن جميعاً بمثل صفاء هذا الموج أو تلك السماء؟ ترى لماذا دائماً نهوى الجراح والخداع؟ لماذا لا نهتم ولا نشعر بمن نحب ولا نبادله نفس الشعور والإحساس؟ لماذا دائماً نشعر بأن من حولنا يخطط لخيانتنا أو يسعى إلى تعذيبنا .. أظن أننا لن نتغير مهما شهدنا كل تلك الأشياء الجميلة التي تدل على أن الحياة لها معنى آخر ..

يجب أن أترك كل هذه الأسئلة التي تدعو إلى الجنون وأتوقف عند مكاسب الرحلة التي قضيتها على مدار اليومين السابقين .

إلى جانب شوقي ولهفتي الشديدة إلى هذا العالم الخيالي الذي أعيش به داخل الحافلة وإلى هذا الشاطئ الذي يساعدني على التغلب على كل الأوجاع والمتاعب التي تلحق بي من وقت إلى آخر .. كان هناك أيضاً شيء هام للغاية .. أختي الصغيرة رويده .. وكم التقصير الذي كنت أشعر به نحوها طوال الفترة الماضية .. وكم السعادة التي كنت أشعر

بها والتي رأيته أيضاً في عينيها عندما التقينا إلى أن غادرتها .. أحبها .. نعم .. إنه هو شعوري الآن وأنا داخل الحافلة وأتذكرها وهي تحاول أن تسعدني إلى أقصى حد ممكن .. تبذل كل طاقتها من أجل تحقيق ذلك .. تحاول أن تجعل من كل لحظة نقضيها معاً دهرًا من السعادة .. ما أجمل ذلك الجنين الذي تحمله بين أحشائها والذي غير ملاحظها إلى حد ما .. لدرجة أنه أثر على نوعية تلك الملابس التي ترتديها .. كم هي جميلة في تلك الملابس! بل هيئتها كلياً بكل مشتملاتها .. وزوجها الذي لا يقل ذوقاً عنها .. وكيف كانوا يتجنبون طرح تلك الأسئلة التي تغضبني .. يبدو أن ملاحي تفضحني دائماً .. عندما سألوني عن زوجي وأجبت بكلمات مختصرة ولجأت إلى الكذب والحيل الواهية التي لم تخل عليهم .. استشعروا أنني غاضبة وهناك جرح عميق نافذ بين الضلوع من تجاه زوجي .

كل ما سبق كان يدور بمخيلتي منذ أن غادرت المكان إلى أن وصلت إلى باب منزلي .. كنت في تلك اللحظة التي أضع فيها المفتاح بداخل الباب لكي أدخل وأعود إلى عالمي القديم وهمومي وأوجاعي وسجني المحزن .. أستعد إلى كل هذا بصدر رحب .. لكن دائماً تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ..

مجرد أن دخلت منزلي وأغلقت الباب خلفي إلا واستشعرت أن هناك شيئاً غريباً يحدث .. هناك أشياء يبدو أنها قد تبدلت وتغيرت .. دبت الرهبة بداخلي .

ترى ما هو سر ذلك الشعور الغريب الذي يملكني الآن؟ هل يوجد أحد بداخل منزلي؟ أظن ذلك .. هناك رائحة غريبة أستشعرها تماماً لدرجة جعلت الرهبة تملأ كل جوانب روحي .. إنها رائحة زوجي .. لا .. مستحيل .. يبدو أن شعوري هذا ناتج عن اشتياقي إليه ليس أكثر .. وكيف له أن يأتي دون أن يخبرني؟! أخذت قرارى بالتوجه إلى غرفتي ولكن يجب أن أضيء الأنوار أولاً .. وأثناء ذهابي للقيام بذلك تعثرت قدماي في شيء ما أجهله تماماً وسقطت على الأرض فاقدة الوعي في ظلام حالك لا أرى شيئاً أمامي .. وفجأة المكان كله شع بالنور ووجدته يمد يده ليوقفني على قدمي مجدداً .. وبالفعل وقفت وما إن نظرت إلى وجهه وتحققت من ملامحه إلا وفقدت الوعي وسقطت مرة أخرى ... لكن هذه المرة كانت بين ذراعيه.

اليوم السادس والأربعون

ربما في عالم الأحلام تشاهد أشياء جميلة .. وتتيقن أنك بمجرد أن تستيقظ من نومك تؤمن بأن ما شاهدته ما هو إلا حلم .. ولن يتحقق الآن على أقل تقدير .

لكن من المعجزات أنك تتمنى شيئاً بعيد المنال ويتحقق في ذات لحظة التمني .. بالفعل إنه أشبه بالمعجزة عندما يحدث ذلك ..

بالأمس وعند عودتي إلى المنزل استشعرت أن هناك شخصاً داخل المنزل .. حدسي دعاني بأن أتمنى أن يكون هذا الشخص هو زوجي .. ربما كان ذلك من باب الجنون أن أستشعر ذلك لأن الأمر بكل بساطة .. كيف له إن كان هو من بداخل المنزل ألا يخبرني بأنه عاد من السفر ؟ كيف يكون زوجي ولم يهاتفني لكي أنتظره بالمطار؟ كانت تلك الشكوك كفيفة بأن تبعد هذا الاحتمال .. لكن السؤال الأصعب: إن لم يكن زوجي فمن بالداخل إذن؟ وما إن طرحت هذا السؤال إلا وتعثرت قدمي وسقطت على الأرض في وسط الظلام الحالك وما إن أضاءت الدنيا حولي إلا ورأيت يمد يده ليوقفني على قدمي مجدداً .. وما إن رأيتة إلا وفقدت

الوعي بين ذراعيه.

إنه زوجي .. إنه هو .. صدق حدسي .. وما إن تمالك نفسي بعدما أجلسني على المقعد وجلس بجواري إلا وألقيت عليه سؤالاً:

- هو أنت أنت ولا أنت مش أنت وأنا بيتيألي؟

- نعم؟!

- يعني قصدي إزاي ..

- هو إيه الي إزاي .. مالك يا ميران في إيه يا حبييتي؟

- أنت جيت إمتى؟ وإزاي؟ وليه ما كلمتينش علشان آجي أستقبلك

في المطار زي كل مرة؟

هنا نظري وابتسم في هدوئه المعهود قائلاً:

- طيب واحدة واحدة .. أجاب إزاي أنا دلوقت؟

ودون أن أدري وجدتني ألقى بنفسي بين أحضانه بلهفة شديدة وأنا

أقول له:

- وحشتني يا أحمد .

- مش أكثر مني يا حبييتي .. إنتي وحشتيني أوي .. فوق ما تتخيلي .

- بحبك .. بحبك أوي .

لا أعلم من أين كانت تخرج الكلمات التي أوجهها إليه .. لا أعلم كيف

ألقيت بنفسي بين أحضانه .. وكم من الوقت استغرقت في هذا .. لا

أدري كم قبرة قبلتها له وكم قبرة قبلها هو لي .. لا أدري لماذا انهارت

دموعي ونزفت بشدة وأنا بين أحضانه حتى تبلل كتفه واستشعر هو ذلك

وأمسك بوجهي لينظر إلى عيني ويمسح بيده الرطبتين دموعي .. وكأنه جراح ماهر يوقف نزيفها في أقل من لحظات .. لتختلط تلك الدموع الغامرة بسعادة وضحكات لا توصف وكأنني بالفعل أصبت بحالة من الجنون .. نعم .. لا أدري كيف تركت مشاعري لكي تصل بي إلى تلك الدرجة .. مجرد أن رأيته انهارت إمبراطوريتي سريعاً وظهر ضعفي بشدة واشتياقي الشديد إليه .

أحبك .. تلك هي الكلمة التي كنت أتلذذ وأنا أسمعها تخرج من بين شفثيه .. لا .. لم تكن تخرج من بين شفثيه بل كانت تخرج من بين ضلوعه .. من أعماق قلبه .. كنت أشعر بها مثلما شعرت به هو ذاته .

وبعد أن فاض كل منا بما بداخله من مشاعر اشتياق ولهفة إلى الآخر .. سألته لماذا لم يخبرني بموعد قدومه .. فأجابني أنه أراد أن يجعل منها مفاجأة سارة لي .. في حقيقة الأمر إنها مفاجأة قد تؤدي بحياة أي شخص آخر يعاني من أمراض مزمنة .. تبادلنا الضحكات .. ثم التفت إلى أمر هام للغاية .. هل تناول زوجي طعامه؟

سألته على الفور وأجابني سريعاً بأنه في أمس الحاجة إلى تناول الطعام خاصة من يدي .. وما إن سمعت تلك الكلمات إلا وقمت من مجلسي بجواره وأنا أحدثه أثناء سيرتي كالعادة .. وأسأله عن صنف الطعام الذي يرغب في تناوله .. وكعادته أيضاً ترك لي أمر الاختيار .. وأخبرني بأنه جائع إلى أقصى الحدود .. كنت أقف في المطبخ وأعمل بكامل طاقتي لكي أنجز الطهي سريعاً حتى أستطيع أن أسد جوعه في أسرع وقت ..

جاءني ليقف بجواري أثناء ذلك بعد أن دخل إلى الغرفة .. نظرت إليه وأنا أبتسم ثم التفت إلى ما أقوم به .. وإذ بي أجد يديه تلتف حول عنقي بعقد من الماس الصافي .. وما إن رأيت ذلك إلا وكاد عقلي يصاب بجنون من روعة ما أراه .. لقد أهداني ذلك مالك الشركة التي أعمل بها يوم عيد ميلادك .. هكذا قال لي.

أخذت وقتاً ليس بالقليل حتى أستفيق من تلك المفاجأة الرائعة التي فاجأني بها زوجي .. يبدو أنه عاد لكي يعوضني عن كل ما سبق من أيام وليالٍ حزينة كثيرة ممتلئة بالجروح

ظل فكري منشغلاً به وبما كنت طوال فراقه .. يا لها من أيام صعبة للغاية التي عشتها في الفراق! كم أتمنى ألا تعود مجدداً! كم أتمنى أن يظل بجواري إلى الأبد!

انتهيت من طهي الطعام وتحضير السفرة .. وجلسنا نتناول الطعام .. في حقيقة الأمر جلست أنا وتناوله هو .. بمعنى أدق .. اكتفيت بالنظر إليه فقط لكي أشبع كل جوارحي به من كثرة اشتياقي إليه .. يبدو أنه مرهق من السفر .. ولذلك لم أوجه له أي تساؤلات جديدة تزيد من هذا الإرهاق ..

انتهى من تناول طعامه وطلبت منه أن يذهب إلى الحمام لكي يأخذ حماماً بارداً ومنه إلى الفراش لينعم بنوم عميق .. وهذا ما حدث بالفعل .. توجه هو إلى غرفة النوم بينما ذهبت أنا

وما أن انتهيت إلا وتوجهت بسرعة نحو غرفة النوم لكي أطمئن عليه

.. كم أشتاق إلى ابتسامته التي يتسمها قبل الخلود إلى النوم في وجهي .. يا له من يوم سعيد للغاية .. وشعور لا يوصف .. وما إن اقتربت من الغرفة إلا وسمعت صوت شخير .. كم هو مزعج! لكن في ذات الوقت مؤنس .. جلست أمامه على الكرسي بداخل الغرفة وهو سابع في نوم عميق يدل على إرهاق شديد وتعب جسدي .. إنها مشقة السفر .. ما أجمل أن تجلس أمامه وتنظر إلى ملامح وجهه وهو نائم بعيداً عن ذلك الصوت المزعج الذي يصدره من شدة الإرهاق .. سبحت بخيالي وأنا أنظر له .. أتذكر لحظات بيننا لا تنسى .. وربما يسجلها التاريخ من خلال دفتر يومياتي .. ظللت أفكر في شأنه وكيف مرت أوقات الغربة عليه؟ وكيف كان شعوره نحوي أثناء ذلك؟ وكم من الوقت كان ينشغل فكره بي؟

أسئلة كثيرة دارت بمخيلتي وأنا جالسة إلى أن غلبني النعاس وأنا أتأمل ملامح وجهه الهادئة .

اليوم السابع والأربعون

لا يوجد إحساس أجهل من أن تشعر بأنك ما زلت على قيد الحياة ..
 فبعد فترة كبيرة تشعر فيها بأنك خارج نطاق الحياة .. بلا وجود بلا قيمة
 .. مشاعرك متجمدة .. مجرد جسد خال من كل محتوياته .. غادرته الروح
 .. فجأة يعود ذلك كله إليك .

تلك اللحظة لا توصف ولا يوجد أي كلمات تستطيع أن تعبر عنها مهما
 كنت بليغاً .. إنها لحظة العودة إلى الحياة من عدم .. إنها لحظة الميلاد من
 الدنيا مجدداً .. إنها سعادة وابتسام .. وضحكات عالية وفرحة عارمة لا
 تستطيع أي محاولة من محاولات الحزن أن تتخللها .. وكيف وأنا الآن لا
 أعرف معنى للحزن ولا طريقاً للعذاب .. لقد عاد لي زوجي لكي يعيد
 لي كل هذا .

بالأمس عندما جلست على الكرسي بداخل غرفة النوم أثناء نومه أمامي
 .. كنت أشعر في تلك اللحظات بحالة غريبة جداً .. وكأني في حديقة
 شاسعة .. الزهور تحيط بكل أركانها .. الطيور تملأ سماءها .. وأنا وهو
 فقط من يعيش بها .. سبحت في عالم الذكريات الجميلة والتساؤلات

الكثيرة إلى أن غلبني النعاس دون أن أدري .

اليوم فتحت عيني على عينيه وهو جالس أمامي على الفراش واضعاً يده على خده وينظر لي وكأنه شارد التفكير في أمري .. في بداية الأمر تملكنتني دهشة شديدة .. ما الذي دفعني إلى النوم على ذلك الكرسي وذهبت أتساءل:

- إيه ده؟

- إيه يا حبيبتي؟

- هو أنا إيه اللي نيمني هنا؟

- إنتي بتسأليني أنا.

أدركت أن إجابته منطقية بشكل قوي .. وما ذنبه هو في ذلك .. أنا من نامت على الكرسي بمحض إرادتها .. لم يجبرني هو على ذلك .. ثم أدركت شيئاً آخر هاماً .. الوقت .. أنني لم أشعر بالوقت نهائياً .. أنني استيقظت في منتصف اليوم .. وهاتفني به اتصالات كثيرة من زملائي في العمل .. لم أكن ألتفت إلى ذلك لولاه هو الذي نبهني إليه:

- تليفونك ما بطلش رن من الساعة 7 الصبح .

- الساعة 7 .. ليه هي الساعة دلوقت كام؟

- الساعة 12 الظهر .

- ياااااه .. ده أن محسيتش بأي حاجة حواليا .

ثم توجهت نحو الهاتف لأنظر إليه .. وحادثت هاجر أخبرتها أنني لن أستطيع الذهاب إلى العمل اليوم وطلبت منها أن تبلغ رئيسي في العمل

بذلك وأخبرتها أسباب تغيبى أيضاً .. وكذلك هاتفت أختي رويده التي حدثتني كثيراً وأخبرتها أن زوجي عاد من السفر وشرحت لها أسباب عدم إجابتي على هاتفها .. تداركت الأمر وأبلغتني أن أنقل سلامها وسلام زوجها له .. كانت السعادة تملأ كل حروف كلماتها عندما علمت أن سبب تغيبى هو عودة زوجي من السفر .. كان هو في تلك اللحظة قد ذهب إلى الحمام ليأخذ حماماً ساخناً .. وقمت أنا بدوري بتحضير ملابسه .. وما إن خرج إلا وتوجهت أنا أيضاً إلى الحمام لكي أقف تحت الماء الساخن .. انتهيت وارتديت ملابسى .. ثم خرجت وقمت بتصفيف شعري واستعدال هيئتي .. وتوجهت نحو المطبخ وقمت بتحضير وجبة الفطار في ظل مناوشات رومانسية بيني وبينه .. وما إن انتهينا وتناولنا الطعام إلا وجلسنا بجوار بعضنا البعض .

ياااااا .. أظن أنني أحلم أو ربما أكون أتذكر أياماً من الماضي وأنا جالسة أمامه الآن وأنظر إلى عينيه وملامحه في صمت شديد .. لدرجة أنه لاحظ صمتي فسألني:

- مالك يا ميران؟
- ها .. لا مفيش يا حبيبي .
- كل ده ومفيش .. إنتي أكيد مش عارفة تحبي الي جواكي .
- بجد .. مش مصدقة إنك قدام عيني دلوقت .
- لا .. صدقي .. أنا معاكي وقدام عينيكى .
- هو إنت ماكتتش بتسأل عني الفترة الي فاتت دي ليه؟

- معلهش .. غصب عني .. ساحيني .. الشغل بقي إنتي عارفة .

- وأنا يا أحمد؟

- إنتي إيه يا ميران ؟ أنا عمري ما نسيتك لحظة .

أجبرتني كلماته على الصمت التام .. وبدأت أتحدث بداخلي وأطرح عليه التساؤلات: كيف لم تنسني للحظة ولم تسأل عني كل هذا الوقت؟ ما المانع الذي منعك من أن تتذكرني بمكالمة هاتفية على الأقل طوال هذه المدة؟ إنني كنت في أشد الحاجة إليك ولم أجدك .. كنت أناجيك كل ليلة لكنك لم ترد مناجاتي .. وكأني لم أكن .. كيف لك أن تقول لي ذلك وكل أفعالك تثبت العكس .. كيف؟

استشعر ما يدور بداخلي .. فقام على الفور من الجلوس أمامي إلى الغرفة وأحضر سجائره وعاد أمامي مجدداً ونظر لي وحدثني وهو يأخذ أنفاسه ويخرجها ممتزجة بدخان سيجارته .. وكأنه محام يدافع عن بريء في قفص الاتهام .. أخبرني أنه لم يستطع الاتصال بي لأسباب كثيرة سوف يشرحها لي في الوقت المناسب .. وانتهى من سيجارته وقام إلى الطفاية وعاد لي مجدداً .. لكن هذه المرة جلس بجواري وليس أمامي .. وضع يده على كتفي ونظر لي وأنا أنظر إليه باشتياق شديد للغاية .. وبدأ يسمعي تلك الكلمات التي أنا في أمس الحاجة إليها:

- عارفة .. أنا عمري ما تعبت في حياتي قد الفترة اللي فاتت .. كان نفسي أوي تكوني معايا .. بس ما كانش ينفع .. عارفة ليه ؟ لأني أصلاً أنا كنت بتعب علشانك .. ولو كنتي معايا ما كنتش هافكر إني أتعب

ولا أوصل لأي حاجة من اللي أنا نفسي فيها .. أنا ماكتتش بعيد عنك بمزاجي يا ميران .. ولا عايز أفضل بعيد عنك .. بس برضه لو فضلت جنبك عمري ما هاحقق حلم واحد من اللي احنا كنا بنحلم بيه .

لم أكن أدري معنى كلماته بالشكل الذي يرغبه .. عيناه بداخلها ألم شديد للغاية .. لم أره من قبل .. هناك جبل يحمله على ظهره .. هناك تعب كبير أجهله .. وسأظل أجهله إلى أن يخبرني به .. نعم .. أنا أعلم زوجي جيداً .. من المستحيل أن يتحدث بهذا الأسلوب إلا إذا كان يمر بظروف صعبة للغاية .. أدرك أنني أستشعر ما به من ألم .. أراد أن يخفف علينا تلك الآلام .. انتقل بالحديث إلى تلك الدولة التي يعمل بها .. راح يخبرني عن نجاحاته في عمله وكيف أصبح واحداً من أهم وأميز من يعملون في مجاله .. الجميع يقدرونه ويعملون له ألف حساب .. وساهم بشكل كبير في أن يجعل للشركة التي يعمل بها هناك قدراً وقيمة لدرجة أنها أصبحت أكبر شركة في مجال الأعمال الهندسية والعقارات على مستوى الخليج ..

كان يحكي لي إنجازاته في العمل .. وكنت أنا أنظر إليه كفارس في ميدان المعركة يحارب كل الأعداء حتى يصل إلى أميرته التي هي أنا .. ودون أن أدري وجدنتني أميل عليه وأقبله بشغف شديد .. صمت هو عن الكلام وتركنا مشاعرنا تدير الحوار .

اليوم الثامن والأربعون

ما شأن الناس في سعادتي أو حزني أو فرحي وأوجاعي؟ أنا من تعيش ومن تشعر ومن تعاني .. أنا يا ليلي سر حسي وهفتي .. ولا شريك لي فيما أبالي .. انفض يا قلبي عنك الهموم فلن تجد في تلك الجموع غيري يشعر بما أعيشه .. ولن يمسح الدموع إلا كفوف يدي مهما أناجي .

تلك الحقيقة التي يجب أن أسلم بها .. أنا من يعيش وحده بينه وبين نفسه كل ما يشعر من ألأم .. مهما تختلف المشاعر ومهما أقص على الآخرين من قصص وحكايات ومهما استمع لي الجميع من جموع الأصدقاء .. سأبقي بمفردي صاحبة الحس الذي أعيشه .. وأنا الآن أدركت قيمة العقل ووظيفته .. أدركت معنى كلمة المنطق الذي أخذ وقتاً كبيراً مفارقني وكأنه غادر بلا عودة .. وعندما عاد تغير الكثير من أفكاري وإحساسي وشعوري .. من أجل ذلك كله أنا أكتب الآن .. كلماتي لا تعني بأني كنت على ضلال بل أنا فقط كنت في مرحلة قائمة الألوان .. ربما كانت ضباباً .. ربما كانت نوعاً جديداً من أنواع العذاب الذي لم أمر به من قبل .. لكن في النهاية أنا الآن أعود إلى الصواب .. أعترف أن الحياة من المستحيل أن تكون ذات

لون واحد طوال الوقت .. أعترف أنه من الخطأ أن أصدر أحكاماً على أي إنسان دون أن أستمع إلى دفوعه وأسبابه .

بالأمس وأنا بين يديه كنت أشعر بقيمة أنوثتي .. ما أجمل أن أكون بين أحضان زوجي الذي أحبه وأعشقه مستسلمة تماماً لمشاعري وجوارحي واشتياقي .. شعور بالراحة .. بالأمان .. بالعشق المرغوب الممزوج بالحنين .. وهو يبادلني نفس الشعور الذي أعرفه تماماً من أنفاسه الدافئة .

جلست أمامه وأنا أنظر إليه بدهشة شديدة .. أتساءل بيني وبين نفسي .. إن كان هذا شعورك تجاهي فلماذا تركتني كل هذا الوقت وتركت نفسك؟ ماذا كان يمنعك عني؟ لا تقل لي العمل وجمع المال والنجاح .. كل تلك المصطلحات لا تعني أي شيء بالنسبة لي .. لا يصح أن تكون هذه هي مبرراتك التي تمنعك عني .. أنا زوجتك يا رجل .. أتدري هذا أم لا تدري؟ إنني كنت على أعتاب الجنون وأنت لا تبالي ولا تهتم بأمرى .. أهذا يعقل؟ عموماً لن أوجه إليك أي عتاب أو لوم أو تعنيف الآن .. دعنا نتذوق من كأس الاشتياق أولاً ثم نتقل بعد ذلك إلى أي شيء آخر .. وليس من المناسب أن أتطرق إلى العتاب أو التعنيف الآن .

قطع هذا الحوار الذي كنت أجريه بيني وبين نفسي صوته الذي يطالبني بأن أرتدي أجمل الملابس لدي لكي نتوجه إلى تناول العشاء في الخارج .. وعلى الفور نفذت ما طلب .. غادرنا المنزل تمسك يدي ذراعه أمام الجميع وكأني ما زلت فتاة ابنة العشرين عاماً تسير مع خطيبها الذي تتباهى به أمام الجميع .. كنت أرقب نظرات الجميع لي أثناء سيرى معه منذ أن خرجنا

من باب العمارة ورأنا البواب فوقف ليلقي علينا التحية وعيناه تَحملان كل كلمات الحسد وكأنه يندب حظه لدرجة جعلتني أقرأ بيني وبين نفسي آية الكرسي حتى لا يصيبنا مكروه من تلك النظرات .. وفي الطرقات لم يختلف حال كل من شهدنا كثيراً عن حال البواب .. كانت نظرات الجميع تحمل معنى واحداً فقط .. ياليتني أكون مكانهما مع من أحب .. نعم .. أنا لا أبالغ في ذلك التعبير .. لدرجة جعلتني أقول بيني وبين نفسي .. آه لو تعلمون كم المعاناة التي كنت أعيش فيها حتى أول أمس فقط كانت كلمات أعينكم اختلفت عما هي الآن .. لكن لا يهم .. تلك مشاعر كم ولا يجب أن أحجر عليها .. جلسنا على المائدة في أحد المطاعم النيلية لتتناول العشاء .. منتهى الرومانسية التي تتمناها أي زوجة على وجه الأرض .. كان يحادثني عن أيام الغربة وكيف كان يقضيها من دوني .. وأنا أضع وجهي بين يدي وأنظر إليه وكأنني أنظر إلى فارس أحلام وأرى بداخل عينيه كل ما أتمناه .. أظن أن الأحلام في تلك اللحظات لا يوجد لها أي قيمة أو أهمية .. وما قيمة الحلم وأنت كل ما تحلم به من سعادة وراحة ورضا بين يديك وأمام عينيك ..

انتهينا من تناول العشاء وجلسنا قليلاً من وجهة نظري لكن في الواقع كان وقتاً كبيراً لدرجة أن المكان لم يبق بداخله أحد غيرنا .. أمر مضحك للغاية .. ألتلك الدرجة لم نشعر بالوقت ولم نلاحظ ولم نهتم بأي شيء حولنا؟ توجهنا إلى المنزل لنكمل حديثنا الذي يبدو أنه لن ينقطع .. كان كل منا في حاجة إلى سماع صوت الآخر وكأننا كنا صمماً وأنعم الله علينا بنعمة السمع .. وبكم وأنعم الله علينا بنعمة الكلام .. تحدثنا كثيراً إلى أن

تملكنا التعب والإرهاق .. وأجهل ما في الحديث أننا لم نتطرق إلى أي حوار يزعجنا وهذا في حد ذاته شيء جيد للغاية .. ظللنا نتحدث إلى أن غلبنا النعاس .. فانتقلنا إلى غرفة النوم .. وجلسنا سوياً على الفراش .. عندها تذكرت أنني لم أجلس بجواره على هذا الفراش منذ عام .. يا لها من مدة مرت علي وكأنها مائة عام .. أخبرته بذلك فرد ساخراً .. إن كان شعورك بغياي يساوي مائة عام فشعوري بغياك عني يساوي مائة قرن .. وأغلقتنا الأنوار وذهبنا في عالم آخر لا يعيش فيه إلا العاشقون .. وما إن عدنا إلى عالمنا إلا وخلدنا إلى النوم.

الغريب في الأمر أنني استيقظت بعد ساعات قليلة من نومي وتوجهت إلى المطبخ وقمت بتحضير كوب شاي لأتناوله .. ودون أن أدري توجهت إلى الغرفة وأحضرت أوراقي وقلمي لأسجل ما دار من بداية اليوم إلى أن انتهى .. واستوقفني ذلك كثيراً .. فأنا لم ألقأ إلى الكتابة إلا في حالات بعينها .. لم أتوقع قط أنني أقوم من بين أحضان زوجي لكي أمسك بقلمي وأكتب في دفاتري ما دار بيني وبينه اليوم .. فالحالة التي انتهينا إليها وخلدنا بعدها إلى النوم لا تساعدني نهائياً في الكتابة ..

ربما يكون هذا نوعاً من أنواع الجنون .. وربما يكون نوعاً من أنواع العشق الخاص .. لكنها في النهاية عادة اعتدتها ويبدو أنني لن أتخلص منها بسهولة .. عموماً لا بأس ما دامت تلك العادة لا تجعلني أخسر شيئاً وتجعلني أفرغ طاقتي وشعوري فهي إذن عادة جيدة ومفيدة .. والآن يجب أن أعود مجدداً إلى حضن زوجي فأنا أشتاق إليه أكثر من أي شيء آخر .

اليوم التاسع والأربعون

لا حزن يدوم ولا سعادة مستمرة .. إذن علينا أن نواكب الأحداث أولاً بأول .. وأن نكون مستعدين لكافة التغيرات التي تواجهنا .. فالحياة ليست مشاعر ونبضات قلب فقط .. الحياة أشياء أخرى كثيرة يجب أن نوضع في الاعتبار .

أحبك .. كلمة كثيراً ما أحب أن أسمعها .. هي كلمة ذات طابع خاص .. أظنها سبيل جيد للكشف عن شعور الآخر تجاهك .. فإن كانت نبضات قلبه غير عادية وعينه صافية وبها خجل يميل إلى السعادة الغامرة وأنفاسه بين الحروف دافئة .. تيقن أن صاحب هذه الكلمة يحبك بكل جوارحه ومن أعماق قلبه .. وإن لم تجد ذلك فعليك أن تلتفت إلى صوت عقلك وتنتبه إلى تصرفات صاحب الكلمة التي لا تحمل أي دليل بين الحروف على صدقها .

بالأمس كانت السعادة لا توصف .. الحنين يملأ كل أركان المكان والحروف .. لذلك هاتفني مديري وطلبت أن يمد لي إجازتي إلى نهاية الأسبوع بدون أجر .. وما قيمة الأجر في مقابل أن أستعيد ذاكرة الحب

والحنان والمراقة واللهفة وكل هذه المسميات وأنا مع زوجي .. أظن أن العمل في تلك الأوقات ليس له أي فائدة .. فإنني كنت أعمل حتى أتغلب على كل هذه المشاعر الجالحة أثناء غياب زوجي .. والآن قد عاد فلماذا أتغلب على هذه المشاعر ولماذا أهرب منها وهو بجواري؟ تفهم مديري الأمر ووافق على طلب الإجازة متمنياً لي قضاء وقت ممتع .. وكذلك أخبرت صديقة عمري هاجر بذلك .. أجريت كل هذه المكالمات أثناء نومه وبصوت منخفض حتى لا أزعجه .. ثم توجهت مسرعة إلى المطبخ لكي أقوم بتحضير الفطور .. يا له من شعور ممتع أن تقومي بواجباتك المنزلية! إنها نوع مختلف تماماً من المسؤولية التي تعشقها أي أنثى على وجه الأرض .. لكن وأنا بداخل المطبخ شطح فكري مني مجدداً وجاءني هاجسي الذي كنت ودعته منذ مدة .. سألني عن تلك المذكرات التي كتبتها بخط يدي .. ماذا لو وقعت في يد زوجي؟ ماذا لو قرأها؟ ماذا لو سألني عما بداخلها كيف سأجيب؟ هل أتصنع الإجابات أم أخبره بالحقيقة؟ لا .. لا يجب أن أخبره بالحقيقة حتى لا أدخله في حالة من الفتور تجاهي ويغضني .. وتتحول أيام السعادة إلى حزن شديد .. لكنه هو السبب في ذلك كله .. هو من تركني أفكر في كل هؤلاء الذين ذكرتهم فوق صفحتاتي .. هو من تجاهل مشاعري ..

قطع ذلك كله صوت باب الغرفة .. إنه استيقظ من نومه ويبحث عني واللهفة تمتلك كل جوارحه نحوي .. كان ذلك واضحاً في صوته وهو يناديني .

- ميران .. ميران .
- نعم يا حبيبي .
- إنتي فين؟
- أنا هنا أهو .. بحضر لك الفطار .
- ما صحيتينيش معاكي ليه طيب؟
- أنا قولت أسيبك لحد ما أخلص وبعدين أصحيك .
- قبلني في جبهتي وتوجه إلى الحمام وقمت أنا بتحضير السفرة .. وما إن خرج إلا وجلسنا لتناول الفطور ودار بيننا حديث عن الأمس .
- هو إنتي أبارح صحيتي بعد ما نمنا؟
- آه .. ما إنت بقالك كتير مش معايا .. وأنا مش بعرف أناام على طول ..
- دايماً بقلق مش عارفة ليه .. خصوصاً في الفترة الأخيرة دي .
- علشان كده سافرتي لرويدة .
- ها .. آه .. بيني وبينك كنت محتاجة أغير جو بشكل بشع . دا أنا كنت حاسة إني هاموت .
- بعد الشر عليك يا حبيبتى .
- أحمد .
- نعم .
- هو إنت هاتسينيني تاني وتسافر .
- ما إنتي عارفة يا ميران .. لازم!
- لا مش لازم .

- وأحلامك وأهدافي نحققها إزاي .

- مش عايزاها .. أنا عايزاك إنت وبس .. مش عايزة أي حاجة تانية .

كانت كلماتي تخرج من القلب دون أن يتحكم بها عقلي .. كانت تعبر عما أشعر به .. لكنه ابتسم في وجهي وربت على كتفي وحمد الله ثم ترك المائدة وتوجه نحو الغرفة .. كنت أراقبه والحيرة تملأ وجداني .. لا أعلم سر تلك الابتسامة التي وجهها لي .. ولا أعلم لماذا غادر المائدة .. هل جرحته بكلماتي .. هل أدرك أنني بحاجة إليه .. هل أيقن أنني على استعداد أن أتنازل عن كل أحلامي وطموحاتي في مقابل أن يعود ويعيش بجواري ولا يفارقني مرة أخرى .. كم أتمنى أن يكون أدرك ذلك .. ربما دفعني إلى ذلك الحوار إحساسي الشديد باحتياجي له .. ربما يكون أدرك ذلك أيضاً .. واستشعر أنني أقصد بكلماتي استهزاء بما وصل إليه .. لا .. لم أقصد ذلك نهائياً .. يجب أن يعلم ذلك .. يجب أن نكمل حديثنا لكي أوضح له وجهة نظري ومغزى كلماتي .. أعلم تماماً أنه حساس لدرجة عالية تدفعه إلى فهم كلماتي بهذا الأسلوب الخاطيء .. يجب أن أقسم له أنني في أشد الحاجة إليه وعلى استعداد تام أن أتنازل عن كل ما أحلم به وذهب هو من أجل تحقيقه في مقابل أن يعود ويجلس بجواري ولا يفارقني ويتركني إلى هذا الهاجس مجدداً .

توجهت إليه .. لكنه قابلني بعد أن استبدل ملابسه .. يبدو أنه اتخذ قرار الخروج بمفرده .. سألته عن وجهته .. أجابني أنه سيذهب لكي ينجز بعض الأمور المتعلقة بالعمل والتي من أجلها عاد .. ثم تركني وذهب

.. لم يطل الحوار .. لم يخبرني إلى أين وجهته تحديداً .. أدركت أنه لم يعد من أجلي بل عاد من أجل عمله .. جاء لكي ينجز أعماله فقط .. يبدو أن شعوره بالمسئولية تجاهي قد غادر ولم يأت معه .. لكن لا بأس .. سوف يعود وسوف أناقشه في ذلك وننهي هذا الأمر .. يجب أن يعلم بأن وجوده بجواري أهم عندي من أي شيء آخر .. يجب أن أخبره بكل ما كنت أشعر به طوال هذه المدة .. يجب أن يشعر بنفس شعوري واحتياجي إلى طفل .

حاولت أن أشغل نفسي في شغل المنزل حتى أقضي على الوقت لحين عودته .. وانتهيت سريعاً من ذلك .. ثم اتصلت بالسوبر ماركت لكي أحضر مستلزمات المنزل وبدأت في تحضير الغداء وأثناء ذلك هاتفته لأخبره أنني أقوم بطهي الطعام وفي انتظاره لكنه أخبرني أنه لم ينته بعد وسوف يتناول طعامه في أي مكان حتى يستطيع أن ينجز عمله .. تقبلت الأمر وتناولت بمفردي الطعام وجلست أتصفح فيس بوك وأتابع التلفزيون وأحاول بكل الأساليب المتاحة أن أقضي على الوقت الذي أعيشه بدونه لحين عودته إلى أن غلبني النعاس ولم يأت إلا في الساعات الأولى من صباح اليوم التالي .. وكان منهكاً ويبدو عليه التعب الشديد وما إن أخذ حمامه إلا وخلد إلى النوم وجلست بجواره وعينايا تسألانه: ماذا كنت تصنع يا حبيبي؟ وما الداعي لكل هذا التعب؟ أقسم لك أنني لا أريد أي شيء من هذه الحياة إلا أن تكون بجواري دائماً وإلى الأبد ... أحبك .. ثم قبلته ووضعت رأسي على كتفه وخلدت إلى النوم معه.

اليوم الخمسين

السماء لا تمطر الزهور لكن تسقيها لكي تنبت وتتلأ الدنيا من حولها بألوانها الجميلة التي تدخل البهجة والسرور علينا .

دعونا نتفق أن الحزن شيء أساسي في مجريات الأمور .. مثله مثل الفرح والهواء والماء .. وكل ذلك من الأشياء التي لا دخل لنا بها؟؟ لأنه باختصار شديد وبكل بساطة .. الحزن شعور نشعر به عندما يبعث لنا القدر بأشياء لم نكن نتمناها .. ولا نضعها في حساباتنا .

استيقظت مبكراً لكي أقوم بأداء واجباتي اليومية تجاه زوجي الذي مازال غارقاً في نومه منذ أن عاد بالأمس .. لا أعرف أين كان .. ولا أعرف أيضاً هل سيخبرني أم لا .. كل ما أعرفه أنه تغير تماماً عما كنت أتمنى أن يكون .. شعوري وهو يخبرني بأنه عائد من أجل إنجاز مهام عمله كالخنجر الذي يطعن القلب بلا رحمة .. ماذا لو كان جمل كلماته من أجلي وحاول ولو بكلمات بسيطة الحفاظ على مشاعري .. أظنه لا يدرك كل هذا .. أظنه أصبح كالآلة لا تصنع إلا ما يملئ عليها .. إنه أمر يزيد الدهشة والاستغراب .. يا له من عذاب ذلك الذي أعيش فيه الآن

.. يجب أن ألقى بكل هذا خلف ظهري وأنتظر ماذا سيخبرني .. أظن أنه سوف يخبرني بأسباب غيابه بالأمس خارج المنزل طوال هذا الوقت .. ربما يكون لعمل ما لا يجوز لأحد غيره أن ينجزه .. لكن وإن كان كذلك .. هل يجوز أن يتركني كل هذا الوقت .. ثم يعود دون أن يقابلني وينام .. يا له من رجل ذي مشاعر متجمدة بل متحجرة! بل إنه رجل بلا مشاعر بالأساس.

بعد ما يقرب من ساعة بعد استيقاظي استيقظ هو .. يبدو على ملامح وجهه التركيز الشديد .. وكأنه لديه مهمة جديدة ينوي التخلص منها سريعاً .. ألقى علي تحية الصباح وانصرف إلى الحمام مسرعاً .. إنها ليست عادته .. لكن ربما يكون الأمر جلاً لذلك يتصرف بهذا الأسلوب .. علي الانتظار لحين أن ينتهي ويخرج من الحمام .. حاولت إشغال نفسي في تحضير الطعام .. هذا واجبي نحوه .. لن أسمح له بأن يتناول الطعام خارج المنزل بعد الآن .. ثم سأحاول أن أجعله يجلس معي أطول وقت ممكن وأتعرف منه على أسباب تأخره بالأمس .. وما هو العمل الذي ذهب لينجزه وأين كان ينجزه ولصالح من .. يجب أن أمارس عليه كل الأساليب الممكنة حتى أحصل منه على ما أريد .. إنه زوجي ومن واجبي أن أطمئن عليه وأعلم تحركاته وتصرفاته طالما هو الآن معي ويسكن منزلي لذلك يجب أن أفرض أسلوبى وسيطرتى على الموقف .. وما إن خرج من الحمام إلا وطلبت منه الجلوس على المائدة لكي يتناول الفطور وأفرض سيطرتى مثلما قررت .. لكنه فاجأني بقوله:

- معلش يا حبيبتي هالبس هدومي وهاجي لك علشان مستعجل .
- مستعجل ؟ وراك إيه يعني ؟
- ورايا طيارة بعد ساعين من دلوقت .
- لم أكن أتوقع ما سمعت .. إنها بالنسبة لي صدمة أطاحت بكل أفكارى وعصفت بكل ما أخطط له .
- إيه .. يعني إيه ؟! أنت هتسافر ؟!
- أيوة يا حبيبتي .. عندي حاجات مهمة لازم أخلصها .
- تذكرت شيئاً هاماً للغاية في تلك اللحظة أننا بعد ثلاثة أيام سوف نحتفل بعيد زواجنا .. وهو لا يعنى ولا يهتم بهذا الأمر .. وكأنني بلا قيمة في حياته .. وكأنني بلا وجود نهائياً .. حاولت أن أذكره بذلك لعله يتراجع عن قراره .
- أحمد .. إحنا كمان يومين المفروض نحتفل بعيد زواجنا .
- عارف يا حبيبتي بس هاعمل إيه يعني .. إبقى احتفلي بيه إنتي وأصحابك .. وأنا أوعدك لما أرجع نحتفل بيه تاني مع بعض .
- إنت بتقول إيه ؟!
- أنا بقول الصبح واللي المفروض يحصل يا ميران .. لازم أسافر علشان أخلص شغلي وأعرف أحقق لك كل اللي انتي بتتمنيه .
- وأنا قولت لك إني مش عايزة غير إنك تكون معايا .. إنسى كل أحلامي .. مش عايزة حاجة منها خالص .
- استشعر غضبي وثورتي وحاول أن يهدئ من روحي ويستطرد في

الأمر .. حدثني بهدوء وأخبرني أنه يجب أن يرحل لأنه ملتزم بإجراءات وتعاقدات .. أخبرني أنه يتحمل مسؤولية كبيرة ويجب أن يكون على قدرها .. سلك كل السبل الشرعية التي تضعفني وتجعلني أنصاع إلى قراره .. حدثني عن هؤلاء العمال الذين يعملون تحت إشرافه وكيفية توفير مرتباتهم التي لن تتوفر ما لم ينجز أعماله .

لم أستطع أن أرد أو أسوق إليه المبررات والدوافع التي تجعلني أرجوه ألا يسافر .. لم أستطع أن أخبره بأي ما زلت في حاجة إلى النظر لعينيه .. ما زلت في حاجة إلى أن ألقى بنفسي بين أحضانها .. لم أستطع أن أخبره بأي لم أشبع رغبتني منه بعد .. لا أعلم بماذا أخبره .. ولم ينتظر أن أخبره بكل هذا .. فموعد الطائرة أهم عنده من تلك الكلمات النابضات الجالحة .. ارحل ولا تنتظر مني حتى كلمة وداع .. ارحل فأنا الآن أيقنت معنى الضياع .. ارحل ولا تعد لأنك لن تجدني مهما حاولت البحث عني .. فأنا قررت الرحيل مثلك تماماً .

أخذ حقايبه التي أتى بها وقبل رأسي وودعني وهو يقول لي:
- معلىش غصب عني .. بس أوعدك إني هارجع قريب جداً وهاعوضك عن كل اللي فات.

لم أستطع أن أتفوه بكلمة واحدة .. كل ما فعلته هو ابتسامة ساخرة على حالي وبعض الكلمات من باب المجاملة التي تستخدم في تلك المناسبات .
- تروح وترجعلي بألف سلامة .

عاد من حيث أتى .. وكأنه لم يأت بعد .. وكأنني لم ألتق به .. رحل إلى

حيث يرغب دون أن يراعي رغبتي ولا أن يحترم شعوري .. ذهب بتلك الحقائق التي لم يفتحها بعد وكأنه نزل ترانزيت في حجرتي وغادر عند موعد الإقلاع ..

جلست خلف باب منزلي وأنا في حالة يرثي لها لا أعلم ماذا أفعل وما هو الحل .. طرحت سؤالاً الذي كنت أتمنى أن يجاوبني هو عليه .. لماذا لم ينتظر حتى يقضي معي عيد زواجنا؟ ألم يكتف بأنه لم يحضر عيد ميلادي .. إنه يتغير .. كل أفعاله تدل على ذلك .. حتى أنه لم يخبرني أنه قادم لكي أنتظره في المطار .. ولم يخبرني أنه ذاهب حتى أقوم بتوصيله إلى المطار .. كل شيء اختلف تماماً .. كل المؤشرات تدل على أنني أصبحت بلا أهمية في حياته .. جلست طويلاً إلى أن فارقتني النهار دون أن أدري .. بكيت على حالي .. وتأملت لعزلتي وسجنني من جديد .. تركت كل شيء على حاله وذهبت لأخلد إلى النوم .. فهو السبيل الوحيد للراحة من كل هذا الألم الذي أعيشه الآن .

اليوم الواحد والخمسون

لا تسألني عن الأمس ولا عن الحنين لذكريات الماضي .. لا تسألني عما هو آتٍ فأنا لن أطلع على الغيب ولا يجوز .. انظر إلى أفعالك وقيم ردود أفعالي .. لا تنتظر أن أعود إليك مجدداً .. كيفيني ما أصابني .. أنت لا تحبني .. كنت في سابق عهدك .. والآن .. كل أفعالك تدل على صدق حسي .

نعم .. انتهى كل شيء .. كتبت بالأمس كلمات الوداع بيدك .. لن أستطيع أن أمنعك ولن أبكي من أجل ذلك .. كرامتي أغلى عندي من قلبي .. أحبك نعم لكنني لا أستطيع أن أهدر كرامتي من أجل حبك .. الأمر واضح .. أنت لا تهتم بأمري .. لا تأتي من أجلي ولا تضحي من أجل سعادتي ولو لأيام معدودة .. وكيف لي أن أتحمل كل ذلك وأنا في النهاية الخاسرة الوحيدة من هذا العبث الذي أعيشه الآن .. ما فائدة الحزن ما دمت لا تبادلني نفس الشعور .. أنت يا عزيزي بكل صدق أصبحت رجلاً بلا إحساس .. معدوم المشاعر .. متحجر القلب .. والنفض عدم .. وأنا وبكل صدق لا أستطيع أن أعيش في ظل كل هذا

الضباب والغموض .

لا أخفيك سرّاً أنني صدمت في خبر الرحيل .. كما صدمت في عودتك .. كما خدعت في مشاعرك .. يبدو وكأنني صدمت في كل شيء حتى تلك اللحظات الجميلة التي قضيتها بين يديك .. دعني أطرح سؤالاً عليك: هل أنت مثل باهر ومقنع إلى هذا الحد من الإتيان .. دعني أسألك سؤالاً آخر أدق وأوضح: هل أنت إنسان؟ أظن لا .. بل بالتأكيد لا .. لا أخفيك سرّاً أن الدهشة التي تملكني الآن ربما تصيبني بالجنون .. كيف استطعت أن تخدعني كل هذا الوقت؟ كيف أقنعتني بأنك تحبني إلى هذه الدرجة؟! كيف جعلتني أحبك لدرجة القدسية؟ كيف حدث كل ذلك؟ لا أظن أنني كنت في كامل وعبي عندما فعلت ..

الآن أصبحت ألعن المشاعر والحب وكل شيء يجعلني أشعر بالحنين تجاه كلمة رجل .. أو حبيب أو ما شابه ذلك .. إنني على وشك الانهيار .. إنني متخبطة القرار .. لم أغادر مسكني منذ أن غادر هو بالأمس .. لم أتطرق في التفكير إلى أي شيء غير ما حدث بالأمس .. لم أهتم بصوت ذلك الهاتف ولا ما يث على شاشة جهاز التلفزيون ولا حتى لمذاق الطعام الذي أتناوله .. بل الأعظم من ذلك أنني حتى لم أهتم بفتح النوافذ حتى يدخل الضوء إلى مسكني .. إحباط شديد أصابني ووصل بي إلى درجة اللامبالاة .. اللادراك .. اللاوعي .. وكأنني أصبحت جسداً فارغاً من كل محتوياته وأجهزته ..

ما أجمل تلك الضحكات الساخرة اليائسة التي أطلقها على حالي كلما

أتذكر كلماته لي وهو يخبرني أنه يجب أن يسافر .. وأنه مرتبط بموعد الطائرة وأنه عليه الذهاب إلى العمل وكأنه يحدث إحدى النساء التي تعرف عليها على قارعة الطريق وقضى معها ليلة جميلة بمحض إرادتها ثم جاء موعد الرحيل والذهاب .. شعور غبي يملكني وما أكثر علامات الاستفهام التي أراها أمام عيني!

لكن ماذا أصنع .. ما باليد حيلة .. انتهى الدرس يا غبي كما يقولون .. نعم .. انتهى الدرس وأنا المفروض أن أكون تعلمت منه شيئاً .. لا أعلم ماذا تعلمت لكن هو المفروض والمطروح أمامي الآن .. ربما أكون تعلمت شيئاً هاماً لا أعرفه .. ما هذه الكلمات الغريبة التي أكتبها .. يبدو أنني أهذي ولا أدري ما أكتب .. يبدو أنني نسيت أنني أكتب في الأساس .. آآآآه .. أشعر بجرح ينزف بداخلي .. كل جوارحي تنزف .. لا ذرة بداخلي لم يصبها أذى.

لماذا أوصلتني إلى تلك المرحلة؟ لماذا فعلت كل هذا؟ ليتك لم تعد .. ليتك ظللت هناك ولم تمر على داري .. لماذا أتيت؟ هل أتيت حتى تزيد جراحني جروحاً؟ أنت رجل بلا قلب .. أنت رجل لا تعرف شيئاً عن الحب ولا عن المشاعر ولا عن الإحساس .. أنت رجل عديم النفع لا تدرك حجم المسؤولية .. أنت تعيش من أجل نفسك فقط .. ولا شيء غيرك .. تلك هي الحقيقة التي يجب أن نسلم بها ولا شيء غيرها .. ومنذ تلك اللحظة يجب أن أعيش أنا الأخرى من أجل نفسي فأنت لست أفضل مني في شيء .. وأنا تحملت كثيراً دون فائدة ولا مقابل .

أتعجب من تصرفاتك كزوج .. هل من المعقول ومن المنطقي أن تأتي وترحل هكذا دون سابق إنذار أو إخطار؟ هل من المعقول والمنطقي ألا يمثل وجودي في حياتك شيئاً لهذه الدرجة .. أظن أن الأمر انتهى .. كل المبررات التي حاولت أن أعطيها لك قد انتهت لقد استنفدت كل الفرص ولن أقبل بالمزيد .. إذن يجب أن نكتفي بهذا القدر من إهدار الوقت والفرص الضائعة.

لن أحزن على فراقك لأنه وبكل بساطة فراق مستحق والأهم من ذلك أنه بإرادتي .. فراق ربما يكون تأخر مواعده في محاولة مني لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .. وكأنني طيبة أحاول أن أعيد الحياة إلى شخص انتهت حياته إكلينيكياً تلك هي الحقيقة التي يجب أن نسلم بها .. إنني فعلت كل ما في وسعي .. ماتت مشاعري تجاه كل شيء يربطني بك .. ليس بك فحسب .. بل إن صدقتك القول .. إن مشاعري ماتت تجاه كل من يحمل صفات الذكورة .. أصبحت لا أستشعرهم نهائياً.

دليلي على صدق كلماتي هذه .. تلك المكالمات التي استقبلتها منذ قليل .. كانت من ذلك المجهول الذي يطاردني منذ يوم عيد ميلادي .

- ألووو .

- إزيك .. عاملة إيه ؟

- مين معايا ؟

- أنا واحد بيحبك أوي وبجد .

- وأنا مش محتاجة أسمع صوتك بجد ..

وأغلقت الهاتف .. وحاول كثيراً أن يعيد التواصل معي من خلال الهاتف لكنني كنت على يقين عندما أخبرته أنني لست بحاجة إلى سماع صوته .. لست بحاجة إلى سماع تلك الكلمات الرومانسية التي لا تعبر عن حقيقة الموقف .. انتهى الأمر .. لن أترك قلبي إلى مجهول ليزيد من الجروح والعذاب .. يكفيني ما أصابني من زوجي .. أو الرجل الذي يدعي أنه زوجي .. أنا لست أنثى طائشة يستهويها ويثير مشاعرهما كلمات رقيقة .. أنا فقط كنت أريد أن يبادلني زوجي شعوراً من حقي أن أعيشه .. لكنه لا يعي قدر ذلك الشعور .. ولست على استعداد أن أخونه حتى ولو كان هو يفعل ذلك .. أنا بمنتهى البساطة لست على استعداد أن أشعر بأنوثتي بعد كل ما حدث معي في تلك الفترة القصيرة الماضية .. بعد أن رأيت الوجه الآخر إلى الرجل الذي كنت أظن أنه كل شيء لي في هذه الحياة .. يكفيني ما أصابني .. وأعلنها بكل صراحة .. أنا أعزل الحب والحنين والنبض .. أنا لا أحتاج إلى أي شيء من كل ذلك .. أنا فقط أريد أن أرحل من هذا العالم الغريب الذي يمتلئ بالألغام والمصاعب والأوجاع .. أنا أنتظر الموت الذي فيه راحتي .. وإلى أن يأتي فلن أغادر موقعي ولن أغير أفكاري.

اليوم الثاني والخمسون

عام من الفراق يساوي مائة عام من العزلة .. ويوم من الاشتياق يمحو سنوات من الفراق .. إنها نظريتي في تلك الحياة .. الحنين دائماً يلعب دوراً هاماً في مجريات الأمور .. لكن كل ما أستطيع أن أقوله .. إن هذا هو فراق بيني وبينه لا محالة ..

لن تشفع لك كل الأعذار ولا المبررات التي تقدمها أو التي أوهم بها نفسي من أجل أن أصفح عنك .. وكيف أصفح ومن يستوجب الصفح لا يعي قدر تحملي ولا عنائي .. أعترف أنني أحببتك لدرجة الجنون والدليل على ذلك أنني بالأمس كنت أهذي فوق صفحتي .. تخيل أنني وصلت إلى هذه الدرجة .. لا أعني معنى كلماتي وهي الشيء الوحيد الذي كان يعينني على بعادك .. تخيل أنني أبكي لدرجة أن جفت بحور دموعي في عيني وما زلت أبكي .. يا لها من أيام .. أضحى .. أتحمّل .. أتكبد الأوجاع .. من أجل رجل لا يشعر بذلك .. لا يهتم بأمري .. لا يعنيه حال قلبي ومشاعري وفؤادي .. أظن أن الوقت قد مضى على استحضار تلك الكلمات الناعمة .. أضحك الآن وأنا أمسك بقلمتي وأكتب تلك

الكلمات .. قلبي .. مشاعري .. فؤادي .. أظن أنها كلمات من زمن جميل ذهب منذ آلاف السنين ولا يحق لي الآن أن أستحضرها .

بالأمس لم أشعر بأي شيء كان يدور حولي .. كما قلت كنت في حالة يرثى لها .. كل شيء حولي بلا فائدة ولا أهمية ولا قيمة .. كنت كتلك الجمادات التي تحيطني في كل أرجاء المسكن .. وكأني فارقت الحياة .. يعود ذلك الشعور إلى قوة الصدمة التي صدمها لي المدعو زوجي .. كانت لها قوة بالغة التأثير حقاً وصدقاً .. ولا أزايد عندما أقول تلك الكلمات .. إنني بالفعل منذ أن غادر المسكن إلى اليوم وأنا أبدو كفاقدة للوعي أو كأني أصبت بحالة من الزهايمر أو ما شابه ذلك .. حتى تلك المكالمات الهاتفية التي جاءني من ذلك المجهول لم تعدني إلى هذا العالم .. في حقيقة الأمر كانت كل الأشياء بداخلي ترفض أن تعيش في هذا الجو القاتم والضيق الخانق الذي لا يؤدي إلا للموت أو الانتحار .. لا أخفي سر تفكيري بالأمس في ذلك الأمر كثيراً .. نعم فعندما تركت قلبي وتوجهت إلى فراشي بالأمس فكرت في الانتحار .. وأنا أتساءل بيني وبين نفسي .. ما فائدة الحياة ما دام شريك حياتك لا يشعر بك؟ أظن أن الإجابة حينها كانت واحدة .. لا فائدة .. نعم .. تلك هي الحقيقة التي يجب أن نسلم بها .. فعندما تدفعك الظروف إلى التفكير بهذا المنطق والأسلوب لن تجد أمامك سوى الانتحار .. ربما أنا اخترت الآن نوعاً جديداً من الانتحار .. إنها العزلة التي تؤدي إلى أهون أنواع الانتحار .. إنه الانتحار المعنوي الذي ربما أفضله الآن بين تلك الجدران .. السجن الذي أودعت نفسي به

رغمًا عني أو بإرادتي لا يهم .. كل ما يهم أنني أودعت نفسي به وحكمت على قلبي بالموت .. وكل ذلك كان من أجل رجل لا يستحق أن أعيش من أجله أو أضحي ولو بجزء بسيط من سعادتي من أجله.

في بعض الأوقات ألقى باللوم على نفسي من شدة تعنيفها له فوق صفحاتي .. لماذا أعنفه بهذا الشكل وبتلك الدرجة؟ لماذا أوجه اللوم إليه؟ كنت أصطنع إليه المبررات وأحاول أن أجده له الأعذار .. كنت أقول دائماً إن ما وصلنا إليه من فراق ومن بعاد كان رغمًا عنه .. إنه يفعل ذلك كله من أجلي .. إنه يحارب الظروف من أجل سعادتي .. كنت دائماً بالرغم من تعنيفي له أجده مظلوماً .. ليتني لم أضع كل هذه المبررات التي شاركت في خداعي .. أشعر بأني أنا من طعن نفسه بسكين بارد في قلبه فأصبت بجرح نافذ يؤدي إلى الموت لا محالة .. فأنا من طالبه بالرحيل من أجل الكسب وتحقيق الأحلام .. أنا من أصر على امتلاك شركة وفيلا وسيارة أحدث موديل .. أنا أساس انهيار هذا الجسر المنيع .. ربما أكون أعاقب الآن جراء أفعالي .. عموماً انتهى الأمر ولن تجدي الدموع الآن ولن ينفعني الندم.

زاد من عمق جراحي اليوم مكالمة أختي رويدة لي التي هاتفتني لتخبرني أنها ستقيم عيد ميلادها مع عيد زواجي وتريد أن تأتي هي وزوجها للاحتفال في نفس المكان الذي أقمت به عيد ميلادي .. كانت تظن أن زوجي ما زال هنا .. لم تكن تعلم أنه سافر إلى عمله وعندما أخبرتني بما تريد لم أستطع الإجابة عليها .. وكيف أجيب وبداخلي جرح يزيد

بحديثها لي الآن .

- ألووو .. إزيك يا ميران؟

- إزيك يا رويدة عاملة إيه يا حبيبتى؟

- أنا بخير الحمد لله .. إنتي عاملة إيه طمنيني عليكي .

- الحمد لله بخير .

- كل سنة وإنتي طيبة .

- وإنتي طيبة .. بمناسبة إيه؟

- إيه ده إنتي نسيتي .. بكرة عيد ميلادي وعيد جوازك إنتي كمان .

- آه .. تصدقي .. كل سنة وإنتي طيبة يا حبيبتى .. معلش بقى يا

رويدة مش هاعرف أجي لك .

- لا يا حبيبتى أنا اللي هاجي لك علشان نحتفل مع بعض .. على فكرة

أنا حجزت المكان اللي إنتي كنتي عاملة فيه عيد ميلادك علشان أعمل فيه

عيد ميلادي وعيد جوازك .

- على فكرة يا رويدة أحمد سافر .

- إيه .. طيب مش هو سافر علشان شغله .

- أيوة .

- طيب .. يعني ده ما يمنعش إنك تحتفلي بعيد جوازك معايا وبعدين

هو أكيد هايكلمك ويقولك كل سنة وإنتي طيبة .. أكيد مش هينسى

مناسبة زي دي .. المهم أنا عايزة أشوفك بكرة قمر أربعتاشر زي ما

اتعودت عليكي .

- إن شاء الله .

- خلاص .. أنا بكرة الصبح هتلاقيني عندك علشان نحضر كل حاجة .
لم أستطع الرفض ولا البوح بما داخلي من أوجاع ولا قرارات تجاه زوجي ..
غداً عيد زواجي منه .. يا لها من سخرية تستحق الضحك من القلب
بشدة! أختي الصغيرة تحتفل معي بعيد زواجي .. أما زوجي فهو لا يهتم
بتلك المسميات .. ربما تكون بالنسبة له بدعة .. لكن ماذا سأفعل في هذا
الموقف الحرج الذي وضعتني فيه رويده؟ كيف لي أن أحتفل بمناسبة أود
أن أحوها من الذاكرة؟ ولا أستطيع أن أرفض الحضور فذلك سيدعو
الجميع إلى التساؤلات والهمسات والكلمات التي لا أحب أن تدور عني
.. يا له من موقف صعب! ثم ما ذنبها تلك الصغيرة التي جاءت لكي
تحتفل بعيد ميلادها معي؟ أنا أختها الكبيرة التي يجب أن تفرح لها وبها
.. لا أعلم ماذا أفعل .. الأمر فعلاً صعب .. لكن لا يوجد قرار آخر غير
الرضوخ وتقبل الأمر مهما كانت الظروف ومهما كانت النتائج .. يجب
أن أتحملها وأن أكون شريكة في صناعة الفرحه على وجه أختي الصغيرة
حتى وإن كان ذلك سيحدث على حساب سعادتي .
والآن يجب أن أخلد إلى النوم لكي أستيقظ مبكراً لأكون في استقبالها
هي وزوجها كما فعلوا معي عندما ذهبت إليهم .

اليوم الثالث والخمسون

ازدواجية القرار لا تعني أنني أعاني من انفصام في الشخصية بل ربما تكون دليلاً على حكمتي وقوة إرادتي في إدارة الأمور .

ربما أكون أنثى محطمة من الداخل بفعل تجاهل زوجي الذي أحتفل بعيد زواجه اليوم كالعادة بمفردي .. لكنني في نفس الوقت امرأة تملك من القوة والتحمل ما لا يملكه أحياناً الرجال .. ولا يقوى عليه معظم النساء غيري .. لكن الظروف القهرية التي دهمتني بها الأيام وترتيب الأحداث أجبرني على ذلك .. كنت في موقف لا أحسد عليه ما بين حزني وعذاب روحي وما بين فرحتي بعيد ميلاد أختي الصغيرة ودعوتي إلى الاحتفال بعيد زواجي .. في تلك الظروف يجب أن يكون القرار الصائب أسرع من التفكير في أي شيء آخر .. لذلك قررت أن أخلع عني وجه الأنثى الحزينة المعذبة وأرتدي وجه الزوجة المخلصة التي تحتفل بعيد زواجها رغم غياب الزوج عنها لمدة عام كامل وعدم الاهتمام .

استيقظت مبكراً عكس عادتي في اليومين السابقين حتى أتأهب لاستقبال أختي الصغيرة وزوجها .. هاتفتها مباشرة لكي أطمئن أنها في الطريق لي ..

أجابتنني على الفور :

- ألووو .

- ألووو صباح الخير يا ميران .

- صباح الخير يا حبيبة قلب ميران .. عاملة إيه يا حبيبتي ؟

- أنا بخير والحمد لله ..

- ها اتحركتي ولا لسه ؟

- آه إحنا في الطريق أهو .. كلها ساعتين ونكون عندك .

- طيب أوكي .. هاقوم أنا أجهز الفطار لحد ما تيجوا بالسلامة إنشاء

الله .

ثم استودعتها الله حين أن تصل وأنهيت المكالمة .. وقمت بالاتصال بوليد لكي يتأهب لاستقبالي أنا وأختي .. الغريب أن وليد كان يعلم أن اليوم هو يوم عيد زواجي وأخبرني أنه مستعد لذلك الحدث وفي انتظاري .. حاولت أن أخفي دهشتي بأنني اتصلت لكي أخبره بحضور أختي الصغيرة معي لأن اليوم أيضاً يوافق عيد ميلادها .. فأخبرني باستعداده التام لذلك .. شكرته على اهتمامه البالغ بعد أن داعبته متسائلة كيف عرف وهل يوافق اليوم عيد زواجه هو الآخر وأخبرته زوجته بذلك لكنه رد ضاحكاً وهو ينفي ويحاول أن يوضح لي أن هناك ثلاث مناسبات في حياتي لا يجب أن يغفلهم وهو مسئول التجميل الخاص بي من زمن طويل .. ثم أخبرني بالثلاثة مناسبات وهى عيد ميلادي وعيد زواجي وعيد ميلاد زوجي .. أبلغته تحياتي إلي زوجته وأنهيت المكالمة وتوجهت نحو الهاتف الأرضي لكي

أطلب من السوبر ماركت بعض المستلزمات التي يجب إحضارها من أجل وجبة الإفطار .. ومرت دقائق قليلة ودق جرس الباب .. إنه عامل السوبر ماركت الذي أحضر كل ما طلبت .. أعطيته الحساب وشكرته وغادر .. وتوجهت نحو المطبخ ووضعت تلك الأشياء التي أحضرها عامل السوبر ماركت .. ثم قمت بمهاتفة رويده مرة أخرى بعد مرور ساعة على المكالمة الأولى تقريباً .. كنت أطمئن عليها وعلى زوجها وكم من الوقت متبق على الحضور .. وأبلغتني أنها قاربت على الوصول .. أنهت المكالمة وبدأت في تحضير الطعام بعد أن توجهت إلى الحمام وأخذت دُش ماء ساخن لكي يزيل عني هذا الشحوب الذي كاد أن يتملك ملامح وجهي .. ووضعت بعض المرطبات الخاصة بالبشرة .. كنت في حقيقة الأمر أحاول إضاعة الوقت حتى تصل أختي وزوجها ويتناولوا الطعام طازجاً وساخنًا .. وبالفعل ما إن انتهيت من تحضير الطعام إلا ووجدتهما يطرقان جرس الباب .. لقد حضرا في الموعد المناسب .. استقبلتهما بحفاوة وترحيب .. كان كلاهما يحمل بين يديه ملابس الحفلة .. فأختي بخلاف حقيبتها كانت تمسك بين يديها الفستان التي تنتوي أن ترتديه في المساء وكذلك زوجها كان يحمل بين يديه البذلة .. وضعوا ما بين يديهما جانباً وجلسنا على المائدة التي جهزتها في لحظات معدودة .. وتناولنا الطعام ونحن نتبادل التهاني والدعابات في نطاق المناسبة التي سوف نحتفل بها في المساء .. انتهينا من الطعام ورفعت الحرج عن زوج أختي الذي كان يبدو عليه التعب والإرهاق من قلة النوم .. وأشرت له إلى حجرة الضيوف لكي يدخل ويسترخي بعض الوقت

حتى نعود من عند الكوافير أنا ورويدة .. وبعد ملاحظة انصاع إلى عرضي وساعدتني في ذلك رويدة التي أخبرته أنه يجب أن يستريح بعض الوقت حتى يتمكن من قيادة السيارة في المساء .. توجه إلى الغرفة لينام بينما توجهت أنا ورويدة إلى الكوافير .. وما إن وصلنا إلا وكان وليد في استقبالنا أنا وهي وبدأ العمل مباشرة .. وكالعادة لم أفتح فمي وأخبره بأي شيء عن مظهري .. فهو يعلم تماماً ماذا يفعل .. وبعد ساعة ونصف الساعة شرد فيها خيالي في أمري وبكى فيها قلبي بشدة وعانت روحي من شدة قسوة الأيام عليها انتهى وليد من عمله وطالبني بأن أبدي رأيي فيما صنع .. في الحقيقة عندما نظرت إلى هيتي في المرأة شعرت بأن التي أنظر إليها وأشاهدها ليست أنا بل هي واحدة أخرى تماماً عن ميران التي أعرفها جيداً .. إنه بدل كل معالم وجهي الحزين الذي اعتدت عليه الفترة السابقة .. لقد أنجز عملاً مبهرًا حقاً .. لدرجة أنني عجزت عن شكره .. لكنه تقبل الأمر بصدر رحب وهو يقول لي:

- عيد زواج سعيد يا هانم .

- أنا مش عارفة أشكرك إزاي يا وليد .. ميرسي .. بجد تسلم إيدك .

- على إيه يا هانم إنتي اللي دايماً زي القمر والله .

وما إن رأنتي رويدة إلا وأصيبت بحالة من الذهول مثلي تماماً وأبدت إعجابها بما صنعه وليد وكان نفس الشعور تجاهها يملكني عندما نظرت إليها .

في الحقيقة إن وليد ومن يعاونه استطاعوا أن يغيروا ملامحنا .. وخصوصاً

أنا .. لقد أزال كل ملامح الحزن والهم التي كانت تتملك وجهي وتخفي كل ملامح الجمال في وجهي .. انتهينا وتوجهنا إلى المنزل مجدداً لكي نقوم باستبدال ملابسنا وتحضير أنفسنا للحفل .. وما إن وصلنا إلى المنزل إلا وقد اقتربنا من الوقت المحدد لتواجدنا في مكان الحفل .. أيقظت رويده زوجها لكي يرتدي ملابسه .. وتوجهت أنا أيضاً إلى غرفتي لكي أرتدي ملابسني وبعد وقت قليل كنا جميعاً على أتم الاستعداد للاحتفال .

بدأ الحفل .. إنه نفس المكان الذي كنت به منذ حوالي اثنين وخمسين يوماً بالتحديد .. كنت أحتفل هنا بعيد ميلادي .. كنت أنتظر زوجي يحادثني .. كانت المرة الأولى التي لم يحضر فيها عيد ميلادي .. حاولت أن أقاوم ذلك كله .. كانت الذكريات قاسية للغاية .. لكنني حاولت التماسك أمامها بكل قوة وعدم إظهار ضعفي أمامها .. الجميع يبادلنا التهاني بالمناسبتين اللتين نحتفل بهما .. كنت أوزع الابتسامات في وجوه الجميع وقلبي يبكي بشدة .. أبادل الحوارات معهم وروحي في حالة شلل تام .. إلى أن جاء الوقت المحدد الذي يطفأ به النور وتضاء الشموع ... بدأ الجميع في العد التنازلي .

- 1، 2، 3، 4، 5 -

- بحبك .

إنه نفس الصوت الهامس ذو الأنفاس الدافئة .. أرجو أن يضيئوا النور بسرعة .. وبالفعل . أعادوا النور لأجد .. وما إن رأيت وجهه إلا وسقطت من روعة الدهول .

اليوم الرابع والخمسون

ربما تكون السعادة شيئاً لا يوصف إلا بكلمة سعادة .. لكن عندما تتجاوز حد السعادة ترى ماذا يجب أن نطلق على هذا الشعور .. في الحقيقة لا أعلم .. لكن كل ما أعلمه أن السعادة التي بداخلي تجاوزت حد وصف كلمة سعادة بمراحل كبيرة جداً لدرجة أن كلمة سعادة في حد ذاتها لا تعبر عما أشعر به .

ربما كان العالم بأكمله حولي مظلماً وليس فقط ذلك المكان الذي كنت أحتفل فيه بالأمس بعيد زواجي .. وعيد ميلاد أختي الصغيرة .. ربما وجه السعادة الذي كنت أرتيه قبل أن أتوجه إلى هذا المكان مصطنع من أجل البروتوكولات والمظهر العام .. ربما حاولت إقناع نفسي بأن وليد قد غير ملامح وجهي الشاحبة إلى ملامح ناضرة تسر الناظرين .. حقيقة الأمر أنني كنت أحاول بكل السبل المتاحة أن أهزم بداخلي القهر واليأس والعذاب الذي تركه لي زوجي ورحل .. لكنني في نفس الوقت طوال الحفل لم تفارق صورته وذكرياته خيالي .. ربما شرد تفكيري بعض الشيء في ذلك المجهول الذي جاءني هامساً في نفس المكان ينطق بأنفاسه الدافئة

في أذني كلمة أحبك .. لكنني سريعاً ما رجعت في التفكير في زوجي لأنه وبكل بساطة هو شريك أساسي في تلك الفرحة التي كنا نعيشها وهذا الحفل الذي يضم الكثير من الأصدقاء .. في حقيقة الأمر لم أهتم بحضور كل هذا الكم الهائل من الأصدقاء .. كان من الطبيعي أن أصاب بحالة من الذهول عند مشاهدي لهم في الحفل لأنني ببساطة لم أوجه لهم الدعوة .. كيف عرفوا .. لكنني بلا مبالاة شديدة كنت أفاعل معهم دون أن أهتم بذلك .. وكأنني خارج نطاق الدنيا.

كل ذلك لم يكن مهماً بالنسبة لي في أحداث الأمس .. لم أهتم بتلك الأمور لكنني وبكل بساطة كنت موجودة لمجرد الوجود ليس أكثر .. كنت في هذا المكان جسداً بلا روح .. لساناً ينطق دون أن يعي معنى الكلمات . إلى أن جاءت اللحظة التي كنت أنتظرها بفارغ الصبر حتى ينتهي هذا الفيلم الذي أجسد فيه دور المرأة الحديدية التي تستطيع التغلب على كل الأوجاع والأحزان دون أن يشعر بها أحد .. إنها لحظة العد التنازلي .. أغلقوا النور .. بدأنا العد .. كنت أنا في تلك اللحظات في عالم آخر .. كان خيالي يرسم لي أنني أقف مع زوجي فقط في جانب وباقي الحضور في الجانب الآخر .. لدرجة أنني دون أن أدري سقطت دمعة من عيني حزناً على حالي .. وحاولت أن أخفيها سريعاً قبل أن يعود النور ويفتضح أمري ..

وحدث ما لم يكن يتوقعه أي إنسان في هذا العالم .. إنه الصوت الهامس ذو الأنفاس الدافئة جاءني مجدداً يهمس في أذني بكلمة أحبك .. شعرت

أن هذا المكان تسكنه الأرواح الشريرة وقد قررت أن تطاردني وتزيد من جراحي جروحاً .. التفت مسرعة أثناء عودة النور والخوف يملكني .. لكي أشاهد من هو صاحب الصوت .. وهل حقاً من بني الإنس أم اللهم احفظنا .. وما إن التفت إلا ووجدت زوجي أمام عيني .. فما كان علي إلا أن أفقد الوعي وأنا أرتمي بين ذراعيه .. وكان هذا طبيعي جداً .. إنه شيء يشبه الجنون .. كيف له أن يحضر .. كيف له أن يكون موجوداً بيننا .. لا .. هذا رابع المستحيلات .. لا أظن أن ما يحدث حقيقي .. يبدو أن خيالي جمع مني لدرجة جعلتني أرى هذا الرجل زوجي .. انتفضت بعيدة عن حضنه لكي أتأكد من ملامحه .. هل هو حقاً زوجي أم أنني أهذي .

على تصفيق حار من جميع الموجودين تأكدت أنه زوجي .. كنت أنظر حولي وعلامات الدهشة تملكني .. السعادة تملأ وجوه الموجودين جميعاً .. بدأت أركز في ملامح الحضور .. إنه المهندس ماهر .. ومديري وزوجته .. وأختي وزوجها .. وصديقتي هاجر .. وأشخاص كثيرون قابلتهم في الفترة القصيرة الماضية .. أنا لم أقم بدعوة أي شخص من هؤلاء .. رجعت أنظر إلى زوجي ولامح وجهي مرسوم عليها علامة استفهام كبيرة .. كيف تكون أنت بين هؤلاء؟ كيف تكون هنا ؟ من المفترض أن تكون هناك .. ما الذي أتى بك ؟

وقبل أن أتوجه إليه بكل هذه الأسئلة جاءني الجميع للتهنئة بعيد زواجي .. أنا وزوجي .. كل النساء الموجودات كن يهمسن لي بكلمات تكاد تكون ألعازاً وتحتاج إلى شفرة لكي تحل .. منها على سبيل المثال لا

الحصر:

- كل سنة وأنت طيبة يا ميران .. وربنا ما يحرمكم من بعض .
- يا بختك بجوزك .
- خللي بالك منه .. الرجل اللي زي ده ما يتعوضش .
- أنا بحسدك على جوزك بصراحة يا ميران .

كلها كلمات تدعو إلى الجنون .. لا .. هل هذه فعلاً كلمات تخرج من أفواه مجانين؟ هم ليسوا بعقلاء .. فهم لا يدرون ماذا صنع منذ يومين فقط .. لقد رفض أن يكون معي في تلك المناسبة .. واهتم بالعمل ونسي أن له زوجة .. وأن اليوم هو عيد زواجنا .. لكن لا أستطيع أن أبوح بما في داخلي لهم .. يبدو أن ذلك المسلسل لم تكتب نهايته بعد .. ودفعني الظروف لكي أكمل تمثيل السعادة وأخفي دهشتي على الجميع .. إلى أن انتهينا من تلقي التهاني .. ونظرت إليه في صمت شديد .

كان يتسم وهو ينظر لي والسعادة تملأ عينيه وكأنه يشعر بما يدور بداخلي ويحاول أن يزيد من دهشتي وحيرتي .. واصطف الجميع حولنا وأنا لا أشاهد غيره بينهم .. وفجأة وضع يده في جيبه وأخرج منها ثلاثة مفاتيح ومد يده لي بهم .

- إيه دول؟

- حلمك .

- نعم .

- بحبك .

- إنت مجنون .

- بيكي .

- مش فاهمة برضة المفاتيح دي بتاعت إيه .

- ده مفتاح الفيلا بتاعتنا الجديدة .. وده مفتاح شركة ميرو للتصميمات

الهندسية والعمرانية .. وده مفتاح العربية الي هتنقلنا نعيش في حلمنا الي اتحقق خلاص .

- مش قولت لك مجنون .. بحبك .

- مش قدي .. أنا بعشقتك يا ميرو .

ولم يكن بوسعي عمل شيء إلا أن أعانقه بشدة وأقبله بحرارة أمام الجميع .. إنه أجمل ما خلق الله في زماني ووهبه لي .. وكان ذلك كله وسط تصفيق حار من الموجودين الذين لا أعلم إلى تلك اللحظة من دعاهم إلى هذا الحفل .

اليوم الخامس والخمسون

اشهدي يا سماء بكل ما فيك من طيور وسحاب وغيوم .. وما أعلمه وما أجهله .. وأنت يا أرض اشهدي بكل ما فيك من مخلوقات وما عليك من أجساد .. أقر وأعترف أنا الموقعة أدناه .. أنني أعشق هذا الرجل لدرجة الجنون .. أحبه بعدد كل حروف الكلمات التي نُطقت والتي سوف تنطق .. أحبه بعدد كل حبات الرمال المعلومة والمجهولة .. أحبه بعدد كل ذرات المياه التي تملأ البحور والأنهار على وجه الأرض .. اشهدوا أنني أحبه بعدد الأنفاس التي تنفسها أهل الأرض والتي لم يتنفسوها بعد .. أحبه .. أحبه .. أحبه .

أخبرني ذلك الرجل المجنون الذي أعشق جنونه أنه لم يتركني لحظة منذ أن سافر إلى أن عاد لي مجدداً .. فما إن عدنا إلى منزلنا القديم وجلسنا أمام بعضنا البعض إلا وراح يخبرني بما لم أتوقعه ولا أتصوره .

– مالك ؟

- مش مصدقة إنك معايا وما سافرتش .
- إنتي اللي بتصدقي أي حاجة يا حبيبتي .

- إزاي؟

- بصي أنا ها قول لك كل حاجة من البداية بس اوعديني .

- أوعدك بإيه؟

- إنك ما تتعصبيش .. ما تستغريش .. ما تتهوريش .. ومن الآخر ما

تضريش .

- حاضر يا سيدي .. أوعدك إني معملش أي حاجة من الي إنت قولت

عليها دي بس أبوس إيدك فهمني .

- شوفي يا ستي ..

وراح يخبرني بما هو آتٍ والكلام على لسانه.

قبل عيد ميلادك بشهر كامل .. كنت قد قررت أن أعود إليك من شدة

اشتيائي وحينني إليك .. لكن كان يجب أن أحقق أحلامك التي طالما

كنتي تحلمين بها .. الأمر لم يكن سهلاً لكنني تحديته وقررت أن أصل

إلى هدفي وأن أحقق أحلامك .. في تلك الفترة كنت قد جمعت الأموال

الكافية لتحقيق تلك الأحلام .. قررت العودة إلى القاهرة .. استغللت

ظروف العمل الذي كنت أنجزه هنا بالقاهرة .. قمتُ بشراء قطعة

أرض وبدأت في إنشائها بالشكل الهندسي الذي كنا قد رسمناه معاً في

السابق .. وبدأت تطبيقه على أرض الواقع أثناء تنفيذ المشروع الخاص

بالشركة .. وأخذت قراراً أنني لن أعود إليك إلا عند الانتهاء من ذلك

العمل وتحقيق هذا الحلم .. أثناء ذلك استعنت بالمهندس ماهر ليعمل

معي في تشطيب المشروع والفيلا .. وأيضاً لكي أطمئن من خلاله عليك

.. علمت أنك تعيشين حالة من الوحدة والحزن الشديدين من خلال تصرفاتك التي أعلمها جيداً .. استشعرت مدي عزلك .. وكان ذلك دافعاً أكبر لكي أنجز ما أقدمت عليه حتى أعوضك عما فاتك .

أنا من جاءك هامساً يوم عيد ميلادك بكلمة أحبك .. جئت من المطار إليك مباشرة وغادرت قبل أن يراني أحد .. أعلم أن ذلك جنون .. لكنني كنت أخشى نظرات الناس لي وأنا لم أحقق لك حلمك رغم نجاحي في عملي واسمي الذي أصبح يتردد بقوة داخل كل أوساط الهندسة والمجال العمراني .. كيف لي أن أكون هذا الرجل بتلك البدلة القديمة ولم أحمل بين يدي هدية عيد الميلاد .. أظن لو كنت ظهرت كان الجميع سوف يشفق عليك .. ويلومني على عدم اهتمامي بك .. خصوصاً بعد أن علمت بأن أختك الصغيرة أصبحت تمتلك المطعم السياحي الذي كانت تحلم به .. أظن أن الأمر كان صعباً على نفسي أن أعود إليك بعد هذه الفترة دون تحقيق أحلامك .. لذلك قررت الرحيل مباشرة .. والعودة إلى العمل ليل نهار ..

لم أغادر أرض الوطن منذ ذلك الوقت .. ولم أغادر المشروع .. ولا الفيلا .. كنت أعمل بيدي ليل نهار لكي أنجزها قبل ذلك اليوم الذي جئت فيه بمفتاحها .. حتى أستطيع أن أرفع رأسك أمام الجميع .. كان خطأ أنني حاولت أن أكرر كلمة أحبك دون أن تعلمي أنني هذا المجهول الذي يطاردك .. وأعترف بذلك الآن .. لقد حاولت أن أخفف عنك غيابي وأعوضك حباً من مجهول .. لكنك أعطيتيني درساً قاسياً

عندما أغلقتني الهاتف في وجهي .. وعندما قمت بتغيير أرقام هاتفك ..
اعتذر للمرة المليون وأرجو أن تتقبلي اعتذاري .

وأخيراً .. حاولت أن أعوض غيابي عنك بشكل صحيح .. أنا من
طلب من رويده أن تذهبي إليها .. أنا من حدث مديرك للعمل معه .. أنا
من طالب ماهر بأن تذهبي لزيارة والدته المريضة .. وأنا من طالب هاجر
بالتقرب منك لكي تملأ ذلك الفراغ الذي سببته لك ..

ودون أن أدري ودموع السعادة تملكني .. قلت له:
إذن أنت صانع السعادة والفرحة التي كنت أعيشها على فترات .. وأنت
أيضاً صانع ذلك السجن الذي أودعت نفسي فيه بكامل إرادتي .. إذن
أنت كل شيء ..
قاطعني قائلاً:

اعتذر لك عن الأوجاع التي سببتها لك .
وضعت يدي على فمه لكي يصمت .. وذهبت لأقبله بكل حنين .. حقاً
أنت رجل عظيم وربما أكون أخطأت الظن فيك لكن دون أن أدري .. أو
كان ذلك بدافع حبي واشتياقي إليك .. ثم سألته قائلة:
أخبرني يا صانع السعادة أين تقع فيلتي ؟ وأين تقع شركتي ؟
قلت ذلك مداعبة .. لكنه نظري وهو يرفع رأسه بسعادة بالغة وبفخر
قائلاً:

غداً سوف تبدأين عملك بشركتك وتنتقلين للعيش بفيلتك .. والآن
دعيني أستمتع بنظرتك الصافية وأنفاسك الهادئة الساخنة ..

وفي الصباح توجهنا إلى مبنى الشركة التي يبدو من هيئتها أنها حقاً تليق باسم زوجي في مجال عمله .. والأغرب أنني وجدت بداخلها المهندس ماهر متخصص التشطيبات النهائية .. تعرفت على جميع العاملين .. كانت المفاجأة هي الفيلا التي لا تبعد عن الشركة كثيراً .. إنها تحفه معمارية حقاً .. كما تخيلتها بالضبط عندما جلسنا نرسمها .. إنه مبدع في عمله بالفعل .. ولذلك أنا أحبه .

يبقي شيء واحد بعد كل هذا يجب أن أذكره فوق صفحتي .. هذا اليوم الأول لي في حياتي الجديدة .. سأجعل من هذا اليوم عيداً أحتفل به كل عام إلى أن أموت .

سيرة ذاتية

د. هند فاروق المنياوي

- شاعرة، روائية، وسيناريسـت.
- رئيس مجلس إدارة مركز المستشارـة للتدريب وتنظيم كافة دورات التنمية البشرية وبرامج التأهيل والتطوير.
- عضو اتحاد كُتاب مصر.
- عضو رابطة الأدب الحديث.

المؤهلات العلمية:

- دكتوراه في فلسفه الأدب العربي المعاصر.
- ماجستير في فنون كتابة الرواية.
- ماجستير تواصل اجتماعي.
- ماجستير في التحكيم الإعلامي الدولي.

- دبلومة في استراتيجيات التفكير الابتكاري وبرامج تنمية الإبداع.
- دبلومة في الدراسات الإعلامية الدبلوماسية.
- دبلومة في تنمية المهارات وتطوير الذات.
- دبلومة في ثقافة التخاطب والبرامج اللغوية والسمعية والذهنية.
- دبلومة في التحكيم الدولي للفنون الأدبية.

التكريم الأربي:

- حاصلة على الدكتوراه الفخرية في التنمية الذاتية وتطوير المهارات من الجامعة الدولية الأمريكية.
- حاصلة على الدكتوراه الفخرية في برامج الكورت للتفكير من ديونو الشرق الأوسط.
- حاصلة على الدكتوراه الفخرية في الإرشاد الأسري والبرمجة اللغوية العصبية لكافة الأعمار وللجنسين من الجامعة الدولية الأمريكية.
- درع التفوق والإنجاز العلمي من الجامعة الدولية الأمريكية.

الخبرات العلمية:

- خبير مُعتمد في برامج الكورت من ديونو الشرق الأوسط.
- خبير مُعتمد من المركز العالمي للبرمجة اللغوية العصبية.

- خبير استراتيجي للتنمية البشرية من أكاديمية جون هيفر البريطانية.
- خبير مُعتمد للتدريب والاستشارات الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية من الجامعة الدولية الأمريكية. مُمارس مُعتمد لليوجا والكريستال لعلاج الطاقات البشرية والعقلية من الجامعة الدولية الأمريكية.
- مُمارس ومعالج مُعتمد للعلاج بالتنويم الإيحائي لكافة الأعمار من المركز الكندي.

الأعمال الأدبية المؤلفة المطبوعة:

- 1 - مشاعر مرهفة، ديوان، إصدار أول 2008 م.
 - 2 - القلب العاري، رواية، إصدار أول 2009 م.
 - 3 - الحب المحرم، رواية، إصدار أول 2010 م.
 - 4 - حكاية ثورة، رواية، إصدار أول 2011 م.
 - 5 - هس هس ولا كلمة، إصدار أول 2012 م.
- مجموعة قصصية للأطفال تُحول اللغة المقروءة إلى مدلول إشاري للصُّم والبُكم.
- 6 - المرأة الحلم، ديوان، إصدار أول 2013 م.
 - 7 - أحلام بلا فارس، رواية، إصدار أول 2014 م.
 - 8 - صنّاع التاريخ، رواية، إصدار أول 2014 م.

الأعمال العلمية المؤلفة المطبوعة:

- 1 - البناء التصويري والمفهوم والرمز والحداثة في الأدب العربي المعاصر، رسالة دكتوراه.
- 2 - ترويض الأفكار، إنعاش الطاقة العقلية.
- 3 - الجسد، أسرار السيطرة على الذات.
- 4 - قياس الذكاء، برنامج جودة فكرية.
- 5 - نحو التحرر والانطلاق، برامج تأهيل.

أعمال أدبية تحت الطبع:

- غير نفسك وكن الرابع.. تنمية مهارات.
- طرق السعادة الزوجية.. استشارات زوجية.
- شمس.. رواية.
- ليالٍ حمراء.. رواية.
- بقعة دم.. رواية.

المحتوى

5	 اليوم الأول
13	 اليوم الثاني
19	 اليوم الثالث
25	 اليوم الرابع
31	 اليوم الخامس
39	 اليوم السادس
47	 اليوم السابع
53	 اليوم الثامن
59	 اليوم التاسع
65	 اليوم العاشر
69	 اليوم الحادي عشر
75	 اليوم الثاني عشر
81	 اليوم الثالث عشر
85	 اليوم الرابع عشر
91	 اليوم الخامس عشر
97	 اليوم السادس عشر
103	 اليوم السابع عشر
111	 اليوم الثامن عشر
117	 اليوم التاسع عشر

123	- اليوم العشرون
129	- اليوم الواحد والعشرون
135	- اليوم الثاني والعشرون
141	- اليوم الثالث والعشرون
147	- اليوم الرابع والعشرون
153	- اليوم الخامس والعشرون
159	- اليوم السادس والعشرون
165	- اليوم السابع والعشرون
171	- اليوم الثامن والعشرون
177	- اليوم التاسع والعشرون
183	- اليوم الثلاثون
189	- اليوم الواحد والثلاثون
195	- اليوم الثاني والثلاثون
201	- اليوم الثالث والثلاثون
207	- اليوم الرابع والثلاثون
213	- اليوم الخامس والثلاثون
219	- اليوم السادس والثلاثون
225	- اليوم السابع والثلاثون
231	- اليوم الثامن والثلاثون
237	- اليوم التاسع والثلاثون
243	- اليوم الأربعون
249	- اليوم الواحد والأربعون
255	- اليوم الثاني والأربعون
261	- اليوم الثالث والأربعون
267	- اليوم الرابع والأربعون

273	 - اليوم الخامس والأربعون
279	 - اليوم السادس والأربعون
285	 - اليوم السابع والأربعون
291	 - اليوم الثامن والأربعون
295	 - اليوم التاسع والأربعون
301	 - اليوم الخمسين
307	 - اليوم الواحد والخمسون
313	 - اليوم الثاني والخمسون
319	 - اليوم الثالث والخمسون
325	 - اليوم الرابع والخمسون
329	 - اليوم الخامس والخمسون



أوراق للنشر والتوزيع

awraaq@live.com
